المراعى الروحية

جولة آبائية

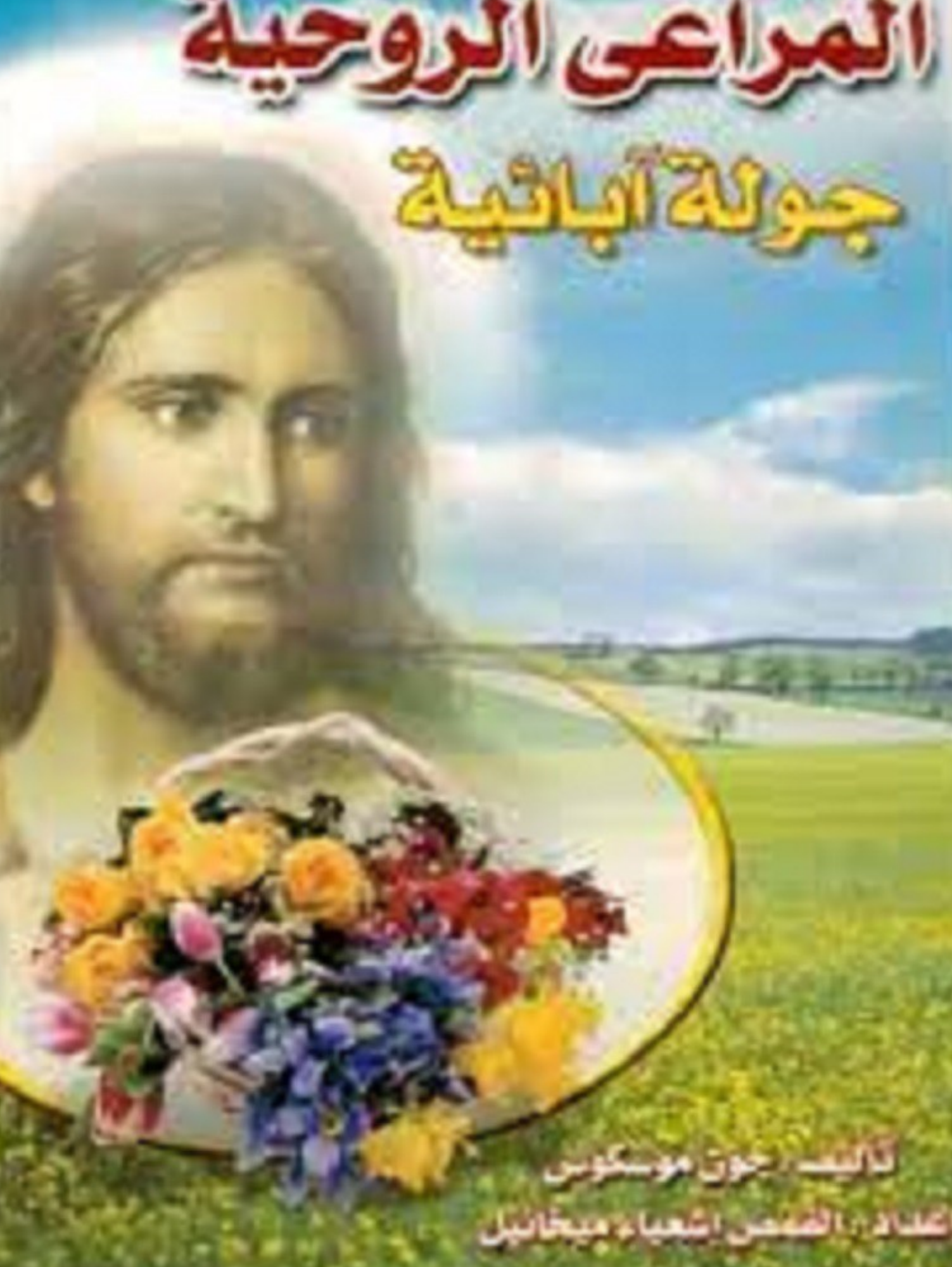

تأليف: جون موسكوس
تعليق: القمص اشعياء ميخائيل

المراعى الروحية

جولة آبائية

تأليف : جون موسكوس

إعداد : القمص إشعياء ميخائيل

إسـم الـكـتـاب : المراعى الروحية (جولة آبائية)
إعـــــداد : القمص إشعياء ميخائيل
تصـميم الغـلاف : الكارز جراف ت : ٢٥٩٧١٩٠
الـمطبـعـة : دار يوسف كمال للطباعة ت : ٤٨٢٧٠٧٤
الـطبـعـة : الأولي يناير ٢٠٠٥
رقـم الإيـداع : ٢٤٧٩ لسنة ٢٠٠٥

صاحب الغبطة والقداسة

البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية « ١١٧ »

مقدمة

أثناء خدمتى فى كندا، كنت قد زرت ديراً للراهبات الأرثوذكس الروس يتمتع هذا الدير بالروحانية العالية جداً، ويقيم به خمس راهبات فقط يعيشن حياة الفقر الاختيارى والزهد والنسك الذى قرأنا عنهم فى الكتب ، وما كنا نظن أننا سوف نراه يوماً وسط المدنية والإباحية والبهرجية الزائدة فى الغرب، ولكن تباركنا من هذة الزيارة ، وتباركنا أيضاً من تدبير هؤلاء الراهبات ، أثناء تفقدى لما فى المكتبة من كتب وجدت هذا الكتاب الذى يحمل إسم The Spiritual Meadow، ومعناه المراعى الروحية، وهو من تأليف الراهب والرحالة جون موسكوس وهو من الكنيسة السريانية وقد إعتاد الترحال بين الأديرة لإكتشاف القديسين الذين يحيون حياة القداسة لكى يحتذى بهم ويحيا حياتهم ، وهو يتحدث عن سير بعض من القديسين الأوائل الذين لم يتحدث عنهم كتاب بستان الرهبان ، ولا كتاب التاريخ اللوزياكى ولا كتاب يوحنا كاسيان ، ولذلك قررت ترجمته وتقديمه لهذا الجيل الذى يحتاج إلى القدوة وإلى بعض من سير الكاملين لكى نسلك حذوهم ونسير مثلهم ونتمثل بهم عملاً بالوصية التى تقول : " أنظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم " (عب١٣ : ٧) .

ولاشك أننا نسعى بمعونة الرب ونعمته التى تشملنا فى الأسرار أن يكون لنا نصيب مع القديسين فى الملكوت ، ودائماً نحن نسعى ونجاهد ونعبد ونقدم حياتنا فى تكريس متواصل ، وندرب أنفسنا على التوبة المستمرة لكى يكون لنا ميراث القديسين ، والكتاب الذى بين يديك أيها القارئ العزيز هو مجموعة من القصص التى تتحدث عن حياة بعض القديسين الذين لم يكتب عنهم التاريخ شيئاً ، وربما نقول أنها أمور تفوق الإدراك والوصف والخيال وربما نقول أنها فوق الإمكانيات البشرية ؛ ولكننا نقف أمام غنى النعمة التى عملت فى هؤلاء القديسين ، وجهاد الحب الذى قدموه ذبيحة حية مرضية مقبولة عند الله .

نطلب أن ترافق نعمة الرب كل نسخة من هذا الكتاب لكى تكون سبب سيرتهم ونحذو حذوهم ، ونخطو خطواتهم ببركة صلوات العذراء القديسة مريم أم القديسين ، وصلوات هؤلاء القديسين الذى حواهم هذا الكتاب ، وصلوات قداسة وغبطة البابا شنوده الثالث باعث النهضة معلم المسكونة لهذا الجيل .

القمص إشعياء ميخائيل بباوى

٢٠٠٣/١١/١ م

٣١ بابة ١٧١٩ التذكار الشهرى للعذراء القديسة مريم

تعريف بالكاتب

راهب سلك حياة الرهبنة يدعى جون موسكوس دخل دير قريب من بيت لحم ثم إنتقل إلى مكان نائى فى صحراء الأردن يسعى وراء القداسة ، وباحثاً عن آباء الصحراء القديسين إعتقاداً منه بأن هناك جيل من القديسين سرعان ما إنقرض بسبب تهاون وإهمال الجيل الجديد من الرهبان والنساك .

ذهب جون موسكوس ورفيقه المفكر سوفرونيوس [Sophronios] إلي مصر ، وبعد جولات عديدة فى مجتمعات مصر إتجها إلى جبل سيناء وهناك مكثا عشر سنوات ، ثم عاد جون إلى فلسطين ، ولكن الحروب الأهلية وغارات (الفرس) على المكان جعلته يعاود الترحال مرة ثانية ، ولكن هذه المرة إ تجه إلى سواحل فيونشيا [Phoenicia] وسوريا وبحار أنطاكية [Antioch] ثم الإسكندرية ، وأخيراً روما حيث وضع اللمسات الأخيرة لكتابه **المراعى الروحية** وتنيح فى سنة ٦١٩ ميلادياً، ويعتبر هذا الكتاب الثانى الأكثر ثراءاً بعد كتاب **تاريخ الرهبان فى فلسطين** للكاتب سيريل سيثوبوليس [Cyril Scythopolis] والذى يتحدث عن تاريخ الأديرة فى صحراء الأردن

كتابنا هذا عبارة عن مجموعة من القصص النادرة قام بجمعها الراهب جون موسكوس فى نهاية القرن السادس الميلادى ، وهى حصيلة ترحاله وسفره بين مجامع الأديرة فى مصر وسوريا وفلسطين وأسيا الصغرى جمع هذه القصص ودونها فى كتاب باللغة اليونانية ، وأطلق عليه إسم المراعى الروحية أو "The spiritual Meadow" .

يقول الكاتب : إنى أرى أن فصل الربيع يقدم لنا الوديان الخصبة والحدائق الغنية بالمناظر والمشاهد وكل ما هو مبهج ومتميز، فهى تمد المُشاهد بنخبة متنوعة من الأزهار قادرة على أن يتأسره بسحرها ، فهى تبهج عيونه بألوانها وتزكى أنفه بعطرها ، فإذا نظر هذا المسحور إلى إحدى جوانب هذه الحدائق فإنه يرى الورود و قد إحمرت وجنتيها خجلاً من النظر إليها ، بينما تجذبه زهور السوسن متعالية ومهيمنة على المكان محاولة جذبه بعيداً عن تلك الورود، بينما يلتفت هذا الأسير المسحور إلى الجانب الآخر من المكان ليرى أزهار

البنفسج متألقة بألوانها وأشكالها كما لو كانت الإمبراطورية الأرجوانية التى تحكم المكان .

يمكن أن أقول بإختصار شديد أن هذا العدد غير المحدود والمتنوع من الأزهار يقدم كل ما يطيب لعيوننا وأنوفنا فى كل جانب من هذه الوديان والحدائق ، فإن تناول هذا الكتاب كما فعل إبنى المبارك والمخلص سفرونيوس سيجعلك تكتشف فضائل وخصال القديسين الذين إختلفوا وميزوا أنفسهم عن غيرهم فى زمننا هذا هؤلاء القديسين كما يقول المزمور: " **فيكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه** " (مز ١: ٣) ، فهم بنعمة المسيح محبوبون لدى الرب بالرغم من تنوع مصادر جمال تلك النعم.

لقد قطفت عدد من أزهار تلك النعم ، من بين كل ما سبق ذكره قطفت أجمل وأزكى الزهور لأصنع منها تاجاً ، وهو ما أقدمه لك أنت الآن أيها الإبن المبارك والمخلص والذى آمل بأنه من خلالك أستطيع أن أقدمه للعالم أجمع.

لقد إخترت إسم هذا الكتاب المراعى الروحية لما يتضمنه من بهجة وعطر ونعمة لكل من يطلع عليه ، ومن أجل الاتكون تلك الحياة المفعمة بالنعم الروحية والقداسة والتقوى مجرد دراسة دينية ولا تكون تأملية على مستويات روحية عُليا كما هو الآن ، بل يجب أن تتضمن وصف مكتوب عن حياة أولئك القديسين ، لذا فقد حاولت جاهداً أن أكمل عملى فى هذا الكتاب لأخبرك به أيها الإبن المحبوب ، كما قمت بوضع تلك القصص الغنية والدقيقة معاً لتكون هذه المجموعة نبع للنعمة والبركة، ثم قمت بإصطفاء أفضل الأعمال وأكثرها حكمة لتشكل فى نهاية الأمر مجموعة من الأعمال الروحية والمثمرة لهؤلاء الآباء القديسين.

والآن سوف أخبرك بتلك الأعمال ....

١ـ قصة الراهب القديس يوحنا وكهف سبساب

كان هناك دير يدعى دير الأنبا أوستورجيوس[1] [Abba Eustorgios] ، وأراد البطريرك أن يعهد بمسئوليات رئاسة هذا الدير لأحد الرهبان ، فقام بإختيار راهب عجوز ليتولى مسئولية الدير ولكن هذا الرجل رفض قائلاً : إنى أفضل أن أذهب و أصلى على جبل سيناء ، وحاول كبير الأساقفة إقناعه لقبول هذه المسئولية ثم الذهاب بعد ذلك إلى جبل سيناء للصلاة ، ولكن هذا العجوز لم يقتنع أخيراً منحه البطريرك أجازة للصلاة على جبل سيناء عاهداً إليه قبول هذا المنصب عند العودة ، فقام الراهب العجوز بتحية البطريرك وأعد نفسه للرحيل لجبل سيناء آخذاً معه أحد تلاميذه المقربين متجهاً إلى جبل سيناء عابراً نهر الأردن ، و لم يكد يقطع الإثنان ميلاً واحداً حتى مرض العجوز وبدأ يرتجف من شدة الحمى ، وعندما عجز العجوز عن مواصلة السير إذ بهما يجدا كهفاً صغيراً قريباً منهما ، فإتجها الإثنان إليه ليستريحا (الراهب العجوز وتلميذه).

مكث الراهب العجوز بالكهف ثلاثة أيام يعانى الحمى الشديدة حتى كان بالكاد يتحرك ، وبينما هو نائم إذ بشخص يظهر له قائلاً : أخبرنى أيها العجوز إلى أين تريد الذهاب ؟ فأجابه العجوز المريض جبل سيناء ، فرد عليه شخص تلك الرؤيا قائلاً : أرجوك إنى أتوسل إليك ألا تذهب هناك ، ولم يكشف هذا الشخص نفسه للعجوز ثم إختفى ، وهنا إشتدت الحمى على الراهب العجوز وفى اليوم التالى أتى له نفس الشخص وقال له : لِمَ إصرارك على هذه المعاناة أيها العجوز الصالح ؟ إستمع إلىَّ ولا تذهب هناك ، فسأله العجوز : من أنت ؟ فرد عليه هذا الشخص مجيباً : أنا يوحنا المعمدان ، لذا فإننى أطلب منك ألا تذهب هناك ، فإن سيليزيان [Cilician] فى جبل سيناء ، وكثيراً ما أتى إلىَّ يسوع المسيح وزارنى فى هذا الكهف ، فأقطع على نفسك عهداً بالبقاء هنا وسوف أرد عليك صحتك فقَبِلالعجوز ذلك بفرح شديد وأعطى له عهداً مقدساً بالبقاء هنا فى

---

[1] أنشأه أوستورجيوس فى منتصف القرن الخامس فيما قبل عام ٤٦٦ بالقرب من أورشليم ، وإنه غير معروف المكان بالضبط ولكنه من الواضح أنه كان عند جبل صهيون .

الكهف وعلى الفور إسترد العجوز صحته وتعافى ، ومنذ ذلك الحين تحول الكهف إلى كنيسة يتجمع فيها الإخوة فى المسيح وسمى المكان سبساس[1] [Spsas] يحده من الشمال وادى كوراث [Wadi Chorath] حيث أرسل إليه إيليا فى فترة الجفاف التى تعرضت إليها الأردن .

٢- قصة الراهب العجوز الذي كان يطعم الأسود في كهفه

فى نفس الكهف الذى يدعى سبساس كان هناك عجوز آخر فضل حياة البتولية على الحياة التقليدية وكان له من النعم والبركات الكثيرة حتى أنه كان يرحب بالأسود التى كانت تدخل عليه الكهف ويحتضنها ويقوم بإطعامها كم كان هذا الرجل ممتلئاً بالنعمة والبركة.

٣- قصة الأب كونون قس شعب البنثوكلا

فى دير القديس الأب ساباس[2] [Sabas] ، قابلنا الأب أثناسيوس [Athanasios] فأخبرنا هذا الراهب العجوز بالآتى :

عندما كنت من بين شعب دير بنثوكلا[3] [Penthoucla] كان هناك قس مسئول عن المعمودية كان من أهل سيليزيان [Cilician] وإسمه كونون [Conon] وقد عين ليكون مسئول عن معمودية شعب الكنيسة وذلك نظراً لكبر سنه ، كان هذا القس العجوز يتشن بالزيت ويعمد ، ولكن كان هذا العجوز يتعرض لحرج شديد كلما أتت إليه إمرأة لتتعمد ، لذا فقد قرر هذا العجوز الإنسحاب من الكنيسة، وبينما كانت فكرة الإنسحاب تراوده ، إذ بالقديس يوحنا

---

[1] أنشئ هذا الدير عندما كان إيليا بطريرك أورشليم في الفترة من (٤٩٤ – ٥١٦) .

[2] أنظر:أهم الأديرة فى فلسطين ويقع عند وادى سدرون وأنشئ عام ٤٧٨ على يد القديس سابس وأكثر ما يميزه أنه كان يضم أكثر من ١٥٠ ناسك ، ويبدو أنه لم يكن بينهم حياة إجتماعية بل كانوا منفصلين عن بعضهم البعض وكل منهم له حياته المستقلة ، ولكن بالنسبة لبعض الجهات فإن الآباء الرهبان يتجمعون فى صلاة نهاية الأسبوع ، وهذا ما يتم الآن فيما يعرف بمارى ساباس .

[3] دير صغير إكتسب شهرته بأنه كان مخصصاً للمعمودية .

المعمدان يظهر أمامه قائلاً له : فيما بعد أنا وخادم الكهنوت سوف نجعل الأمر أكثر سهولة.

مرت الأيام وأتت فتاة فريسية شديدة الجمال لتتعمد غير أن الراهب لم يستطع أن يمسحها بالزيت المقدس ، مكثت الفتاة لمدة يومين من أجل المعمودية ولم تتم معموديتها ، حتى سمع الأنبا بطرس[1] بالأمر وغضب بشدة من هذا العجوز حتى أنه فكر فى تعيين شماسة إمرأة لتتولى معمودية الفتيات والنساء ولكنه لم يفعل لتعارض ذلك مع تقاليد الكنيسة .

أما الراهب **كونون** فأخذ عباءته المصنوعة من جلد الماعز وإرتداها وقال : لن أمكث فى هذا المكان أكثر من ذلك ، وإنطلق الراهب وبينما هو متجهاً إلى الجانب الآخر من الدير وإذ بالقديس يوحنا المعمدان يظهر له مرة ثانية ويكلمه بصوت هادئ حنون : إرجع إلى ديرك أيها الراهب وسوف أخفف من صراعك، فرد الأب الراهب بغضب شديد قائلاً : صدقنى لن أعود فدائماً ما تعطى لى وعوداً ولاشئ يحدث ، فقام القديس يوحنا المعمدان بإجلاس الراهب على الأرض وقام بنزع ملابسه ولثلاث مرات قام برشمه بالصليب فى منطقة الحقوين ، وقال : صدقنى أيها الأب كونون كنت أريدك أن تخوض هذا الصراع وتنتصر لتُكافأ عليه ولكن طالما أنت لا تريد ، فلن يوجد أى صراع بعد اليوم ولكنك قد حرمت نفسك من إكليل الجهاد ، وعاد الأب الراهب كونون إلى الدير وبدأ يعمد شعب الكنيسة وفى اليوم التالى أتت الفتاة الفريسية وقام الأب بدهنها بالزيت دون أن يدرك أو يلاحظ ما إذا كانت رجل أم إمرأة ، وإستمر الأب كونون لعشرين عام بعد مقابلته للقديس يوحنا المعمدان يعمد شعب الكنيسة ويدهنهم بالزيت المقدس دون أن يشعر بأى صراعات جسدية أو يشعر بأنوثة أى إمرأة يعمدها حتى تنيح بسلام ، بعدها رسمت الكنيسة تقليداً بأن يتم عماد البنات البالغات والسيدات بإرتداء تونية وأن يتم مسحهم بالميرون المقدس فى الأماكن الظاهرة فقط ، ويحل الروح القدس عن طريق وضع اليد والنفخ من أحد الأساقفة أو الكهنة.

---

[1] البطريرك بطرس، بطريرك القدس (٥٢٤- ٥٥٥ م) .

٤ـ رؤية الأب ليونتيوس

أخبرنا الأب ليونتيوس [Leontios] وهو من شعب كنيسة الأب القديس ثيؤدوسيوس[1] [Theodosios] : أنه عندما أنشئ دير جديد بعيد عن نيو لافرا[2] [New Lavra] رحلت لأقيم فى الدير القديم وفى أحد أيام الآحاد ذهبت إلى الكنيسة لأستعد للقداس وعندما دخلت وجدت ملاكاً يقف فى الجانب الأيمن من المذبح وعندما تناولت جسد المسيح ودمه ودخلت قلايتى سمعت صوتاً قائلاً : منذ هذه اللحظة قد تقدس هذا المذبح وقد أمرنى يسوع المسيح بأن أبقى فيه .

٥ـ قصة الأنبا بوليكرونيوس مع ثلاث رهبان

حكى لنا الأنبا بوليكرونيوس [Polychronios] عن أحد الرهبان بأنه كان غير مبال ببناء نفسه روحياً ولا يعير أى إهتمام لإلتزاماته نحو الكنيسة فى أيام الآحاد ، مر بعض الوقت وإذا بنفس الشخص الذى كان بالماضى القريب مهملاً لحياته الروحية قد أصبح مكرساً تماماً للرب وللكنسية ويتفانى فى الخدمة ويجتهد من أجل نموه الروحى مما دفع الأنبا بوليكرونيوس أن يقول له : يا أخى أنت الآن تفعل الصواب بعنايتك للنواحى الروحية لنفسك ، رد عليه هذا الشخص قائلاً : يا أبانا لقد إقترب وقت إنتقالى للسماء ، وما إن مضى ثلاث أيام إلا وتنيح هذا الشخص ، وحكى لنا نفس الأب كاهن دير نيولافرا أنه أثناء تواجده فى دير عند أبراج بابل[3] تنيح أحد الإخوة فأتى إليه أحد الخدم قائلاً : إذا تفضلت يا أبانا ساعدنى لنقل حاجيات هذا الراهب لنضعها فى مخزن الدير، وعندما بدأوا فى نقل هذه الأشياء وإذا بهذا الخادم يبكى فقلت له : إحضر إلى هنا أيها الأب وأخبرنى لماذا تبكى ؟ رد عليه الراهب قائلاً : اليوم نحن ننقل

---

[1] أنشأه الأب ثيودوسيوس بعد عام ٤٧٨ وكان يحمل إسمه ، ويقع بين بيت لحم وسباس عند قمة جبل لافت للنظر ويعرف الآن بدير دوسى ، كان يضم حوالى أربعمائة راهب وكانوا يعرفون بحسن الضيافة ومساعدة المحتاجين (يبدو أنه كان الدير الذى يعيش فيه جون موسكوس) .

[2] أنشأه الأب رومانيوس ولكنه تحطم فى عام ٤٨٤ م، وأعاد بناؤه ستون راهب أتوا من سباس سنة ٥٠٨ م .

[3] هذا أنشئ علي يد أحد الرهبان ويدعي يعقوب من دير القديس سباس في بداية القرن السادس – غرب الأردن ولا يبعد كثيراً عن مدينة أريحا – ويبدوا أنه كان يتكون من عدة أبراج، ربما للدفاع عن الدير في حالة أى هجوم.

أمتعة أحد الرهبان الخاصة ونضعها فى المخزن وبعد يومين سيقوم آخرون بنفس الفعل مع أشيائى أنا ، وبالفعل مر يومان وتنيح هذا الراهب القديس .

٦ـ قصة أخري للأب بوليكرونيوس

أخبرنا الأب بوليكرونيوس أنه سمع من الأنبا قسطنطين [Constantine] وهو رئيس دير العذراء مريم[1] والدة الإله فى نيولافرا أن أحد الرهبان توفى بأحد المستشفيات التى تقع فى أريحا ، فذهب الأب قسطنطين إلى المستشفى لإستلام جسد الراهب ودفنه فى مكان بالدير قريب من أبراج بابل ، ومن اللحظة الأولى لتركه للمستشفى وأثناء إنتقالهم للدير لدفن هذا الراهب القديس كان هناك نجم ساطع يرافقهم ولم يكف عن توهجه حتى رقد هذا القديس فى القبر.

٧ ـ قصة ووفاة القديس العجوز المرشح لأحد الأديرة

كان هناك راهب صالح يعيش فى ديرنيولافرا عند أبراج بابل وعندما تنيح رئيس هذا الدير أجمع الآباء ورهبان هذا الديرعلى أن هذا الراهب العجوزهو الأفضل ليتولى رئاسة الدير لقامته الروحية العالية والنعمة التى يتمتع بها ، ولكن الراهب العجوز رفض قائلاً : أيها الآباء الصالحون إسمحوا لى فقط أن أصلى وأبكى قدام الرب ليغفر لى خطاياى فأنى لست بالشخص المناسب لأتولى مسئولية هذه الأمور الروحية ، فهذه المسئولية تحتاج إلى آباء آخرين مثل الذين كانوا يرافقون القديس الأنبا أنطونيوس العظيم ، ولكن الآباء فى الدير والرهبان لم يقتنعوا برفضه لهذه المكانة الروحية فكانوا يأتون إليه كل يوم طالبين منه أن يقبل تلك المسئولية الروحية ولكنه لم يقبل ، ولكن تحت إصرارهم الشديد على ذلك ورغبتهم فى إقناعه ، قال لهم هذا الراهب القديس : إسمحوا لى بأن أصلى للرب لهذا الأمر ثلاث أيام لأعرف مشيئته وخطته لى وكان ذلك يوم الجمعة ، وفى يوم الأحد تنيح هذا القديس العجوز.

---

[1] أنشئ هذا الدير فى عهد جوستنيان الأكبر (٥٢٧- ٥٦٥ م) وإكتسب إسمه من قربه لكنيسة العذراء مريم وكان أحياناً يطلق عليه الدير الجديد للعذراء مريم ، وإنتهي من بناؤه وبدأ فى التكريس فى عام ٥٤٣م .

٨ـ الأب ميروجينيس المصاب بداء الإستسقاء

فى نفس ديرنيولافرا بأبراج بابل كان هناك رجل صالح إسمه الأب ميروجينيس [Myrogenes] كان مصاباً بداء الإستسقاء {أى داء الإنتفاخ} كان قاسياً جداً فى معاملة نفسه وكلما أتى إليه الآباء والرهبان ليتولوا رعايته صحياً كان يقول لهم : أيها الآباء فقط صلوا من أجل ألا أصاب بهذا الداء داخلياً ، فأنا أصلى للرب لعلى أحتمل هذا المرض لفترة طويلة ، وعندما سمع الأنبا أوتيكيوس [Eutychios] بطريرك أورشليم بهذا الأمر أمر بإرسال كل ما قد يحتاجه الأب ميروجينيس ولكنه لم يستلم أى رد على ما أرسله إلا (صلى من أجلى يا أبانا حتى لا أعانى داخلياً) .

٩ـ عطية رائعة من عجوز قديس

فى نفس الدير الذى يدعى نيولافرا فى بابل كان هناك رجل عجوز يؤدب نفسه بأن يعيش أقصى درجات الفقر ومع ذلك فإن تلك الحياة القاسية كانت عطية عظيمة للآخرين ، ففى أحد الأيام أتى إلى هذا العجوز أحد المحتاجين يطلب عطية ولم يكن لدى العجوز شئ يقدمه غير كسرة خبز، فأحضرها العجوز وقدمها لهذا المحتاج ، فرد عليه هذا الشخص قائلاً : أنا أريد ملابس وكان العجوز يريد أن يُلبى إحتياجات هذا المحتاج ، فأخذ هذا الشخص وأدخله إلى المكان الذى يعيش فيه داخل قلايته الصغيرة ، فتعجب هذا الشخص إذ لم يكن هناك أى شئ على الإطلاق غير أن هذا العجوز ظل واقفاً تأثر هذا الشخص من النعمة التى على وجه العجوز فقام وأفرغ محتويات الكيس الذى كان يمسك به فى وسط القلاية وقال : خذ هذا أيها العجوز الصالح سأذهب وأبحث عما أحتاجه فى مكان آخر.

١٠ـ القديس برنابا الناسك

كان هناك أحد الرهبان يدعى برناباس [Barnabas] يعيش فى قلاية داخل أحد كهوف نهر الأردن المقدس وفى أحد الأيام ذهب هذا الراهب إلى النهر ليشرب ، وفى الطريق إنغرس شئ حاد فى قدميه وإستقر بداخلها فترك

الراهب هذا الشئ ولم يسمح لطبيب بفحص قدمه وعلاجه ، وإستمر الأمر هكذا حتى إلتهبت قدمه وتعفن الجرح بشدة مما دفعه لأن يسأل الآخرين العون وزاد الألم وتفاقم الجرح ، وكلما أتى أحد ليساعده كان يقول له كلما زاد الألم الخارجى زاد الثراء الروحى الداخلى .

ترك القديس برنابا الكهف وتوجه إلى أبراج بابل ومكث هناك لفترة ، وترك راهب آخر المكان وتوجه إلى تلك الأبراج المقدسة وبمجرد دخوله المكان إذ به يرى ملاك الرب واقفاً عند المذبح الذى صنعه القديس برناباس ، فسأل الناسك الملاك : ماذا تفعل هنا ؟ ، أجابه ملاك الرب : أنا ملاك الرب ، فمنذ الآن تقدس هذا المكان وزاد بركة وقد عهد الرب لى أن أحميه .

١١ـ حياة الأب هجيودولوس

يقول الأب بطرس [Peter] كاهن دير القديس الأب سباباس [Sabas] أنه عندما كان رئيساً للدير تنيح أحد الإخوة الرهبان ، ولم يكن يعلم الأب هجيودولوس [Hagiodoulos] رئيس دير جيراسيموس [1] [Gerasimos]، قام قائد المرتلين بالدير بالقرع على الأخشاب[2] (كإشارة) ليتجمع الآباء والرهبان حتى يصلوا على المنتقل ويرسلونه إلى قبره وعندما حضر العجوز القديس إليه وجد جسد الراهب موضوعاً على الأرض فى منتصف الكنيسة ، حزن القديس هجيودولوس لرحيل هذا الراهب دون أن يودعه ، فتوجه إليه وقال للجسد وهو ممدد على الأرض: إنهض من نعشك وودعنا فقام الراهب الميت من نعشه وألقى التحية على القديس العجوز فقال له القديس : الآن إذهب وإسترح حتى تقابل إبن الله يسوع المسيح عند مجيئه الثانى ، ويقال أيضاً أن نفس هذا العجوز القديس إتجه ذات يوم إلى نهر الأردن المقدس وكان يفكر ويتأمل بشأن الإثنى

---

[1] ولد هذا القديس في ليشيا ثم إنتقل إلي أورشليم ٤٥١ م وأقام في الصحراء بالقرب من البحر الميت ، ثم أنشأ هذا الدير الذى يحمل إسمه وكان يتكون من سبعون قلاية ، ولكن فى القرن الثانى عشر هدم هذا الدير وإنتقل من فيه إلي دير كالامون عند وادى الأردن .

[2] كانت وسيلة للتجمع للصلاة ، وبالرغم من إنتشار الأجراس في الكثير من الكنائس في تلك الفترة في الغرب إلا أنه كانت تستخدم علي نطاق ضيق .

عشر حجراً الذى أمر بهم الرب النبى يشوع بجمعها حسب عدد أسباط بنى إسرائيل وأن تستقر تلك الأحجار فى مياه نهر الأردن تذكاراً لبنى إسرائيل، وبينما يتأمل هذا القديس هذه الأشياء وإذ بنهر الأردن ينشق وتظهر أمام عينيه الإثنى عشر حجراً ، فسجد القديس هجيودولوس بإتضاع أمام الرب ورجع إلى قلايته ممجداً إسم الرب .

١٢ـ حكمة الأب أوليمبيوس

ذهب أحد الإخوة إلى الأب أوليمبيوس [Olympios] ، كاهن ديرلافرا التابع للأب جيراسيموس سائلاً عن حكمة ينتفع بها فقال له الأب أوليمبيوس : لا تعاشر المهرطقين وراقب قولك وإضبط لسانك وصن نفسك فى أى مكان تذهب إليه وقل دائماً لنفسك أنا غريب[1] عن هذا العالم.

١٣ـ حياة الأب مرقس الناسك

كان الأب مرقس [Mark] الذى كان يعيش فى دير بنثوكلا كان يحيا حياة التقشف فى صيامه خلال أيام الأسبوع وإستمر فى حياة التقشف هذه لمدة تسعة وستين عاماً مما دفع بعض الناس إلى أنهم يشعرون بعلو قامته الروحية وكان يجاهد ليلاً ونهاراً عاملاً بوصايا السيد المسيح فكان يعطى الفقير ويرفض أن يأخذ من أى إنسان أى شئ ، وعندما سمع عنه بعض أولاد المسيح وأتوا إليه ليقدموا له العطايا رفض ذلك قائلاً : أنا لا أقبل العطايا فعمل يدى يكفينى ويكفى من يزورنى بنعمة المسيح .

١٤ـ حرب الشهوة هاجمت راهباً فأصيب بالجذام

فى مناسبة أخري قص علينا الأب بوليكرونيوس القصة التالية :

كان من شعب بنثوكلا راهب معروف بتقشفه الشديد وإهتمامه بحياته الروحية ومع ذلك فهو كان دائم الجهاد ضد الحروب الجسدية { الجنسية} إلا أنه فشل فى إحدى معاركه مع هذه الحروب ، فترك الدير وإنطلق إلى مدينة أريحا ليشبع رغبته الجنسية ، وبمجرد دخوله أحد أوكارا لزنى ضرب الجذام جسده

---

[1] أنظر : (عب ١٣ : ١٤) و (١ بط ١ : ١ ، ٢ : ١١) .

كله ، وعلى الفور عاد مسرعاً إلى الدير وسجد للرب شاكراً قائلاً : مجداً للرب أصبتنى بمرض شديد فى الجسد لكى تخلص روحى مجداً لك .

١٥ـ الاعمال الرائعة للأب كونون

كان الأب كونون [Conon] رئيس دير بنثوكلا قابل فى يوم من الأيام بعض اليهود بينما كان فى طريقه إلى أحد الأماكن المقدسة فى بيتز[1] [Bites] كان هؤلاء اليهود يدبرون لقتله ، فإتجهوا نحوه وقد جذب كل منهم سيفه ليقتل الأب كونون وما أن رفعوا أياديهم فى الهواء حتى تجمدت ولم يستطيعوا تحريكها ، فنظر الأب القديس إليهم وصلى من أجلهم فعادت أياديهم إلى طبيعتها فرجع هؤلاء الأشخاص إلى حيث أتوا يمجدون الرب ويعظمونه.

١٦ـ قصة الأب نيكولاس وأصدقائه

كان هناك راهب عجوز يعيش فى دير الأب بطرس[2] [Peter] فى دير بقرب نهر الأردن المقدس وكان يدعى نيكولاس [Nicolas].

أخبرنا هذا العجوز أنه عندما كان يعيش فى مكان يدعى راثيو[3] وكان معه إثنين آخرين من الرهبان ، ذهبوا جميعاً فى رحلة طويلة عبر الصحراء من خليج السويس إلى ما بعد نهر النيل للقيام ببعض الأعمال اليدوية وأثناء سيرهم فى الصحراء ضلوا جميعاً الطريق فوجدوا أنفسهم يهيمون فى الصحراء طولاً وعرضاً ولا يعرفون أين وجهتهم فبدأوا يلهثون من شدة العطش والحر حتى أنهم فقدوا القدرة على الحركة و لوخطوة واحدة للأمام ، وكانت هناك شجرة نحيلة الأغصان بالقرب منهم فذهبوا إليها وإرتموا جميعاً أسفلها ، ولم يكن لهذه الشجرة أى ظل ليحميهم جميعاً من الشمس الحارقة وتوقع الجميع إنهم سيلقون حتفهم عطشاً فى هذا المكان ، ثم قال العجوز : بينما كنت راقداً تحت تلك

---

[1] هذا المكان غير محدد موقعه بالضبط وربما يكون قد هدم أو دمر.

[2] أنشأ في القرن الخامس الميلادى .

[3] مكان علي خليج السويس ويسمى الآن طور ، ولا يبعد كثيراً عن سيناء .

الشجرة النحيلة وإذ بمنظر أثار بهجتى حيث رأيت بركة تفيض بالمياه وبعض الأشخاص يقفون على حافة هذه البركة يقومون بسحب هذه المياه إلى داخل أحد القوارب الخشبية ، بدأت فى النداء عليهم : إذا تفضلت يا أخى أعطنا بعض الماء فإننا نلهث عطشاً ، ولكنه رفض أن يمنحنى بعض الماء ، ولكن الشخص الآخر قال له : أعطه بعض الماء ليشرب ، فأجابه : لا لن أعطه شئ ، فالمكان ليس ببعيد ومن السهل أن يذهب ويشرب بنفسه فهو لا يعتنى بنفسه فكيف لى أن أعتنى أنا به ؛ فرد عليه رفيقه : نعم هذا صحيح ولكن من كرم الضيافة الإهتمام بالغرباء ثم أتوا إلىَّ وأعطونى أنا ورفاقى الماء الذى نحتاجه ، فشربنا وإتجهنا فى طريقنا وإستمر سيرنا فى الصحراء ثلاثة أيام دون ماء للشرب حتى وصلنا المدينة .

١٧ـ قصة الراهب العظيم

حكى لنا نفس القديس نيكولاس عن راهب آخر كان رجلاً طاعناً فى السن حيث مكث فى قلايته داخل الكهف قرابة خمسين عام دون أن يشرب أى خمر وكان يأكل فقط خبزاً مصنوعاً من النخالة وكان يتناول جسد المسيح ثلاث مرات أسبوعياً .

١٨ـ قصة الأب الذي كان يحتضن الأسود الصغيرة

أخبرنا الأب بوليكرونيوس [Polychronius] عن راهب عجوز آخر كان يعيش فى كهف بدير الأب بطرس وكان دائم الذهاب والجلوس على ضفاف نهر الأردن المقدس وذات يوم وجد هذا الراهب عرين للأسود وبه شبلين فى داخل الكهف الذى يعيش فيه وأراد الراهب أن يصنع بهما عظة لباقى الرهبان فقام بوضعهم فى عباءته وضمهم إلى صدره وإتجه إلى الكنيسة وهناك قال : إذا حفظت وصايا الرب يسوع المسيح ، فإن هذه الحيوانات تخشى الإنسان ولكن بسبب خطايا هذا الإنسان أصبحنا نحن العبيد ونخشى تلك الحيوانات إستمع إليه

الرهبان الذين كانوا بالكنيسة ولتعاليمه الرائعة ودخل كل منهم إلى قلايته متعزياً بتلك الدروس الروحية المفيدة .

١٩ـ يحكى الأب اليشع عن نفسه

أخبرنا الأب اليشع [Ilijah] والذى كان يعيش على أكل العشب[1] ، بأنه كان يعيش داخل كهف على مقربة من نهر الأردن ، وفى أحد الأيام لم يذهب الأب إيليا إلى صلاة القداس مع الأب مكاريوس [Macarios] أسقف أورشليم[2]، وكان هذا اليوم شديد الحرارة والشمس فى ذروتها جاء شخص يطرق الكهف فخرج إليه الأب اليشع وإذ بإمرأة تقف أمامه فسألها : ماذا تفعلين هنا ؟ ، فأجابته بالكلمات الآتية : أيها الأب لقد سلكت نفس طريقك فى الحياة وأنا الآن أعيش داخل كهف يبعد عن قلايتك التى أنت تعيش فيها ، وأشارت المرأة إلى المكان الذى تعيش فيه فى إتجاه الجنوب ثم قالت : يجب علىَّ أن أسافر وأعبر تلك البرية ولكن حرارة الجو المرتفعة تعيقنى عن السير فأنا شديدة الظمأ ، فإذا تفضلت يا أبى أن تعطينى بعض الماء .

أخذ الأب إناءه المملوء بالماء وأعطاه إلى المرأة وأرسلها إلى حيث جاءت، وعندما رحلت تلك المرأة بدأ الشيطان دوره فى محاربة بنى البشر فأخذ يحارب هذا الراهب ويضع أفكاره الشريرة الغنية بالشهوة والنجاسة فى رأس هذا الراهب ونجح الشيطان فى تملك الرجل ، فلم يستطع الراهب تحَمل لهيب رغبته وشهوته فقام وجمع أشياؤه وترك الكهف فى هذا اليوم الملتهب من حرارة الشمس منطلقاً وراء هذه المرأة ، ويقول الراهب : كان يمتلكنى شئ واحد وهو أن أجدها وأشبع غريزتى وشهوتى ، وعندما إقتربت من مكان تلك المرأة وصلت حرارة رغبتى إلى ذروتها وشعرت بالشهوة أكثر وأكثر، ولكننى رأيت الأرض تنشق أمام عينىَّ وإذ بجثة متعفنة تعفناً شديداً قد إنفجرت وملأت المكان كانت رائحة المكان كريهة للدرجة التى يعجز فيها اللسان عن

---

[1] ليس لهؤلاء النساك منزل ولا يأكلون خبزاً أو لحوماً ولا يشربون خمراً، كانوا يقضون يومهم علي قمة الجبال يصلون ويرنمون وعند وقت الطعام يهيمون في الصحراء ويقطعون بعض العشب ويأكلونه .

[2] كان بطريرك أورشليم في أعوام ٥٥٢، ٥٦٣، ٥٧٥ م.

وصفها ، وظهر لى رجلاً وقوراً ذو هيبة وأشار إلى تلك الجثة وقال لى : أنظر هذه هى المرأة وها أنت الرجل إذهب وإفعل ما تريده وأشبع رغبتك ؛ لكن فى المقابل فلتعرف كم من الأعمال الجيدة سوف تدمرها بفعلك هذا ، فقط أنظر إلى نوع الخطية التى أعددت نفسك لها والتى ستحرمك من ملكوت السموات يا للنفس الإنسانية الحقيرة هل تريد أن تخسر كل ما ربحته من أجل ساعة من المتعة ؟

ولكننى لم أستطع الصمود أمام تلك الرائحة العفنة فسقطت على الأرض، فساعدنى هذا الملاك على النهوض وأنهى ذلك الصراع، وعدت إلى قلايتى شاكراً الرب يسوع المسيح لرعايته لى.

٢٠ـ قصة معجزة الرب مع جندي

أخبرنى أحد الآباء أن أحد قادة الجيش أخبره بتلك القصة : كنا نحارب مع شعب موريتانيا فى بعض الأقاليم الأفريقية وجاء البربر وأجهزوا علينا وهزمونا هزيمة نكراء وتعقبونا وذبحوا الكثير منا ، وقبض علىَّ أحد هؤلاء البربر ووجه سهمه إلىَّ ليقتلنى ، وعندما رأيت ذلك بدأت أنادى الرب : أيها الرب الذى ظهرت لعبدتك ثكلا[1] [Thecla] وأنقذتها من الأيدى الظالمة أخرجنى سالماً يا إلهى من هذه المحنة وأنقذنى من هذا الموت المرير وسوف أعيش لك ما حييت فى صحراءك المقفرة وإلتفت الجندى إلى الخلف فلم يرى هذا البربرى ، فإتجه إلى دير كوبراثا[2] [Kopratha] وعاش بنعمة المسيح فى هذا الكهف ثلاثون عاما .

٢١ـ قصة مقتل الناسك وقاتله

أخبرنا الأب جيرونتيوس [Gerontios] رئيس دير القديس أوثيميوس[3] [Euthymios] أنه كان هناك ثلاث من الرهبان يعيشون على العشب فى مكان

---

[1] هي إحدى تلميذات القديس بولس وقد إستشهدت في ليوشيا في سوريا في القرن الأول الميلادى ، وقد نسب لها العديد من المعجزات.

[2] دير في الأردن وغير معروف مكانه بالضبط .

[3] أنشئ هذا الدير في القرن الخامس الميلادى وإستمر حتى القرن الثاني عشر ، ثم تحطم ولكن آثاره مازالت موجودة فى خان العمار بين أورشليم والبحر الميت .

قريب منه وراء البحر الأحمر ناحية مدينة بسيمون [Besimon] ، وبينما يسير الأب جيرونتيوس [Gerontios] مع بعض الإخوة فى إتجاه الشاطئ وعلى جانب الجبل رأى أحد هؤلاء الرهبان يسير نحو الشاطئ فى منطقة منخفضة وقابل بعض السراسيين [Saracens] كانوا يمرون بتلك البقعة وبمجرد أن تخطوا هذا الراهب إلتفت أحدهم مفاجئاً الراهب وقام بقتله ، فقال : كنا نراقب هذا المشهد المريع من مكان مرتفع على الجبل ، وبينما نحن فى حزن شديد ونتأسف لهذا الفعل وإذ بطائر يأتى مسرعاً أعلى هذا القاتل السراسينى ويقبض عليه بقدميه ويحمله فى الهواء ثم يتركه يسقط على الأرض ليتحول جسمه إلى جيفة.

٢٢- راهب آخر يدعي كونون

كان من شعب القديس البطريرك ثيؤدوسيوس [Theodosios] رجل صالح يدعى كونون [Conon] من أصل سيليزيانى [Cilicia] إستطاع هذا الرجل أن يعيش خمسة وثلاثون عاماً من حياته يقتسم كسرة الخبز ويشرب الماء ويعمل دون توقف ولا يغادر الكنيسة أبداً.

٢٣- القديس الراهب ثيؤدولوس

كان فى نفس الدير راهب آخر كان فى الماضى يعمل ضابطاً بالجيش ويدعى ثيؤدولوس [Theodoulos] قضى حياته يصوم كل يوم ولا يرتدى شيئاً فى قدميه ولا ينام مضطجعاً .

٢٤- راهب بدير شوزيبا

كان هناك راهب عجوز يعيش فى قلاية بدير شوزيبا [Choziba] ، يحكى باقى الرهبان فى نفس الدير عن هذا العجوز بأنه عندما كان فى قريته كان معتاد عمل شئ بعينه ، وهو إذا رأى أحد الفلاحين فى قريته فقير جداً لدرجة أنه لا يستطيع زراعة أرضه فإنه دون أن يخبر هذا الفلاح يسأتى فى المساء ومعه ثوره ليحرث الأرض والحبوب ليبذرها فى أرض هذا الفقير، وعند عودته إلى البرية وعندما يدخل قلايته فى الدير كان شديد الحرص على مشاعر

كل جيرانه دون تفرقة فى المعاملة ، وعندما كان يسافر من نهر الأردن المقدس إلى أورشليم وإذا رأى أحد المسافرين معه قد غلبه التعب كان يرفع من عليه أمتعته ويحملها هو طوال الطريق حتى جبل الزيتون المقدس وكان يفعل نفس الشئ عند العودة إذا ما رأى آخرين ، كان يحمل أمتعتهم أيضاً حتى يصلوا إلى أقرب مكان من مدينة أريحا ، كثيراً ما كنا نرى هذا العجوز يتصبب عرقاً وفى أوقات أخرى كان يحمل الصغار على كتفيه أثناء سيره وأوقات أخرى أيضاً كان يقوم بتصليح أحذية من يسافر معه رجالاً ونساءاً ، كان يسقى من معه من ماؤه ويطعمهم من خبزه وإذا رأى أحداً ماراً به عارياً كان يخلع جلبابه الذى يرتديه ويعطيه إياه ، كان يعمل طوال اليوم دون أن يكل أو يمل ، وإذا رأى جسد ميت ملقى فى الطريق كان يدعو للصلاة من أجله ويدفنه.

٢٥ـ صلاة القداس في دير شوزيبا

حكى الأب غريغوريوس [Gregory] العضو السابق فى الحرس الإمبراطورى أنه كان هناك أحد الرهبان فى دير شوزيبا يحفظ كلمات صلاة القداس عن ظهر قلب ، وفى أحد الأيام أرسل الراهب ليحضر القربان المقدس وعند عودته للدير قام بترديد الصلوات التى تذكر فى القداس فقام الشمامسة بوضع القربان على المذبح وكان الكاهن فى هذا اليوم هو الأب يوحنا من أهل شوزيبا وعندما قام بتقديم القربان لم يلحظ حلول الروح القدس على القربان كما هو معتاد ، فقلق الأب من عدم حلول الروح القدس على القربان وإعتقد أن ما حدث بسبب خطاياه الخاصة لم يحل الروح القدس فإنسحب من القداس سراً ، وإنطرح على وجهه باكياً على خطاياه ، فظهر للأب ملاك الرب قائلاً : قد تقدس القربان وأصبح بلا عيب بصلاة هذا الراهب الذى أتى به إلى هنا.

منذ ذلك الوقت وضع الأب تحريماً وهو: من الآن فصاعداً محرماً أن يحفظ أحد كلمات القداس ما لم يكن كاهناً ولا يرتل كلمات القداس فى أى مكان إلا فى المذبح .

٢٦ـ لاتعاشر المهرطقين

كان هناك راهب صالح محبوب لدى الرب فى دير كالامون [Calamon] عند نهر الأردن المقدس ، ويدعى سيرياكوس [Cyriacos] ،

فى أحـد الأيام أتى إليه رجل غريب من مدينة دارا[1] [Dara] يسمى ثيوفينيس [Theophanes] ليأخذ مشورة منه فيما يتعلق ببعض الأفكار الشيطانية التـى تراوده ، فبدأ الراهب بتشجيع ومساندة هذا الرجل وذلك بالحديث عن التحكم فى الغرائز الجسدية وكيفية الوصول إلى أعلى درجات النقاء والطهارة وقد إستفاد هذا الرجل كثيراً من حديث الراهب الصالح ، ولكن هذا الرجل أخبر الراهـب بالآتى : يا أبانا فى وطنى كنت أنتمى إلى جماعة نسطوريوس (Nestorios) [2] والذى يعنى أننى لا أستطيع البقاء هنا وحتى لو أردت أنا ذلـك عنـدما سـمع الراهب الصالح هذا الحديث إنتابه قلقاً شديداً على هذا الرجل وأخذ يتوسل إليـه ويحثه بشدة على الإبتعاد عن هؤلاء المهرطقين وأن ينـتهج تعـاليم الكنـائس الأرثوذكسية الجامعة وقال له : لا يوجد هناك خلاص إن لم تتبين وتـؤمن أن القديسة مريم العذراء هى فى الحقيقة أم الرب يسوع .

فأخبر الرجل الراهب : لكن ياأبانا بالفعل كل الطوائف تقول ذلك كمـا تقول أنت (إذا لم تنضم إلى طائفتنا فإنك لن تخلص) يا أبانا أنـا رجـل بـسيط وبالفعل لا أعرف ماذا أفعل ؟ صلى للرب ياأبانا أن يرشدنى ويوجهنى للإيمان الصحيح ، شعر الراهب بسعادة أن يلبى طلب هذا الرجل البسيط فقال له : إبقى هنا فى قلايتى وضع ثقتك فى الرب وفى صلاحه و سوف يكشف لك الحقيقـة ترك الراهب الرجل فى القلاية وذهب نحو البحر الميت ليصلى له ، وفى حوالى الساعة التاسعة من صباح اليوم التالى ظهر للرجل وهو فى القلاية رجـل فـى مظهر مهيب ووقف أمام الرجل البسيط وقال له : تعالى معى لترى الحقيقـة بنفسك ، وأخذه ووضعه فى مكان مظلم كريه حيث يوجد لهيب نـار مـشتعل وأظهر له نسطوريوس وثيؤدور وغيرهم من طوائف المهرطقين ، وقال له : إن هذه النار أُعدت لكل من جدف وأساء إلى السيدة العذراء والدة الـرب يـسوع وكل من إتبع تعاليم هؤلاء المهرطقين إذا وجدت أنت أن هذا المكان هو طريقك

---

[1] هذه المدينة في ميسوبوتميا وكما توجد مدينة تحمل نفس الإسم علي ساحل بونتس، لذا فهناك مـدينتان بـنفس الإسم في اليونان والأخرى في فيونشيا .

[2] طائفة خارجة عن الكنيسة وتؤمن أن المسيح شخصين أحدهما إنسان والآخر إلـه ويرفـضون الإيمـان بـأن القديسة مريم هى والدة الإله .

إذن أبقى على تعاليمك التى أنت عليها الآن وإذا لم ترد أن تختبر آلام هذا التأديب ، فلتبدأ فى إتباع تعاليم الكنيسة الجامعة والتى يمكنك أن تتعلمها من الراهب الذى يعيش فى هذا المكان ، لذا فإنى أقول لك : إذا تحلى أى إنسان بكل الفضائل والأخلاقيات دون أن يمجد الرب يسوع فإن مكانه فى هذه النار فى هذه اللحظة عاد هذا الرجل البسيط إلى وعيه وعندما عاد الراهب قام الرجل بإخباره بما حدث تماماً كما رأى ثم ذهب وإنضم إلى تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية الرسولية وقضى الرجل سنوات طويلة فى دير كالامون فى صحبة الراهب الصالح حتى رقد بسلام .

٢٧- حياة كاهن مدينة ماردارودوس

على بعد عشرة أميال من إلجيون [Aelgion] فى سليزيا [Cilicia] كانت هناك مدينة تدعى ماردارودوس [Mardardos] وكان بها كنيسة القديس يوحنا المعمدان فى هذا المكان كان هناك راهب كاهناً رجلاً تقياً يتمتع بنعم الرب يسوع المسيح ، ولكن فى أحد الأيام قرر أهل هذه المدينة أن يتقدموا بشكوى إلى الأسقف إلجيون يشتكون فيها هذا الكاهن وقالوا فى شكواهم (إن هذا الكاهن مرفوض علينا ، كلما أتى يوم الأحد فإنه يبدأ القداس الساعة التاسعة ولا يتبع ترتيب القداس) إستمع الأسقف إلى الشكوى وقام بالتحدث إلى الكاهن بشكل خاص وقال له : أيها الأب الصالح لماذا تفعل هذا؟ ألا تعرف ترتيبات كنيستنا المقدسة ؟

أجابه الكاهن قائلاً : أخبرك الحقيقة ياسيدنا العظيم بالضبط كما قلت وكل ما قلته صحيح ، ولكننى لا أعرف ما أفعل ففى صلاة العشية هذا اليوم المقدس ، فإنى أبقى بجوار الهيكل حتى أرى طيف الروح القدس يأتى ولا أبدأ الطقوس الروحية إلا بعد حلول الروح القدس على المكان تعجب الأسقف من كلام الكاهن القديس ومن النعمة التى يتمتع بها ، فذهب وأخبر الشعب بما سمعه من الكاهن وصرفهم بسلام ، فإنطلقوا جميعاً فى طريقهم وهم يمجدون الرب ثم أرسل الأب جوليان [Julian] إلى هذا الكاهن القديس تحياته وبعض من الملابس ومعها ثلاثة آنية بها فحم ، فتسلم الكاهن التحية ولكن أعاد الملابس وقد صب عليها بعض الماء ومعها الفحم المشتعل وأرسلها لمسافة عشرين ميل .

٢٨ـ الاعمال الرائعة للأب جوليان الناسك

الأب سيريل [Cyril] وهو من تلاميذ الأب جوليان الناسك المذكور أعلاه حكى لنا القصة التالية :

سمعت أنا وأبى وإخوتى عن الأب جوليان وقد جئنا إليه من قريتنا، فقد كنت مريض مرضاً مزمناً ولا يوجد طبيب يستطيع علاجى منه ، ولكن بمجرد وصولى إلى الأب جوليان شفيت بصلاته ، لذا فإننا نحن الثلاثة قررنا البقاء معه ورفضنا العالم بكل ما فيه ، فعهد الأب جوليان إلى أبى مسئولية مخزن الحبوب، وفى أحد الأيام ذهب أبى إلى الأب جوليان وقال له : ياأبانا لم يعد لدينا حبوب ، فأجابه القديس جوليان قائلاً : إذهب وأجمع ما يمكنك جمعه وقم بطحنه والله سوف يعتنى بنا غداً .

إنزعج أبى من قول الأب جوليان حيث أنه لم يعد هناك شئ بمخزن الحبوب على الإطلاق ، فذهب أبى كونون إلى قلايته وعندما إشتد الإحتياج للحبوب أشار الأب جوليان بأنه سيأتى إلى أبى فى قلايته وبمجرد دخول الأب جوليان قال لكونون : أيها الأخ إذهب و قم بإعداد شيئا لباقى الإخوة ؛ فقام كونون بغضب شديد وإتجه نحو المخزن كان ينوى أن يأتى ببعض من تراب الأرض ليؤكد عدم وجود أى حبوب بالمخزن ، ففتح كونون قفل الباب وأراد أن يدخل ولكنه لم يستطيع حيث كان المخزن مملوءاً تماماً بالحبوب ، رأى كونون ذلك فركع خجلاً أمام الأب جوليان ممجداً الرب .

٢٩ـ معجزة أكثر القرابين قداسة

على بعد عشرين ميل من مدينة إلجيون فى سيليزيا كان هناك إثنان من الرهبان يبعد كل منهما ستة أميال عن الآخر أحدهما كان يتبع تعاليم وطقوس الكنيسة الأرثوذكسية الرسولية أما الآخر كان قد قضى فترة طويلة من حياته يتبنى أفكار طائفة سيفيران [Severan] أحد الطوائف المهرطقة وكان يعيش بالقرب من منطقة تدعى كاسيودورا [Cassiodora].

إختلف الراهب المهرطق مع الراهب المستقيم فى عدة نقاط أخذ المهرطق يدبر الخطط والمكائد للنيل من الراهب القديس ، فقام بنشر عدة أفكار

تؤكد أنه الأفضل ، فأوحى الروح القدس للراهب المستقيم بأن يبدى رغبته بأن يرسل له الراهب المهرطق جزء من القربان المقدس لديه سعد الراهب المهرطق كثيراً بطلب هذا الراهب المستقيم إعتقاداً منه بأنه قد أهدى أحد الضالين إلى طريق الحق ، وقام بإرسال القربان على الفور ودون أى تأخير، أخذ الراهب القديس هذا القربان (سر القداسة بالنسبة لطائفة سيفيران) ووضعها فى إناء به ماء مغلى وإذا بالقربان قد تحلل بفعل الغليان ، ثم قام بأخذ القربان المقدس من الكنيسة المستقيمة وقام بوضعه فى نفس الإناء وإذ بالإناء قد برد وفقد درجة حرارته وبقى القربان سليماً وطافياً ، ولا يزال القربان حتى الآن فى الإناء وقد قام الراهب القديس بعرضه علينا عندما قمنا بزيارته .

٣٠- معجزة سر من الأسرار المقدسة

يوجد فى سوق المدينة بقبرص والذى يدعى سوق تاديا [Tadia] دير يقع بالقرب من مكان يدعى فيلوكسينوس [Philoxenos] ، وعندما وصلنا إلى هناك ودخلنا الدير وجدنا راهب يدعى أيسيدور [Isidore] من بلدة ميليتين [Melitene] لاحظنا أن هذا الراهب دائم البكاء والرثاء حاول الجميع أن يتحدثوا معه محاولين إقناعه بأن يكف قليلاً عن هذه الحالة ، ولكنه لم يقتنع وأخبر الجميع : أننى أكثر البشر خطية منذ خلق أدم حتى الآن فقلنا له : يا أبانا الحقيقة لا يوجد أحد بغير خطية غير يسوع المسيح إلهنا.

قال الراهب الباكى : صدقونى يا إخوتى لم أرى خطيئة بين البشر أكثر مما فعلت أنا سواء علمت بها من قراءتى أو سمعت بها من أحد ، فإذا كنتم تعتقدون أننى أظلم نفسى فإسمعوا خطيتى أولاً ثم صلوا من أجلى أينما ذهبتم فى هذا العالم ، ثم بدأ فى سرد حكايته مع تلك الخطية { كانت لى زوجة وكنا نحن الإثنان نتبع تعاليم سيفيران وفى أحد الأيام رجعت إلى منزلى فلم أجد زوجتى ولكننى سمعت أنها ذهبت إلى بيت أحد الجيران للتناول من جسد المسيح ، فكان هذا الجار ممن يتناول السر المقدس فى الكنيسة الأرثوذكسية ، فهرعت إلى منزل الجار لأمنع زوجتى ، وعندما دخلت المنزل وجدت زوجتى قامت فعلاً بتناول جسد المسيح ودمه ، فقمت بجذبها بشدة من عنقها وأجبرتها على إلقاء جسد المسيح من فمها وقمت بأخذه وقذفه هنا وهناك حتى سقط على أرض

موحلة ، فرأى الجميع أن شعاع من النور قد هبط من السماء وأخذ قطعة القربان المقدس من على الأرض ثم إختفى ، مر يومان ثم رأيت رجل ذو وجه أسود يأتى إلىَّ وهو يرتدى ملابس رثة وقال لى : نحن الإثنان متشابهان وملعونان بنفس اللعنة ؛ فقلت له : من أنت ؟ فأجابنى هذا الشخص ذو الوجه الأسود وقال : أنا من يخالف الخالق فى كل شئ ، ربنا يسوع المسيح حتى فى أوقات رأفته ، لذلك كان هذا الراهب دائم البكاء ! كيف لى الآن أن أكف عن البكاء ؟

٣١- مريم بائعة الهوى

رحل ثلاثة رهبان من مدينة إليجون إلى مدينة طرسوس [Tarsos] فى سيليزيا [Cilicia] وبتدبيرمن العناية الإلهية إتجه هؤلاء الرهبان نحو خان صغير رغبةً منهم فى الحصول على قسط من الراحة من عناء السفر وشدة حرارة الجو ، وهناك رأوا ثلاثة من الرجال فى ريعان شبابهم وبصحبتهم إمرأة من بائعات الهوى سيتجهون بها إلى إليجون ، فجلس الثلاثة رهبان متفرقين ومتوخين الحذر الشديد، وقام أحدهم بإلتقاط الكتاب المقدس من حقيبة سفره وقام بقراءة أحد أسفاره بصوت مرتفع ، فنظرت المرأة إلى هذا الراهب ثم أتت إليه تاركة الرجال الذين معها، وجلست أمام الراهب فإنتهرها الراهب قائلاً لها : يبدو أنك فى غاية البذاءة ألا تخجلين من حضورك وجلوسك أمامنا ؟ ردت عليه الزانية مجيبة : يا أبى أرجو ألا تعاملنى بهذا الإزدراء فحتى لو كنت أحمل كل الخطايا ، فإله هذا الكون يسوع المسيح لم ينتهر الزانية التى أتت إليه ، فأجابها الراهب : لكنها لم تبقى على حالها كزانية ردت المرأة : إنى أتمنى أن لا يسمح لى إبن الله الحى بالزنا بعد الآن وتركت المرأة الرجال وإتجهت مع الرهبان الثلاثة حيث قاموا بوضعها فى أحد الأديرة الخاصة بالنساء ويسمى دير نيكيبا بالقرب من إليجون ، وقد رأيتها وهي إمرأة عجوز تتمتع بخبرة روحية عالية وقد إستمعت إلى قصتها منها شخصياً ، وكان إسمها مريم .

٣٢- توبة الممثل ورفيقتيه

كان هناك ممثل يعيش فى مدينة طرسوس [Tarsos] بالقرب من سليزيا [Cilicia] إسمه بابيلاس [Pabylas] وكان له إمرأتان فى رفقته : إسم الأولى كوميتا [Cometa] ، والثانية نيكوسا [Nicosa]، وكانت حياة الممثل

يقودها إبليس فكان يفعل كل ما هو مناف للأخلاق ، وفى أحد الأيام قادته العناية الإلهية إلى أحد الكنائس حيث كانت تلقى كلمات الكتاب المقدس وعند دخوله الكنيسة كانت إحدى الآيات تقول : " **توبوا لأنه قد إقترب ملكوت السموات**" (مت٣ :٢) ، فلمست هذه الكلمات قلب بابيلاس وروحه وتأثر بهما كثيراً ، وبمجرد خروجه من الكنيسة ذهب إلى الإمرأتين اللتين برفقته وقال لهما : أنتما تعلمان جيداً الحياة التعسة التى نحياها معاً، وأيضاً لا تريدان أن أفضل واحدة منكما على الأخرى ، الآن يمكنكما أن تمتلكا كل ما لدى وتتقاسماه سوياً من الآن فصاعداً سأهجر هذا العالم بأسره وأصبح راهباً ، فردت عليه الإمرأتين قائلتين : كما لو كانتا صوتاً واحداً وببكاءٍ شديدٍ لقد شاطرناك حياة الخطيئة والزنا وأسأنا إلى أجسادنا والآن تقرر أن تتجه إلى الرب وتتضرع إليه ولا تريدنا أن نبقى معك حقاً لا تستطيع ، فإسمح لنا أن نكون شركائك فى الصلاح أيضاً ، وعلى الفور إتجه بابيلاس هذا الممثل إلى أحد الأديرة فى المدينة ، ثم قامت الإمرأتان ببيع كل ممتلكاتهما وأعطوا ثمنها إلى الفقراء وإتجهتا إلى أحد الأديرة وسلكتا معاً حياة الرهبنة ، وأعدت الإمرأتان قلايتين لهما ومكثتا بهما .

لمست هذه القصة روحى كثيراً وإستفدت من تلك التجربة الروحية الهائلة ، فقد أصبح الرجل شخصاً تقياً متضعاً متسامحاً لأقصى الدرجات ولا يكن لأحد أى إساءة ، وأنا أكتب هذا لكى يستفيد الجميع من هذه التجربة.

٣٣- حياة القديس الأسقف ثيؤدوتوس

أخبرنا أحد الآباء أنه كان هناك بطريرك لأورشليم إسمه ثيؤدوتوس [Theodotos] كان يعرف بتواضعه وتقواه ، وكان فى أيام الأعياد يقوم بدعوة جميع الكهنة لتناول العشاء معه ، ولكن فى أحد الأعياد قام أحد الكهنة برفض دعوته للعشاء معه ، ووتها لم يبدى البطريرك أى تعليق على هذا الأمر وفى مناسبة أخرى قام بزيارته شخصياً لدعوته حتى يشاركه مائدته ، وفى قصة أخرى للأسقف ثيؤدوتوس تخبرنا عن مدى تواضعه ووداعته أنه كان فى سفر مع بعض الكهنة وفى الطريق إنحنى الأب القديس تجاه أحد الكهنة الذى كان يقود حافلة السفر وقال للكاهن : دعنا نتحمل عناء السفر بتبادل الأدوار فى قيادة

الحافلة ، فرد عليه الكاهن قائلاً : هذا قد يخزى البطريرك إذا دخلت أنا فى الحافلة وإعتلى البطريرك ظهر الخيل ، فطمأنه الأب بأنه لا يوجد شئ من هذا القبيل وأقنع الكاهن بأن يتبادلوا العمل حتى يتقاسموا عناء السفر ولن يكون هناك أى خزى من هذا العمل .

٣٤- حياة القديس الأسقف ألكسندر بطريرك إنطاكية

كان للأب ثيوبوليس [Theoupolis] بطريرك آخر كان يعرف بأنه حنون ورحيم ويدعى ألكسندر [Alexander] ، وفى أحد الأيام قام أحد العاملين معه بسرقة بعض الذهب منه وفرهارباً خائفاً إلى طيبة فى مصر عثرعليه بعض البربر الذين كانوا يعيشون فى طيبة بمصر وهى قبائل تعرف بتعطشها للدماء فقبضوا عليه ونقلوه إلى مكان بعيد نائى من أرضهم وعندما علم الأب القديس ألكسندر بهذا الأمر قام بإرسال فدية لهم حتى يخلص هذا الشخص من أسرهم وكانت الفدية تقدر بخمس وثمانون قطعة ذهبية ، وعندما عاد هذا الأسير إلى بلدته إستقبله هذا الأسقف بحب ولطف شديدين حتى قال أحد سكان المدينة : لا يوجد ربح أو مكسب أكثر من أن نسئ إلى الأب ألكسندر، وفى مناسبة أخرى قام أحد الشمامسة بسب القديس ألكسندر علناً أمام جميع الكهنة ، فأتى إليه الأب ألكسندر وإنحنى أمامه قائلاً : إغفر لى يا أخى .

٣٥- حياة القديس الأسقف الياس بطريرك أورشليم وفلافيان بطريرك إنطاكية

يقول الأب بوليكرونيوس [Polychronios] عن الأب إلياس [Elias] بطريرك أورشليم بأنه عندما كان راهباً لم يشرب الخمر أبداً وعندما أصبح بطريرك لم تتغير حياته فكان ينتهج نفس أسلوب حياته عندما كان راهباً ، وقالوا أيضاً عن الأب إلياس والأب فلافيان [Flavian] أن الإمبراطور أنسطاسيوس [Anastasios] قام بنفيهما وذلك لأمر يتعلق بالمجمع الكنسى للآباء الكهنة فى خلقيدونية [Chalcedon] ، وعندما توفى الإمبراطور أخبر كلا من الأب إلياس والأب فلافيان الآخر بموت الإمبراطور وقالا فى نفس يوم وفاته : دعنا نذهب حتى نتحاسب معه ، ولم يمض سوى يومان حتى تنيح الإثنان .

٣٦ـ حياة القديس الأسقف وإفرايم بطريرك إنطاكية كيف حول المهرطق إلي مؤمن

أخبرنا أحد الآباء عن الأب إفـرايم [Ephraim] بطريـرك إنطاكيـة المبارك (٥٢٧- ٥٤٥ م) بأنه كان يتمتع بقدر كبير من التقوى والحماس الدينى وإتباع الإيمان الصحيح ، وفى أحد الأيام أخبر بأنه هناك أحد الرهبان فى أحـد الأماكن المجاورة لهيرابـوليس [Hierapolis] وينـتهج تعـاليم الـسفيريين المهرطقين وقد قطعته الكنيسة ، فذهب الأب إفرايم للراهب بنية الحديث معه ، وبمجرد وصول الأب إلى مكان هذا الراهب بدأ فى حثه بشدة علـى أن يلجـأ لمدينة إنطاكية ويرجع لتعاليم الكنيسة الرسولية الجامعة ، ولكن كان رد الراهب المهرطق : لا يوجد أى مبرر يجعلنى أنضم إلى تعاليم المجمع الكنسى ، فقـال الأب إفرايم : حسناً ماذا يمكننى عمله لأجعلك تصدق أنه بنعمة ربنـا يـسوع المسيح تخلصت كنيستنا من أى تعاليم خارجية ؟ رد الراهب قـائلاً : إجعلنـا نشعل ناراً أيها البطريرك وإجعلنى أنا وأنت ندخلها ، فإذا خرج أحـدنا دون أى أذى يكون هو صاحب الإيمان الصحيح ويجب على الآخر أن يتبعه ، كان هذا الراهب يقول ذلك ليثير الرعب فى قلب البطريرك ولكن القديس إفرايم قال له : يابنى يجب عليك طاعتى ولا تسألنى أى شئ ، وحيث أنك سألتنى فعـل شـئ يفوق صحتى الهزيلة ، فأنا سوف أضع ثقتى فى إبن الله الحى ، وذلـك مـن أجل خلاصك أنا سأفعل ما إقترحته علىَّ .

ثم طلب الأب الصالح إفرايم ممن حوله الآتى : باركوا الرب وأحضروا بعض الخشب هنا ، وعندما أتوا بالخشب أوقد الأب إفرايم الخشب أمام الجميع ، وقال للراهب : تعالى هنا وسوف نسير نحن الإثنان فى قلب النيـران لإجتيـاز إختبارك ، فتعجب الراهب من قوة إيمان هذا البطريرك ولكنه لم يذهب إليه ثـم قال البطريرك للناسك : ألم يكن هذا هو إقتراحك بأن نفعل سوياً هذا ، فكيـف تقترح هذا منذ برهة ولا تريد القيام به.

بدأ البطريرك فى خلع وشاحه الذى كان يرتديه والمطـرز بالـصلبان وإقترب من النيران المشتعلة وصلى إلى الرب بالكلمات الآتية : ربنـا يـسوع المسيح والذى من أجلنا أتى إلينا وتجسد فى صورة إبن الإنسان وأتيت من الأم القديسة العذراء إلى الأبد مريم إظهر لنا الحقيقة .

وعندما إنتهت صلاة هذا الأب القديس قام بإلقاء وشاحه فى النيران وإستمرت النيران مشتعلة لمدة ثلاث ساعات ، وعندما إحترق الخشب بالكامل قام الأب إفرايم بإستعادة وشاحه ، كان الوشاح لايزال قطعة واحدة دون تلف ودون أن تظهر به أية علامة تفيد أن النار قد لمسته.

رفض الراهب بعد هذه المعجزة كل تعاليم الهرطقة وبدأ فى قبول تعاليم الكنيسة الجامعة ودخل الكنيسة وتناول جسد المسيح ودمه المقدسين من يد الأب الصالح إفرايم ومجد الرب يسوع .

٣٧ـ حياة القديس الأسقف الذي ترك الإيبارشية ليعمل فاعل في الأراضي المقدسة

أخبرنا أحد الآباء عن أحد الأساقفة الذى ترك إيبارشيته وذهب إلى ثيؤبوليس [Theopolis] ليعمل هناك كعامل ، كان فى ذلك الوقت **الكونت إفرايم** [Count Ephraim] والذى كان يُعرف بعطفه ورحمته ورقة مشاعره وكان يحكم الشرق ، لذا فإنه كان شديد الإهتمام بإعادة بناء كل المزارات والمبانى العامة(كانت المدينة قد تعرضت لزلزال قوى أصابها بالدمار) رأى إفرايم فى منامه هذا العامل وهو راقد على الأرض وعمود من النار مقام فوقه ويصل إلى السماء ظهرت هذه الرؤية للكونت إفرايم ليست مرة واحدة بل عدة مرات ، فإندهش إفرايم لهذه الرؤية والتى تدل على أن هذا العامل البسيط شخص له هيبته وسطوته الحقيقية ، فسأل نفسه ما عساه أن يكون ؟ إذ لم تكن لديه أية فكرة عن هذا العامل البسيط والذى هو نفسه أسقف ، فكيف له أن يعرف أن هذا العامل ذو الملابس الرثة والشعر غير المشذب هو أسقف ، فهو يبدو كشخص قد داهمه الفقر وأثقال الحياة والإحتياجات المتزايدة ، وفى أحد الأيام أرسل الكونت إفرايم إلى هذا الأسقف العامل ليعرف من يكون ؟ وعندما حضر تحدث معه على إنفراد وبدأ بسؤاله : من أين أتى ؟ وما إسمه؟ كان الأسقف يجيب فى بعض الأحيان : إننى أحد فقراء هذه المدينة ، ولإحتياجى الشديد إلى العون فإننى أعمل كفاعل والله يساعدنى فى عملى هذا جعل الله إفرايم يجيب ويقول : صدقنى لن أجعلك تذهب دون أن تخبرنى الحقيقة كاملة ، وحيث أن الأسقف لم يستطيع أن يخفى نفسه أكثر من ذلك فقد قال للكونت

إفرايم : إقطع على نفسك عهداً بأنك لن تخبرأى شخص عما سأخبرك به طالما أنا ما زلت على قيد الحياة ، وأنا سأخبرك بكل شئ عنى ، ولكننى لن أخبرك عن إسمى أو عن المدينة التى أتيت منها .

تعهد الرجل الصالح إفرايم قائلاً : لن أخبر أى شخص عما سوف تخبرنى به طالما أبقاك الله فى هذه الحياة ، فرد عليه الآخر قائلاً : أننى أسقف وبتوجيه من الرب تركت الإيبارشية وأتيت إلى هذا المكان ولأنه مجهول تماماً بالنسبة لى ، ولكننى عانيت الكثير من المرض والأعمال الشاقة ، وكل ما أريده هو رزق يومى يجب أن تعرف أنه على الإنسان أن يزيد من عمله بمزيد من العطايا لأنه فى هذه الأيام سيرفعك الله على عرش كنيسته وتكون مستحق أن ترعى شعب الله ربنا يسوع المسيح إلهنا الحقيقى الذى إشترى شعبه بدمه ،

فإنى أقول لك : عليك بالجهاد من أجل أن تعطى الآخرين وأن تؤمن الأيمان الحقيقى ، وبذلك تكون مبارك لدى الرب ، وخلال أيام قليلة كما توقع الأسقف القديس وعندما إستمع إفرايم المبارك إلى الأسقف مجد الرب قائلاً : ياإلهى يخد مونك وأنت وحدك تعرفهم.

٣٨ـ موت الأمبراطور أنا ستاسيوس

أخبرنا أحد أحباء المسيح أن الإمبراطور أناستاسيوس [Anastasios] قام بطرد الأب إفيميوس [Euphemios] والأب ميسيدونيوس [Mecedonios] بطاركة القسطنطينية وقام بنفيهم معاً فى منفى أوثايتا [Euthaita] فى مدينة بونتس [Pontus] وذلك بسبب أمور تتعلق بالمجمع الكنسى للآباء الخلقيدونيون [Chalcedon] ، وفى منامه رأى هذا الإمبراطور القاسى رجل فى مظهر مهيب يرتدى لباس أبيض ويقف أمامه ويحمل كتاباً كان الإمبراطور يقرأه ، ثم قام بطى خمس صفحات ثم بدأ فى قراءة إسم هذا الإمبراطور وقال له : أنظر نظراً لغلاظة قلبك فإننى سوف أحذف أربعة عشر سنة يقول أصحاب هذه القصة : أنه محاهم بأحد أصابعه لم يمض غير يومان وإذ بإنفجار شديد فى المدينة وبرق ورعد فى السماء ، وأسلم الإمبراطور روحه وهو فى حالة من الرعب والخوف الشديدين ، كان ذلك جزاء عمله وذلك لإحتقاره لكنيسة إلهنا يسوع المسيح ونفيه لرعاة شعب هذه الكنيسة المقدسة .

٣٩ـ الراهب الذي ساعدته فتاة ريفية كان قد حورب بالزنا معها في الإبتعاد عن الخطية

عندما كنت مقيماً فى إنطاكية العظيمة سمعت من أحد كهنة الكنيسة أن البطريرك أناستاسيوس [Anastasios] أخبره شيئا كالآتى :

كان هناك راهب فى دير الأب سافيريان [Saverian] وأرسل ليخدم فى مكان يدعى إليوثيروبوليس [Eleutheroupolis] وأقام فى منزل أحد الفلاحين المعروفين بحبهم للمسيح ، وكان لهذا الفلاح إبنة (لا تزال طفلة وكانت والدتها متوفية) ، فأقام هذا الراهب عدة أيام فى منزل هذا الفلاح وبدأ إبليس (المخلوق المُصر على إسقاط البشر) بإقحامه بأفكار إبليسية تتعلق بهذه الفتاة ، فكان الراهب يسعى دائماً لإيجاد الفرصة المناسبة للوصول إليها ، وكان إبليس وهو المدبر لهذا التفكير النجس هو من دبر الفرصة المناسبة لذلك ، فذهب والد الفتاة فى عمل خارج المدينة حيث إنتقل إلى مدينة عسقلان ، ولمعرفة هذا الأخ الراهب أنه ليس فى المنزل سوى الفتاة وهو، فإتجه إليها وبدأ فى إظهار نواياه السيئة لها ، وعندما أدركت الفتاة إلى أى مدى هذا الراهب مشتعل رغبةً فيها ، فقالت له الفتاة : لا تكن مثاراً هكذا وتتصرف بخساسة نحوى ، فإن والدى لن يأتى اليوم ولا حتى غداً ، ولكن أولاً إستمع لما يجب علىَّ أن أخبرك به ، يعلم الرب تماماً إننى سوف أفعل أى شئ تطلبه منى ، ثم بدأتْ تتحدث معه بشكل من المنطق وقالت له : أنت يا أخى كم من الزمن أمضيته

فى هذا الدير؟ رد الراهب قائلاً : سبعة عشر عاماً ، فقالت له : هل سبق لك أى علاقة مع إمرأة من قبل ؟ رد الراهب : لا لم يكن لى ، فقالت له الفتاة : إذن هل تريد أن تفسد كل حياتك الخاصة مع الله نظير ساعة من المتعة؟ أخبرنى كم عدد المرات التى إنهمرت فيها باكياً لعل الرب يسوع المسيح يقبل نفسك بلا خطية ؟ وأنت الآن ترغب فى تبديد كل هذا العمل من أجل متعة لحظية ، وإذا إستطعت فى تحقيق ما ترجوه ووقعت فى خطية الزنا معى ، فهل ستتعهد بمسئوليتى و تساعدنى بعد ذلك ؟ إعترف الأخ بأنه لن يفعل ، فأجابت الفتاة العذراء وقالت له : حقيقة هذا ليس كذب ، فإذا جلبت لى العار الآن فإنك سوف تكون المسئول عن الكثير من الشرور ؛ سألها الراهب : كيف ذلك؟

أجابت الفتاة العذراء وقالت : أولاً ستفسد روحك ومن ناحية أخرى ستكون مسئولاً عن روحى أنا أيضاً ، وحتى تكون على دراية بكل الأمور، فإنى أتعهد أمام إلهنا يسوع المسيح أنك إذا جلبت علىَّ العار سوف أقتل نفسى وستكون أنت مسئولاً عن جريمة قتل بالإضافة إلى جريمتك كزانى وسوف تحاكم كقاتل ، إضافة إلى المزيد من الشرور التى ستتسبب فيها للدير الذى كنت تعيش فيه يا أخى لديك الكثير لكى تصلى له من أجلى ، فعاد هذا الراهب إلى صوابه وغادر المزرعة وذهب إلى الدير الذى كان يعيش فيه وإنطرح أمام رئيس هذا الدير معترفاً وصلى وقرر ألا يترك قلايته مرة ثانية وأن يقضى باقى حياته داخل الدير، وعاش هذا الراهب ثلاثة أشهر فقط ثم تنيح بسلام .

٤٠ـ حياة الأب كوزمس المخصي

نقلت هذه القصة عن الأب باسيل [Basil] الكاهن فى دير بيزانطيس[1] [Byzantines] ، يقول عندما كنت مع الأب غريغوريوس [Gregory] بطريرك ثيؤبوليس[2] [Theoupolis] جاء الأب كوزمس [Cosmos] المخصى من أورشليم إلى دير فرعون وكان هذا الرجل نِعم الراهب قلبه مُفعم بالإيمان إيمانه مستقيم وواسع المعرفة بالكتاب المقدس ، ولكنه توفى بعد أيام من وصوله إلى الدير، ورغبة منا بأن نُكرم ذِكراه أمر البطريرك بأن يُدفن فى نفس المقبرة التى دُفن بها الأسقف ، وبعد يومين أتيت لأقبل قبر هذا الراهب ، كان هناك رجل مصاب بشلل يرقد على قمة هذا القبر يطلب صدقة ممن يترددون على الكنيسة ، وعندما رآنى هذا الرجل الفقير أصلى لهذا الراهب القديس وقمت بعمل ثلاثة ميطانيات أمام قبره قال لى هذا الفقير: أيها الأب هل تعلم أن الرجل الذى دُفن فى هذا المكان منذ ثلاث أيام بالفعل رجل صالح ؟

أجبت هذا الفقير قائلاً : وكيف علمت ذلك ؟ أخبرنى الرجل الفقير قائلاً: لقد كنت مشلولاً لمدة عشرين عام وقد إستخدم الله هذا الرجل الصالح ليشفينى ، وكلما أصابنى بعض القلق كان يأتى إلىَّ ويُعزينى ، ولكننى سأخبرك شيئاً غريباً

---

[1] يوجد هذا الدير في أورشليم عند جبال الزيتون وأنشئ في بدايات القرن السادس.

[2] تشير هذه المدينة في أغلب الأحيان إلي أورشليم .

عن هذا القديس الراهب ، فمنذ دفنه هنا فى هذا المكان وأنا أسمعه كل ليلة يقول للأسقف : لا تلمسنى إبقى بعيد عنى لا تقترب منى ، فأنت أحد هؤلاء المهرطقين وأعداء الكنيسة الحقيقية الكنيسة الأرثوذكسية المقدسة ، وحيث أن هذا الرجل الصالح قد شفانى من الشلل فقد ذهبت إلى البطريرك وتوسلت له مراراً وتكراراً بأن ينقل جسد هذا الراهب لمكان آخر يدفن فيه ولكن البطريرك قال لى : صدقنى يا بنى إن الأب كوزمس لن يصاب بأى أذى من المهرطقين ، فكل ما يحدث فبسبب إيمان هذا الرجل الراهب وإشتعال قلبه بحب المسيح ، ولقد عرفنا هذا الرجل حقاً بعد رحيله ، أما بالنسبة للأسقف فلم نعد نتمسك بتعاليمه ولم نعد نعتبره واحداً ممن يتبعون الإيمان الصحيح .

يحكى نفس الأب باسيل عن الأب كوزمس يقول :

قمت بزيارة الأب كوزمس وكان يقيم فى دير فرعون حيث قال لى : راودنى بعض الشك فى بعض أعداد الكتاب المقدس ، والتى كان الرب يسوع المسيح يقول فيها لتلاميذه : " **ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفاً ، فقالوا يارب هوذا هنا سيفان ، فقال لهم يكفى**" (لو٢٢: ٣٦ ، ٣٨) ، وعندما أُرهقت من التفكير فى المعنى وراء هذه الآية ، قررت الخروج من قلايتى وقطعت طريقاً طويلاً تحت لهيب الشمس متجهاً إلى دير بيرجيا [Pyrgia] حيث يمكث هناك الأب ثيؤفيلوس [Theophilos] ، وبينما كنت أسير فى الصحراء وبالقرب من الدير وإذ بتنين كبير يهبط من فوق الجبل متجهاً إلى دير كالامون [Calamon] ، كان هذا التنين ضخماً للغاية حتى أنه كان يصنع فجوات فى الأرض أثناء حركته ، وفجأة وجدت نفسى أمر من خلال تلك الفجوات دون أى أذى ، وعندها عرفت أن الشيطان كان يحاول أن يضللنى عن مقصدى ، ولكن بالصلوات التى عمت المكان إستطاع هذا الرجل الصالح بلوغ مقصده ، وعندما وصل الراهب إلى الأب ثيؤفيلوس وقرأ عليه الجزء الذى يؤرقه من الكتاب المقدس، وأخبره الأب ثيؤفيلوس بتفسير كلمة **السيفان** بمعنى الإيجابى والمتأمل، فإذا تمتع المؤمن بهاتين الفضيلتين الإيجابية والتأمل يكون قد سعى نحو الكمال.

فقد قمت بزيارة الأب كوزمس فى دير فرعون ومكثت معه طيلة عشر سنوات كان طوال هذه الفترة يتحدث عن خلاص الروح ، وكلما أتى ذكر القديس أثناسيوس [Athanasios] بطريرك الإسكندرية فى حديثنا كان يقول: الأب كوزمس عندما يأتى إلى ذهنك ذكر الأب أثناسيوس العظيم ولم يتوفر لديك ورق لتكتب عنه فلتكتب على ملابسك كم كان هذا الأب ممتلئ بنعمة المسيح التى تمتعنا بها معه كآباء ومعلمين ، كما ذكر أيضاً أحد الأمور التى كانت تحدث للأب أثناسيوس فقال : كان فى عشية اليوم المقدس يبقى هذا الأب القديس واقفاً يرنم ويقرأ الكتاب من الغروب حتى شروق الشمس سواء كان فى قلايته أو فى الكنيسة ولا يجلس على الإطلاق ، وبعد شروق الشمس وعندما تبدأ طقوس القداس كان يسمح لنفسه بالجلوس لقراءة الكتاب حتى وقت التناول .

٤١ـ حياة الأب بولس

أيضاً فى نفس هذا الدير المقدس يوجد به راهب يدعى الأب بولس ، وكان من مدينة أنازاربوس[1] [Anazarbos] ، هذا القديس العظيم كان يتمتع بفضيلتين عظيمتين وهما التواضع وإنكار الذات الشديدين، وكان مكرساً تماماً للرب، كانت دموعه تنهمر كل يوم لا أعتقد أننى قد قابلت شخصاً مثله طوال حياتى سلك هذا الراهب الناسك حياة الزهد لخمسين عام وكان يقتات من بركة بسيطة يقدمها له الدير حيث أنه كان لا يقبل أى شئ إضافى غير الطعام الذى يتسلمه.

٤٢ـ حياة الأب أوكزانون

وفى نفس هذا الدير أيضاً رأينا الأب أوكزانون [Auxanon] فى القلاية الخاصة به ، كان رجلاً عطوفاً عفيفاً ويعيش فقراً مدقعاً فكان يعامل نفسه بقسوة شديدة وخلال زيارتنا والتى إستمرت أربعة أيام لم يتناول هذا الراهب غير كسرة صغيرة من الخبز ، والتى تعادل تقريباً الكسرة التى نقدمها فى القداس ، وفى أحيان أخرى كانت هذه الكسرة تكفيه طوال الأسبوع ، وإستمر هكذا طول أيام حياته.

---

[1] هي مدينة نيفارزا (Nevarza) الآن في سليشيا .

فى أحد الأيام شعر هذا الأب القديس بآلام شديدة فى معدته فحمله بعض الإخوة ليتلقى العلاج فى مستشفى لعلاج العجزة تابعة للبطريركية فى المدينة المقدسة أورشليم ، وفى أحد الأيام حضرنا لزيارته ، وعرفنا أن الأب كونون [Conon] رئيس دير القديس الأب ساباس كان قد أرسل له سلة بها بعض المؤن من الكنيسة وستة عملات ذهبية مع رسالة مضمونها : سامحني يا أبانا فقد منعنى المرض من المجئ إليك للإطمئنان عليك بنفسى ؛ فقبل الأب أوكزانون المؤن وأرسل العملات الذهبية مرة أخرى للأب كونون مع رسالة مضمونها : إذا أبقانى الله على قيد الحياة ، فإن لدىَّ عشر قطع ذهبية أخرى ، فإذا كنت أنا بحاجة إلى المال فسأطلب منك إرسال العشرة قطع الأخرى ولكن يجب أن تعلم أنه بعد يومين من الآن سوف أرحل عن هذا العالم ، وحدث ما قاله الأب وتنيح وحملناه إلى دير فرعون لندفنه هناك.

كان هذا الرجل القديس هو واحد ممن تتلمذوا على أيدى الآباء القديسين الأب أوستيكيوس [Eustochios] والأب غريغوريوس [Gregory] ولكنه تركهما الإثنين وأكمل بنيته الروحية فى البرية ، كما كان هذا الرجل من مكان يدعى أنكيرا [Ancyra] فى غلاطية .

٤٣ـ موت بطريرك تسالونيكى الرهيب

كان فى تسالونيكى بطريرك يدعى ثاليلايوس [Thalilaios] كان هذا الرجل غليظ القلب لايخشى الله ولا العقاب الذى ينتظره ، وكان يسحق بقدميه التعسة كل التعاليم المسيحية ، ويستهين بالكرامة الكهنوتية تحول إلى ذئب شره بدلاً من كونه راعى غنم ، ورفض تأليه الثالوث القدوس وأصبحت عبادته بدلاً من أيها الرب إغفر لى إتجه لعبادة الأصنام .

أدى هذا كله إلى رفضه تماماً وبإجماع عام من قِبَل كل رؤساء الكنائس فى ذلك الوقت ، وبعد مرور بعض الوقت أراد هذا الكاهن المنغمس فى الظلم أن يستأنف حياته الكهنوتية وقد إستعمل الرشوة لتحقيق ذلك ، وكان كما قال أكثر البشر حكمة سليمان الحكيم :" **فإن الذهب أهلك كثيرين وأزاغ قلوب**

الملوك"(سيراخ ٨ : ٣) فإنه قد تم إستدعائه وأُمر بالرجوع إلى إيبارشيته التى كانت تقع فى القسطنطينية حيث كان يعيش كل الحكام هؤلاء الذين قال عنهم إشعياء : " **الذين يبررون الشرير من أجل الرشوة وأما حق الصديقين فينزعونه منهم** " (أش ٥: ٢٣) ، ولكن الله لم يهمل كنيسته فقد حول الرب يسوع المسيح الحكم الظالم الذى صدر من أجل صالح هذا الأسقف وكان بمثابة خرق للقوانين الرسولية بأنه فى أحد الأيام إرتدى هذا الرجل أزهى ملابسه وكان على موعد لمقابلة هؤلاء الحكام ليعيد عزته الكهنوتية بفضل قرارهم ، وعند مغادرته لمنزله شعر بالألم فى أمعاؤه فإتجه إلى دورة المياه ، كان هناك بعض الأفراد فى إنتظاره بالخارج إستمر إنتظارهم لمدة ساعتين ولكنه لم يخرج شعر بعضهم بالقلق فقرروا دخول دورة المياه ليتبينوا الأمر، وعند دخولهم وجدوا رأس هذا الرجل مدفونة فى مصرف دورة المياه وقدميه معلقة فى الهواء ، وقد حصل هذا الرجل على العقاب المناسب والمنصف له ليموت موتاً أبدياً مثلما حدث مع آريوس عدو المسيح الذى دنس مقدسات الرب ، فإن ما حدث مع آريوس [Arius] عندما إرتفعت آماله وأراد أن يستعيد وجوده فى الكنيسة بتعاون بعض القضاة فى المحكمة قام ملاك الرب ببعثرة أمعاؤه فى مصرف دورة المياه (فقد كانت آلامه مبرحة نتيجة تجديفه) ، وهذه القصة تذكرنا أيضاً بثاليلايوس [Thalilaios] ، فعندما أراد أن يستمر فى شروره التى سبق وأن فعلها بالتواطؤ مع بعض رجال السلطة فى ذلك الحين قام ملاك الرب الذى كان يرعى كنيسة تسالونيكى بالإتحاد مع الشهيد ديمترى وفى نفس المكان الذى كان ثاليلايوس يقابل فيه إبليس النجس ليدبر معه الخطط لإفساد الكنيسة المقدسة حيث كانت نهايته فى نفس المكان وقد سمر جسده ورفع فى الهواء وأخذ يسير فى الطريق المعاكس لطريق التقوى حاملاً علامة تشير إلى العقاب الذى ينتظره ، وكما ذكر :" **مخيف هو الوقوع فى يد الله الحى**" (عب ١٠: ٣١) .

٤٤ـ صلاة أحد الرهبان من أجل أحد الإخوة المتنيحين

عندما جئنا إلى أنطينو[1] [Antinoe] كان هناك راهب عجوز يتمتع بسمعة طيبة بين الأديرة ، وكان يعيش بعيداً عن المدينة ومكث فى قلايته بالدير

---

[1] Antinoopolis وهي مدينة أنشئت في عهد الإمبراطور هادريان وذلك لتصبح علامة واضحة للنيل وهو المكان الذي توفي فيه حبيبه أنطونيو في عام ١٣٠-بعد الميلاد.

طيلة سبعين سنة كما كان لهذا الراهب الصالح عشرة تلاميذ ولكن أحد هؤلاء التلاميذ كان شديد الإهمال لحياته الروحية ، وكثيراً ما حثه الراهب العجوز على الإعتناء بحياته الروحية متوسلاً وقائلاً : يا أخى إعتنى بروحك فإن الموت ينتظرك وطريق العقاب أمامك ، ولكنه كان لا يعير أى إهتمام لكلام الراهب العجوز ويرفض كلامه ، وبعد فترة مات هذا الأخ فحزن الراهب العجوز حزناً شديداً عليه عالماً أنه قد ترك العالم حزينا مفتقراً إلى الإيمان والتكريس لله فسجد العجوزلله وصلىلأجل هذا الأخ المتوفى قائلاً : أيها الرب يسوع المسيح إلهنا الحقيقى إكشف لى عن مكان روح هذا الإنسان الآن ، وراح العجوز فى سُبات فرأى نهراً من النار مزدحم بالكثير من الناس وفى المنتصف تماماً وجد هذا الشخص والنيران تصل حتى عنقه، فقال له الراهب العجوز : يا بنى ألم يكن هذا جزاء عدم طاعتك وقيامك بما طلبته منك فكان يجب عليك الإهتمام بأمورك الروحية ، فأجاب الراهب الشاب : أشكر الرب بصلواتك أنقذت رأسى ، لكن أرجوك يا أبى لا تفترعن النصح والإرشاد لكل أولادك لئلا يصيبهم ماأصابنى ويلقوا نفس مصيرى .

٤٥ـ تكريم الناسك لأيقونة السيدة العذراء

أخبرنا أحد الرهبان عن الأب ثيؤدورالأليوتى [Theodore the Aeliote] أنه قد قص له أنه كان هناك ناسك يعيش فى دير على جبل الزيتون ، وكان محارباً قوياً وعنيفاً ضد حرب الشهوات الجسدية التى كان يشنها عليه الشيطان ، وفى أحد الأيام وبينما كان إبليس يحاربه بشده توقف الناسك محبطاً وقال له : كم من الوقت وأنت لا تدعنى أذهب ؟ كف عن هذا فلقد أصابتنا الشيخوخة نحن الإثنين معاً ، فظهر له الشيطان مرئياً وقال له : إقسم لى بأنك لن تكشف لأى شخص ما سوف أخبرك به ، فوعده الناسك قائلاً : أعدك بإسم الإله الساكن فى السموات بأننى لن أخبر أى شخص عما ستقوله ، فقال له إبليس : كف عن تكريمك وتمجيدك لهذه الأيقونة وأنا سأوقف الحرب عنك ، وقد كانت الأيقونة للسيدة العذراء مريم وهى تحمل الرب يسوع المسيح ، فقال له الناسك : دعنى أذهب وسأفكر فى الأمر، وفى اليوم التالى أرسل هذا

الناسك طالباً الأب ثيؤدور والذى كان يرأس دير فرعون ، وعندما أتى إليه الأب ثيؤدور أخبره الناسك بكل شئ ، فقال له الأب ثيؤدور: حقيقة ، لقد أوقعك إبليس فى شَرك ولكن لقد فعلت الصواب بالإفصاح عما حدث ، وسوف يكون من الأفضل لك أن لا تترك بيتاً واحداً يمارس فيه الفسق فى المدينة وذلك حتى لا تنقص وتقلل من تمجيدك للرب وتكريمك للسيدة العذراء ، وعزاه الأب ثيؤدور بكلامه وسر قلبه كثيراً ثم تركه وعاد إلى حيث أتى ، ثم ظهر الشيطان مرة ثانية للناسك وقال له غاضباً : ماذا فعلت أيها العجوز الشرير؟ ألم تعدنى بأنك لن تخبر أحداً ؟ لماذا إذن كشفت كل شئ للرجل الذى أتاك ؟ يجب ان أخبرك أيها العجوز الشرير بأنك يوم الحساب ستعاقب كحانث للعهد ، فأجابه الناسك قائلاً : أعلم أننى قطعت على نفسى عهداً وحنثته ، و لكن الوفاء بالعهد يكون مع الرب وليس مع الشيطان ، فأنت من بدأ الشر فى العالم وأول من حنث العهد وأنت من سيواجه تبعات أفعاله السيئة حيث لا يوجد مفر .

٤٦ـ الرؤية العظيمة التي رآها الأب سيرياكوس

فى أحد الأيام قمنا بزيارة إلى الأب سيرياكوس [Cyriacos] فى دير كلامون [Calamon] عند نهر الأردن المقدس وأخبرنا القصة التالية :

فى ذات ليلة بينما كنت نائم ، وإذا بإمرأة تقف أمامى خارج القلاية فى منظر مهيب له جلاله وكانت ترتدى زياً أورجوانياً ، ثم رأيت رجلاً عظيم المظهر تظهر عليه مظاهر الهيبة والنبل ، بدا لى أن تلك المرأة هى السيدة العذراة والدة الإله وأن الرجل الذى معها هو القديس العظيم يوحنا المعمدان ، فهرعت خارج القلاية راجياً منهما الدخول والصلاة داخل قلايتى ، لكنها لم توافق على طلبى لججت فى طلبى وتوسلت إليها مسترجعاً آية من المزامير "**لا يرجعن المنسحق خازياً. الفقير والبائس ليسبحا إسمك**" (مز ٧٤ : ٢١) وكثير من هذه الآيات ، فعندما أدركت السيدة العذراء أننى صادق فى إلحاحى أجابتنى بهدوء شديد قائلة : كيف تطلب منى أن أدخل إلى قلايتك بينما هناك عدو بداخلها ، وبعد قولها هذا إنصرفت وعندما إستيقظت أصابنى القلق الشديد وبدأت فى التساؤل ربما أكون قد أسأت إليها فى أفكارى ، لا يوجد أحد معى فى هذه

القلاية ثم بدأت أفحص نفسى لفترة طويلة لعلى أعرف الشئ الذى أزعجها والذى أكون قد إرتكبته ضدها كاد إحساسى بالندم يقتلنى حتى أخذت لفافة من الورق وبدأت أقرأ لعلى أجد ما يخفف من إحساسى هذا ، كنت قد أحضرت هذا المكتوب من كاهن كنيسة أورشليم الأب هيسيكيوس [Hesychios] ، وعندما فتحته وجدت جزئين مكتوبين من قِبَل مجموعة المهرطقين النسطوريين فى آخر الكتاب ، وعلى الفور أدركت الشئ الذى أحزن السيدة العذراء والدة الإله والذى قالت عليه أنه عدوها ، فأخذت الكتاب وإتجهت به إلى من أعطاه لى وقلت له : خذ هذا الكتاب فلم يأتى لى بأى منفعة بل أتى علىَّ باللعنة ، وعندما سألنى كيف أتى عليك باللعنة أخبرته بما حدث ، وعندما سمع ما حدث لى على الفور إنتزع الجزء المكتوب من قِبَل هؤلاء المهرطقين ومزقه وألقى به فى النار وقال : إن عدو السيدة العذراء والدة الإله لا يجب أن يبقى فى أىٍ من قلاياتنا.

٤٧ـ معجزة السيدة العذراء مع الممثل الذي يجدف عليها

فى مدينة هليوبوليس [Heliopolis] فى فوينشيا [Phoenicia] اللبنانية كان هناك ممثل يدعى جاياناس [Gaianas] إعتاد أن يجدف على إسم السيدة العذراء والدة الإله وذلك أثناء عمله كممثل على المسرح ، فظهرت له السيدة العذراء فى أحد الأيام وقالت له : ما الشر الذى فعلته بك حتى تسبنى أيام الكثير من الناس وتجدف علىَّ ؟ فنهض الرجل من مكانه مندهشاً ولكنه لم يصلح من طريقته فى التمثيل على المسرح وإستمر فى التجديف على إسم السيدة العذراء أكثر مما سبق ، فظهرت له السيدة العذراء ثلاث مرات وأخذت فى توجيه اللوم والعتاب له وتحذره ، ولكنه بقى على طريقته فلم يصلح منها أو يقلل من حدة أسلوبه ، فظهرت له السيدة العذراء مرة أخرى ولكنه كان نائماً فى منتصف اليوم ولكنها لم تنطق بشئ على الإطلاق كل ما فعلته أنها مزقت يديه وقدميه بأصابعها ، وعندما إستيقظ الرجل وجد يديه وقدميه وقد أصيبا بمرض شديد ورقد الرجل كما لو كان جزع شجرة ملقى هنا فقط إعترف هذا الرجل التعس لكل شخص بأنه قد تلقى جزاء عمله بسبب سبه للسيدة العذراء مريم وقد أصبح عِبرة لكل شخص قال هذا من أجل حبه لكل من يتبعه من الناس .

٤٨- معجزة أخري للسيدة العذراء مع إحدى المهرطقات

أخبرنا الأب أناستاسيوس [Anastasios] كاهن وأمين خزانة كنيسة قيامة يسوع المسيح إلهنا أن زوجة جيرمانوس أحد الأشراف الرومانيين جاءت ذات يوم للصلاة بمفردها عند قبر مانح الحياة الرب يسوع المسيح الإله الحقيقى، وعندما إتجهت هذه المرأة نحو المكان المقدس قابلتها السيدة العذراء وهى بصحبة نساء أخريات فى صورة مرئية وقالت لها : أنت لست منا ولا يجب عليك الحضور إلى هنا فأنت غريبة عنا كانت فى الحقيقة أن هذه المرأة تتبع تعاليم أحد الطوائف المهرطقة ، فتوسلت المرأة بشدة للسيدة العذراء حتى تسمح لها بالدخول ولكنها أجابت عليها قائلة : صدقينى يا إمرأة لن تدخلى حتى تكونى فى شركة معنا ، فأدركت المرأة أن هذا بسبب إتباعها للتعاليم المهرطقة لذا فهى غير مسموح لها بالدخول ولا حتى الإنضمام للكنيسة الأرثوذكسية الجامعة .

أرسلت المرأة طالبة أحد القساوسة وعندما وصل ومعه جسد المسيح ودمه ، قامت بتناول جسد ودم المسيح مخلصنا الصالح ، والآن أصبحت بالفعل مستحقة بأن تصلى دون أى موانع عند القبر المقدس للرب يسوع المسيح .

٤٩- الدوق الفلسطيني الذي يتبرأ من طائفته المهرطقة بسبب رؤيا

أخبرنا الكاهن أناستاسيوس أيضاً أنه عندما أصبح حاكم الجيش فى فلسطين أول ما فعله أنه جاء ليصلى فى كنيسة قيامة الرب يسوع المسيح ، وبينما كان يدنو منها وإذ بكبش كبير يتجه إليه بنية أن يضربه بقرونه ، فخاف الرجل خوفاً عظيماً فرجع إلى الخلف نحو حراس الكنيسة والجنود الواقفون هناك ، فقالوا له : ما الأمر يا صاحب السمو؟ لماذا لم تدخل إلى الكنيسة ؟ فقال لهم الحاكم : لماذا أحضرتم هذا الكبش إلى هذا المكان ؟

بهت الحرس مما يقوله الرجل ولم يتمكنوا من التفكير والرد عليه ، وكان زملائهم داخل المكان المقدس لم يروا شيئاً ، فبدأوا فى الإلحاح عليه بالدخول مؤكدين أنه لا يوجد أى كبش هناك حاول الحاكم مرة ثانية الدخول

ولكنه رأى نفس الكبش مرة أخرى يمنعه من الدخول تكررهذا المشهد عدة مرات ، أو على الأقل بالنسبة لعين الحاكم ، أما الأشخاص الذين كانوا برفقته فلم يروا شيئاً ، فقال له حارس الصليب الموجود هناك : صدقنى يا صاحب السمو يوجد شئ فى روحك هو الذى يمنعك من دخول قبر مانح الحياة ربنا يسوع المسيح والصلاة بداخله قد يكون من الأفضل لك أن تذهب وتعترف أمام الرب ، فإن الرب له ترتيبه الخاص مع شعبه وقد كان رحيماً معك بأن أظهر لك تلك الرؤيا : إنفجر الحاكم فى البكاء وقال : أنا مسئول عن الكثير من الخطايا أمام الرب ، وإنحنى برأسه نحو الأرض وظل يبكى فى مكانه لفترة طويلة وهو يصلى ويعترف للرب ، ثم نهض الرجل بعد ذلك متجهاً إلى قبر ربنا يسوع المسيح ولكن نفس الكبش منعه مرة ثانية من الدخول فقال له : حارس الصليب الواقف فى المكان : لا تزال هناك بعض الموانع ، فرد الحاكم قائلاً : لعل السبب الذى يمنعنى من الدخول هو أننى أتناول فى القداس طبقاً لتعاليم سيفيرونيوس وليست طبقاً لتعاليم الكنيسة الجامعة المقدسة .

توسل الحاكم لحارس الصليب أن يحضر له جسد ودم المسيح ليتناول سراً من أسرار الكنيسة الأرثوذكسية وتناول الحاكم ودخل ليتعبد ويصلى عند قبر ربنا يسوع المسيح ولم يعد يرى تلك الرؤيا المرعبة مرة ثانية.

٥٠ـ رؤية الأب الناسك جرجس وقوله

فى مدينة سيثبوليس [Scythopolis] ، المدينة الثانية فى فلسطين ، وهناك قابلت الأب أناستاسيوس [Anastasios] ، والذى أخبرنا عن الأب الناسك جورج [George] الآتى :

إستيقظت فى إحدى الليالى لأقرع على الخشب كإشارة لبداية القداس حيث كنت أعمل ككبير المرتلين فى الكنيسة ، وأثناء قيامى بذلك سمعت صوت رجل عجوز يبكى بشدة إتجهت نحو الصوت فوجدت الأب جورج ، فسألته عن سبب بكاءه قائلاً : يا أبى ماذا بك وما الذى يجعلك تبكى بهذه الصورة ؟ لم ينطق هذا الأب بكلمة واحدة ، فسألته مرة ثانية : أخبرنى عن سبب حزنك ؟ تنهد الرجل بعمق وقال لى : كيف لا أبكى ، وأنا أرى أن الرب غير راض

عنى ؟ أنا أرى نفسى واقفاً أمام شخص سيكوندا [عرش عالى ويقف من حوله الألوف من البشر يتوسلوا إليه ويلحون عليه بشأن أمر ما ولكنه لم يقتنع ، ثم رأيت إمرأة فى زيها الأرجوانى أتت إليه وإنحنت أمامه قائلة : أرجوك من أجل خاطرى إستجب لهذا الطلب ، ولكنه لم يهتز لطلبها لذا فإنى أبكى وأرثى لحالنا، فأنا أخشى مما سيحدث لنا] .

قال الأب جورج هذا الكلام عند بداية أول شعاع ضوء صباح يوم الخميس ، وفى يوم الجمعة ضرب زلزال عنيف مدن ساحل فيونيشيا [Phoenician] ، وأخبرنا أيضاً الأب أناستاسيوس عن نفس الناسك جورج وقال :

بعد هذه الحادثة بفترة من الزمن وبينما يقف الناسك جورج فى نافذته داخل قلايته قال لى : فلنشعر بالأسف يا أخى ، ألا يوبخنا ضميرنا على خطايانا ونعيش هكذا حياة من الغفلة والإهمال ، فأنا أخشى أن نكون على أبواب الهلاك الأبدى ، فإن غضب الله سوف يعم علينا ، وفى اليوم التالى لهذا الحوار ظهرت نيران فى السماء .

٥١ـ حياة الأب جوليان المقيم في الدير المصري

فى أنازربوس مطرانية سيليزيا سيكوندا [Anazarbos the metropolis of Cilicia Secunda] والتى تقع على بعد عشرين ميل من الدير المصرى أخبرنا الآباء هناك أنه منذ خمس سنوات تنيح أحد الرهبان الصالحين و يدعى الأب جوليان [Julian] ، ونحن نشهد أنه قد أمضى حوالى سبعين عام فى كهف صغير وأنه لم يكن لديه أى أمتعة خاصة غير رداء مصنوع من الشعر وعباءة والكتاب المقدس وإناء خشبى ، وكما قال الآباء أيضاً عن الأب جوليان أنه طيلة حياته لم يضئ أى مصباح ليحصل على إنارة بل كان يستمد إنارته طوال فترة الليل من ضوء القمر الآتى من السماء فكان بالنسبة له كاف لقراءة أى مكتوب قد يأتى إليه.

٥٢ـ الأب إلياس المتوحد

قام أحد الرهبان بزيارة إلى الأب إلياس [Elias] المتوحد فى كهف الأب ساباس [Sabas] وقال له : يا أبانا إعطنى حكمة أستنير، فقال له الأب إلياس : فى الماضى كان آباؤنا يتحلوا بثلاث صفات هى : التقشف والتواضع والعفة أما رهبان هذه الأيام يتصفون بالجشع والشره والتهور، فإختار أى الطريقين تريد السير فيه .

٥٣ـ الأب سيرياكوس

أخبرنا الأب ستيفان تريكيناس [Stephan Trichinas] عن أب صالح يدعى سيرياكوس [Cyriacos] وكان يعيش فى دير الأب القديس ساباس ، وفى أحد الأيام ذهب الأب سيرياكوس إلى مدينة كوتيلا [Coutila] وأقام هناك لفترة بجوار البحر الميت ، ثم قرر العودة إلى قلايته فى الدير وأثناء عودته شعر بالتعب الشديد وذلك لشدة حرارة الشمس ، فوقف فى الطريق ومد يده نحو السماء مصلياً لله قائلاً : أيها الرب الإله أنت تعلم جيداً أننى بالكاد أتحرك من شدة حرارة الجو والظمأ ، وعلى الفورأتت سحابة ورافقته لمسافة حوالى عشرين ميل حتى دخل قلايته فى الدير .

وحكى لنا نفس الأب ستيفان عن نفس الأب سيرياكوس ، أنه أتى بعض أقارب الأب سيرياكوس للدير لرؤيته وعندما دخلوا الدير قاموا بسؤال بعض الإخوة للإستفسار عن مكانه بالضبط ، فأشار بعض الناس إلى مكانه بالضبط فى الدير، فإتجهوا إليه وقاموا بالقرع على الباب حتى يفتح ، فعرف الأب من يكونوا وأخذ يصلى إلى الرب ألا يروه ثم ذهب وفتح الباب وخرج من قلايته ولكن أحد لم يراه وإنطلق نحو البرية ومكث هناك لفترة حتى إنصرف أقرباؤه.

٥٤ـ حياة الرهبان في دير سكيتي

قابلنا الأب ثيؤدور [Theodore] بطريرك الإسكندرية فى ترينيوثيس [Terenuthis] ، وقال لنا هذا الأب : يا أبنائى تماماً كما توقعت قد ضل الرهبان طريقهم صدقوا العجوز الذى يتحدث إليكم ، فقد كان بين المقيمين فى

هذا الدير الحب العظيم والتقشف والبصيرة ، وقد رأيت الكثير من الرهبان الذين لم يذوقوا الطعام إن لم يحضره أحد إليهم ، كان من بين هؤلاء رجل يدعى أمونيوس [Ammnios] كان يعيش بالقرب منى ، وبمجرد أن علمت بطريقته فى الحياة إعتدت أن أذهب إليه كل سبت لأقدم له الطعام الذى يقبله فقط بسبب تدخلى ، كان لا يهتم بالأوقات التى يأتي فيها الزائرون الذين يأتون إليه للصلاة كانت تلك هى حياة هؤلاء الآباء فكانوا بمجرد الإنتهاء من الصلاة ، كانوا على الفور يعدون المائدة لتناول الطعام .

٥٥ـ الأب الذي تحدث إلي إبليس

أخبرنا الأب أرينيؤس [Arenaeus] أنه كان هناك راهب صالح يعيش فى دير سكيتى [Scete] ، وفى المساء رأى هذا الراهب إبليس يقدم أدوات زراعة لأحد الإخوة ، سأل الراهب الشيطان : ما هذه الأشياء ؟

فرد الشيطان قائلاً : إنى أقدم هذه الأشياء لأشغل ذهن هؤلاء الرهبان فيكونون أقل مواظبة وحرصاً على تمجيد الرب .

وقال لنا الأب أرينيؤس أيضاً أنه عندما أتى البربر إلى سكيتى ، تركت المكان وإتجهت إلى مدينة غزة حيث إخترت لنفسى قلايتى فى أحد الأديرة هناك وأعطانى رئيس الدير هناك كتاباً (عن حياة الرهبان فى مصر) ، وفى نفس اليوم جلست حتى أقرأ ، وبمجرد أن فتحت الكتاب وجدت جملة من أحد الإخوة موجهة إلى أحد الرهبان تقول : صلى لى يا أبى .

فقال له الراهب : عندما كنت معنا كنت دائماً أصلى لك ، ولكنك الآن ذهبت إلى حيث موطنك لذا فلن أصلى لك بعد الآن .

عندما قرأت هذا قلت لنفسى : أيها الأب أرينيؤس التعس لقد هربت إلى موطنك ، لذا لن يصلى لك أحد من الآباء بعد الآن ، فقمت بإعادة الكتاب إلى رئيس الدير وتركت المكان وذهبت إلى الدير الذى أتيت منه ، لذا يا أبنائى فأنا هنا الآن .

٥٦ـ التلميذ النجيب يوحنا

كانت هناك قرية بالقرب من مدينة فوينيشيا [Phoenicia] تدعى باراسيما [Parasema] حيث كان يعيش بها راهب عظيم وكان له أحد التلاميذ يدعى يوحنا [John] كان يتمتع بإحدى ثمار الروح القدس وهى الطاعة الشديدة ، وفى أحد الأيام قام الأب الراهب بإرسال تلميذه هذا لتأدية أحد المهام له وأعطاه قطعة من الخبز معه ليعيش عليها حتى يعود ، وذهب يوحنا وأتم ما طلبه منه الأب الراهب ثم عاد إليه ومعه قطعة الخبز ولم تمسسها يده ، وعندما رآها الأب سأل يوحنا : يا بنى لماذا لم تأكل أى من الخبز الذى أرسلته معك ؟ وبشئ من الخضوع قال يوحنا للأب : سامحنى يا أبى عندما باركتنى وصرفتنى إلى مهمتى لم تقل لى أننى سآكل هذا الخبز ولهذا فإننى لم آكلها ، فإندهش الراهب من إمتناع يوحنا عن تناول قطعة الخبز وباركه.

بعد نياحة الراهب ظهرت رؤيا للأخ يوحنا (الذى كان صائماً لمدة أربعين يوماً) وقيل له : أينما تضع يدك سوف تشفى المرضى ، وعندما أتى الصباح سمحت العناية الإلهية بمجئ رجل ومعه زوجته المصابة بداء السرطان فى أحد ثدييها توسل الرجل إلى الأخ يوحنا حتى يصلى ويشفى زوجته ، فقال له الأخ : أنا إنسان خاطئ ولا أستحق القيام بهذا ، فإستمر الزوج فى التوسل للأخ يوحنا ملحاً عليه حتى يشفق على زوجته المريضة .

حينئذ وضع الأخ يوحنا يده على مكان المرض وصلى ، ثم رسم الصليب عليه فشفيت المرأة على الفور، ومنذ ذلك الحين وهذا الرجل الصالح يصنع الكثير من المعجزات بالروح القدس خلال فترة حياته وبعد نياحته فإن رفاته كان له نفس القوة على الشفاء .

٥٧ـ قصة نياحة الناسك سيمون والأب الناسك جوليان

كان أحد النساك ويدعى سيمون [Symon] يقيم فى مكان ما يقع على بعد أربعة أميال من إيجايون [Aegaion] ، وفى أحد الأيام أصيب بصعق كهربائى وتوفى ، وفى نفس الوقت طلب أحد النساك ويدعى جوليان (كان يقيم

فى مكان ما عند خليج الإسكندرية) من أحد تلاميذه بأن يشعل البخور وكان هذا على غير العادة ، فقال له تلميذه : أخبرنا يا أبانا لماذا ؟ فقال لهم : لأن الأخ الناسك سيمون صعق بالكهرباء وصعدت روحه إلى السماء ولقد شاهدت روحه تصعد بفرح عظيم ، وكان كل من الأب سيمون والأب جوليان يبعدان عن بعضهما البعض مسافة أربعين ميلٍ .

٥٨ـ قصة أخري للأب الناسك جوليان

أخبرنا الأب ستيفان أيضاً رواية أخرى عن الأب جوليان الناسك كان هناك أسد قد ظهر فجأة فى البلدة وأهلك الكثير من الناس سواء كان غريبا أو من أهل البلدة ، وعلم الأب جوليان بهذا الأمر فقام بالنداء على تلميذه (كان يدعى بنكراتيوس Pancratios) وقال له : إذهب من هنا وعلى مسافة تبعد ميلين إثنين نحو الشمال ستجد أسداً كائناً فى عرينه فقل له : الأب جوليان البسيط يقول لك بإسم الرب يسوع المسيح إبن الإله الحى إبعد عن هذه البلدة ، فإنطلق التلميذ ووجد الأسد فى عريته فقام بإبلاغه رسالة الأب جوليان ، وعلى الفور ودون تأخير رحل الأسد ، وعلم الجميع بذلك ومجدوا الرب يسوع المسيح.

٥٩ـ الأب ثاليلايوس السيلزيانى

أخبرنا الأب بطرس كاهن نفس الدير بأن الأب ثاليلايوس [Thalilaios] عاش لمدة ستين عام راهباً ولم يتوقف عن البكاء على الإطلاق وكان دائماً ما يقول : لقد منحنا الله هذه الحياة للتوبة والتى نحن بالفعل بحاجة إليها لنفعل ذلك من أجله .

٦٠ـ الناسكة التي صنعت ممن أحبها راهباً

عندما كان فى الإسكندرية حكى لنا شخص كان يحب المسيح حباً شديداً الرواية التالية :

كانت هناك إمرأة ناسكة سلكت حياة التوحد والنسك فى بيتها وكانت تغذى روحها بالصوم والصلاة وصلوات العشية والقيام بأعمال خيرية فى شكل تبرعات ، ولكن إبليس هذا الكائن الدؤوب فى حربه على الجنس البشرى لم يتساهل مع تلك العذراء التقية ، فقد أعلن عليها الحرب وذلك بإشعال نيران الحب والشهوة الشيطانية فى قلب شاب ، فكان هذا الشاب ينتظرها كل يوم خارج منزلها وكلما خرجت للصلاة كان يعوق سيرها ويفرض عليها إهتمامه كما يفعل المحبون ، فسجن هذا الشاب هذه الراهبة بإهتمامه حتى عجزت على أن تطىء بقدميها خارج منزلها ، وفى أحد الأيام أرادت تلك الناسكة أن تضع حداً لهذا الإهتمام ، فقامت بإرسال خادمتها إلى هذا الشاب تحمل رسالته شفهية وهى : هل يمكن أن تأتى إلى منزل مخدومتى فهى تريد أن تراك .

هز هذا الخبر الشاب وسعد به كثيراً وإعتقد أنه أخيراً سيحقق رغبته فيها ، وذهب إليها ، وعندما دخل الشاب المنزل بينما كانت الناسكة تنسج على النول ، فقالت له : تفضل بالجلوس ثم جلست هى أيضاً ، وبدأت فى الحديث قائلة له : والآن يا أخى لماذا تضطهدنى هكذا ؟ لماذا لا تسمح لى حتى بمغادرة منزلى ؟ فرد الشاب قائلاً : يا سيدتى إنى أشعر برغبة شديدة نحوك متى تقع عينىَّ عليك أشتعل ناراً من قمة رأسى حتى أخمص قدمى .

فقالت له هذه الناسكة : ما الذى يجذبك لى ويجعلك تحبنى كل هذا الحب، أجاب الشاب : عينيكِ وعندما سمعت الناسكة هذا القول وعلمت أن عيناها قد تسببت فى ضلال هذا الشاب ، قامت بأخذ الإبرة وأقتلعتهما ، ففزع الشاب وندم ندماً شديداً عندما رأى ما فعلته بعينيها بسببه ، فإنطلق إلى دير سكيتى ليكرس حياته للرب وسلك حياة النسك والرهبنة .

٦١- حياة الأب ليونتيوس السليزاني

أخبرنا بعض الآباء عن الأب ليونتيوس [Leontios] أنه أثناء تواجده فى دير القديسة العذراء مريم أم الإله ، كان يخدم الرب يسوع بتفانى شديد إستمر هناك فيما يقرب من أربعين عام ولم يغادر الكنيسة قط ، وكان دائم التفكير والتأمل فى كلمات الرب وكانت له خدمته الخاصة ، كما أخبرونا عنه

أيضاً أنه إذا رأى شخص فى عوز شديد كان يقدم له العطية ، وإذا كان هذا الشخص كفيفاً كان يعطى له عطيته فى يده ، ولكن إذا كان مبصراً فإنه كان يضع هذه النقود أو العطية بطريقه سواء كان عند قاعدة أحد الأعمدة أو على مقعد أو فى طريقه للكنيسة فيراها الفقير ويلتقطها .

وعندما سأله أحد الرهبان : لماذا تفعل ذلك ؟ لماذا لم تضعها فى يده ؟

أجاب الأب : إغفر لى يا أبى ، ولكنى لست أنا من يعطى هذه العطية بل ربنا يسوع المسيح أو أمنا السيدة العذراء مريم من فعلوا ذلك له ولى .

٦٢ـ حياة الأب ستيفان كاهن دير إليوتس [Aeliotes]

يقول أحد الآباء : أن فى أحد الأيام كان الأب ستيفان [Stephan] جالساً فى قلايته وبدأ إبليس بتشويش ذهنه ببعض الأفكار قائلاً : إذهب إلى مكان آخر، إن هذا المكان لم يعد مناسب بالنسبة لك ، فقال الأب ستيفان له : لن أقبل ما تقوله ، أنا أعرف من تكون ؟ فأنت لا تريد أن ترى أحد يخلص ولكن يسوع المسيح إبن الله الحى سوف يطيح بك .

٦٣ـ رواية ثانية عن الأب ستيفان كاهن دير إليوتس

أخبرونا أيضاً عن نفس الأب أنه فى أحد الأيام كان جالساً فى قلايته ، وفى هذه المرة ظهر له الشيطان فى صورة مرئية وقال له : إذهب بعيداً أيها الراهب إن هذا المكان لم يعد مناسباً لك .

قال له الراهب : لكى أقتنع بأنك تريدنى أن أذهب بعيداً إجعل ما أجلس عليه يدور فى هذا المكان (كان الأب يجلس على مقعد مصنوع من أغصان الشجر) وعندما سمع الشيطان هذا على الفور لم يجعل المقعد فقط يدور بل جعل القلاية كلها تدور، وعندما أدرك الراهب مدى مهارة وحرفنة الشيطان ، قال له : أنت بالفعل عنيف ومزعج ، فقد زاد إصرارى على عدم ترك المكان والذهاب بعيداً ، وأخذ يصلى حتى إختفى هذا الشيطان عدو الرب.

٦٤- رواية ثالثة عن الأب ستيفان كاهن دير إليوتس

ذهب ثلاثة من الرهبان لزيارة الأب ستيفان ، فبينما كان الرهبان يتسائلون عن ما هى الأشياء التى تبنى روحياً بقى الأب صامتاً ، فقال له الرهبان : أنت لم تجب على سؤالنا يا أبانا ، فإنه من الضرورى أن تعطينا مشورتك التى جئنا من أجلها .

ثم بدأ الأب ستيفان بالرد وقال : سامحونى أننى لا أعرف الأمر الذى كنتم تتحدثون عنه إلى الآن ، ولكن يمكننى أن أخبركم عن الشئ الذى حدث لى، فإننى لم أكن أرى شيئاً سوى فى النهار أو فى الليل غير يسوع المسيح إلهنا معلقاً على الصليب : إنصرف الجميع إلى حيث جاءوا يمجدون الرب .

٦٥- رواية أخيرة عن الأب ستيفان كاهن دير إليوتيس

أخبرنا الأب يوحنا والملقب بموليباس [Molybas] عن الأب ستيفان ، بأنه عندما أصيب بمرض شديد نصحه الأطباء بتناول بعض اللحوم ، وكان لهذا الراهب شقيق بالدم يعيش فى المدينة ولكنه كان شديد التقوى ويعيش حياته من أجل المسيح الإله الحى ، وفى أحد الأيام بينما الأب ستيفان يتناول اللحم جاء شقيقه الذى يعيش فى العالم لزيارته ، فأصيب بصدمة شديدة عندما رأى ما يحدث وغضب بشدة وقال فى نهاية الرحلة الطويلة من التقشف وضبط النفس، يتناول أخى الآن اللحوم وعلى الفور أغشى عليه ، وفى غشيته رأى رجل يتحدث إليه ويقول : لماذا صدمت عندما رأيت شقيقك يأكل اللحم ؟ فى الحقيقة ما كان يجب عليك ذلك ، وإذا أردت أن أجعلك تشاهد المجد الذى حصل عليه أخيك (إلتفت خلفك وأنظر) إلتفت الشقيق خلفه ونظر كما قيل له فوجد الراهب ستيفان مصلوب تماماً مثل المسيح ، فقال له شخص الرؤية : أنظر بنفسك لتعرف المجد الذى حصل عليه شقيقك ، فمجد الرب ومدح كل من أحبوا المسيح حباً حقيقياً.

٦٦ـ حياة الأب ثيؤدوسيوس المتوحد

حكى لنا الأب أنطونى [Anthony] رئيس ومؤسس دير إليوتس [Aeliotes] عند الأب ثيؤدوسيوس [Theodoses] أنه قال : أنا قبل أن أسلك حياة التوحد ذهبت فى غشية فرأيت رجلاً فى منظر يشع منه النور كما لو كان الشمس ، ثم أخذنى من يدى وقال لى : تعالى معى يجب عليك أن تخوض الحرب ، وقادنى إلى مسرح كبير يصعب وصفه بالكلمات حيث لا تظهر نهايات له ، كان المسرح ملئ بالرجال المصطفين على الجانبين على أحد الجانبين كان هناك رجال فى زى أبيض بينما على الجانب الآخر المقابل له كان هناك آخرين بوجوه سوداء ، وبينما يقودنى إلى الجزء الخلفى الرملى من المسرح إذ رأيت رجلاً أسود الوجه فى مكان أكثر إتساعاً والأعلى يقف فيه رئيسهم عالياً كما لو كان السحاب وكان يبدو قوى ولكنه قبيح الشكل ، فقال لى الشاب الذى رأيته فى الرؤيا : إن حربك يجب أن تكون مع هذا ، فإرتعش جسدى عندما نظرت إلى الرجل ثم توسلت إلى الشاب الذى أتى بى إلى هذا المكان قائلاً له : من يكون هذا المحارب الذى يمكن أن يتصدى لهذا الشخص ؟ (ولا حتى كل الجنس البشرى مجتمعاً يمكنه مصارعة هذا الشخص) ، ولكن هذا الشاب النبيل قال لى : خض تلك المعركة بثقة ، وعندما تبدأ فى صراعك معه سأكون أنا الحكم والذى سيقرر النتيجة وأمنحك إكليل النصرة ، وبمجرد أن إتجهنا نحو الخلفية الرملية من المسرح وتشابكت أيدينا ، أتى هذا الشاب النبيل على الفور يفصل هذا النزاع ويصنع قراره ويمنحنى تاج الإنتصار، أما فصيلة الجنود ذات الوجه الأسود إختفت هاربة وهى تئن من شدة الألم ، أما الفصيلة الأخرى من الجنود ذات الرداء الأبيض صاحت معلنة تأييدها للحكم ولمنحه لى شرف النصر .

٦٧ـ رواية ثانية عن الأب ثيؤدوسيوس المتوحد

حكى لنا أحد تلاميذ الأب ثيؤدوسيوس المتوحد وهو الأب سرياكوس [Cyriacos] الآتى : قضى الأب ثيؤدوسيوس المتوحد حوالى خمسة وثلاثين سنة من عمره صائماً منعزلاً كان يقضى يومين دون طعام ويبقى صامتاً لا

يتحدث لأحد على الإطلاق ، وإذا أراد أن يقول شيئاً كان يستعمل لغة الإشارة وقد رأيت هذا الرجل الصالح شخصياً فى دير إليوتس ومكثت هناك مدة عشر سنوات .

٦٨ـ رواية أخرى عن الأب ثيوذوسيوس المتوحد

عندما علم رئيس الدير الجديد ديرالقديسة العذراء مريم والدة الإلـه أن الأب ثيوذوسيوس لايمتلك جلباباً ليرتديه فى الشتاء قام بشراء رداء له ، وفى إحدى الليالى جلس الأب ثيوذوسيوس على المقعد حتى ينام (كان عادة ينام على المقعد) أتى بعض اللصوص وقاموا بتجريده من رداء الرهبان وهربوا به، وعندما حدث ذلك لم يذكر الأب أى شئ عن هذا الأمر ولم يشتكى لأحد .

٦٩ـ حياة الأب بلاديوس والناسك داود

قابلت أنا والمعلم المفكر سوفرنيوس (قبل سلوكه حياة الرهبان) الأب بلاديوس [Palladios] فى الإسكندرية ، وكان هذا الرجل يتمتع بحب عظيم للمسيح وخدمة متفانية وكان له دير فى ليثازومينون [Lithazomenon] ، وعندما ألححنا فى طلبنا لنستمع لكلمة منه تهذبنا وتعلمنا بدأ هذا الراهب فى الكلام وقال لنا : يا أبنائى الوقت المتبقى لنا قصير جداً دعونا نصارع قليلاً فى هذا العالم ونعمل بجد ربما نحصل على الفرح العظيم والسعادة الأبدية ، أنظروا إلى شهدائنا أنظروا إلى القديسين أنظروا إلى النساك والمتقشفين أنظروا كم خدموا الرب بشجاعة ، فنحن دائماً ما نتعجب من إحتمالهم للآلام ، ولذا فإن ذكراهم محفوظة للأبد ، فكل من يسمع عنهم يصاب بالدهشة الشديدة الأشخاص العظماء الذين تحملوا الشهادة المباركة كيف إقتلعوا أعينهم ؟ كيف قطعوا أرجل بعض منهم ؟ وآخرون قطعوا أيديهم ، بينما آخرون مزقوا أجسادهم ، كيف أذلوهم بنيران الغضب ؟ وآخرون عذبوهم بالحرق ، كيف أغرقوهم فى الأنهار وآخرون فى البحار؟ كيف نهشتهم الحيوانات الآكلة للحوم مثل المجرمون وآخرين قدموهم طعام للطيور الكاسرة بعد تعذيبهم عذاباً شديداً.

بإختصار شديد إذا كان ممكناً ذكر كل أصناف العذاب الذى تعذبونه والذى أعد خصيصاً لهم ، فإنه يمكن القول بأن عدونا إبليس قد إبتلى بشهادة هؤلاء ونسك أولئك ، الذين أحبوا المسيح حباً عظيماً ، والذى يمكن أن نراه فى مدى تحملهم للعذابات وكيف صارعوا وكافحوا من أجل المسيح ، وأيضاً إنتصاراتهم على ضعفهم الجسدى ، وذلك بتعزيز أرواحهم لقد نال هؤلاء ما تمنوه بأن وُضِعوا فى مكانة أعلى من مكانتهم أثناء حياتهم على الأرض ، هؤلاء قدموا برهاناً عملياً على صلابة إيمانهم بطريقتين :

أولاً : قد تحملوا قليلاً ولكنهم حَصلوا على الكثير فى الحياة الأبدية.

ثانياً : بسعادة بالغة إستقبلوا الآلام الجسدية ، والتى سببها لهم إبليس .

لذا فإنه إذا تحملنا الألم وأصررنا على طريقنا ، فإنه بمعونة من الله سنكون أحباء حقيقيون له ، وسيحارب الرب معنا فى معركتنا كتفاً بكتف ويرفع عنا آلامنا التى يجب أن نتأ لمها .

يا أولادى حيث أننا نعرف جيداً طبيعة تلك الأوقات وطبيعة الأعمال الشاقة المفروضة علينا ، فدعونا نحاول مجاهدين من أجل إدراكنا ووعينا الذاتى والذى نكتسبه من حياة التوحد ، وحتى وصلوا إلى هذه المرحلة يجب علينا أن نتوب بأمانة وصدق وأن نصبح بالفعل هياكل للرب .

أقول ثانية : دعونا نتذكر الرب الآن هنا ولايجد مكان ليضع رأسه " **فقال له يسوع : للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار ، وأما إبن الإنسان فليس له أين يسند رأسه ؟** " (متى ٨ : ٢٠) ، وأيضاً حيث قال القديس بولس الرسول فى رسالته إلى أهل رومية :" **وليس ذلك فقط ، بل نفتخر أيضاً فى الضيقات عالمين أن الضيق يُنشأ صبراً** " (رو ٥ : ٣) ، وأيضاً كما فى رسالة معلمنا يوحنا الأولى :" **لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم . إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب**" (١يو ٢: ١٥) .

مرة ثانية قال هذا العجوز الصالح : يجب أن نراقب أفكارنا فهى الطريق إلى الخلاص ، وفى أحد الأيام ذهبنا مرة ثانية للأب بيلاديوس بالسؤال

التالى : إذا تفضلت ياأبانا نريد أن نعرف من أين أتيت وكيف دخلت حياة الرهبان هذه ؟ وكان الأب من مدينة تسالونيكى ، فقال لنا الآتى : فى موطنى عرفت ناسكاً من ميسوبوتبيا وكان إسمه داود كان يتمتع بتقوى شديدة ورحمية وعفة قضى هذا الناسك عشرون عاماً من عمره محتجزاً فى مكان محدود ، ففى تلك الفترة وبسبب تكرار هجمات البربر كان الجنود يقومون بالطواف حول سور المدينة فى المساء ، وفى إحدى الليالى رأوا (أفراد الدورية عند سور المدينة القريب من مكان إحتجاز هذا الراهب) نيران تخرج من نوافذ قلايته ، إعتقد الجنود أن البربر قد أحرقوا قلاية هذا الراهب ، وفى الصباح دخلوا الجنود القلاية ليتبينوا الأمر، لكنهم دهشوا عندما وجدوا الراهب لم يصب بأى أذى وأن قلايته لم تمسسها نار، وفى الليلة التالية شاهدوا نفس ما حدث فى الليلة السابقة تكرر هذا المشهد عدة مرات وأصبح الأمر معروفاً لدى كل المدينة وإنتشرت تلك القصة إلى سائر المدن المجاورة جاء الكثير من الناس يقضون الليل بأكمله عند سور المدينة حتى يروا تلك النار والتى إستمرت تظهر كل مساء حتى تنيح هذا الراهب ، هذه الظاهرة لم تحدث مرة أو إثنتين بل حدثت عدة مرات ، فقلت لنفسى : إذا كان الله يتمجد فى خدامه فى هذا العالم ، فكم وكم يمجدهم أكثر وأكثرعندما يأتى فى مجيئه الثانى لهذا العالم ويشرق على وجوههم كالشمس ؟ لذلك يا أبنائى سلكت حياة الرهبان .

٧٠ـ حياة الناسك الآتي من ميسوبواميا

أخبرنا أيضاً الأب بلاديوس أنه أتى بعد الأب داود راهب آخر من ميسوبواميا [Mesopoamia] وكان إسمه أدولاس [Adolas] صنع لنفسه قلاية فى فجوة داخل شجرة فى مكان آخر بالمدينة ، ثم صنع نافذة صغيرة له حتى يمكنه التحدث مع الشعب الذى يأتى لزيارته .

عندما أتى البربر إلى هذا المكان وملأوا المدينة بالقاذورات وأثناء مرورهم بالمكان لاحظ أحد البربر الراهب العجوز، فجذب سيفه ورفع يده ليقتل العجوز، ولكنه بقى هناك متجمداً فى تلك البقعة ويده مرفوعة فى الهواء ، وعندما رأى باقى البربر ما حدث دهشوا بشدة وركعوا أمام الناسك العجوز

متوسلين إليه بأن يعيد رفيقهم إلى ما كان عليه ، فصلى الرجل وشفى البربرى وصرفهم جميعاً فى سلام .

٧١ـ الحكمة الرائعة التي قالها القاتل للراهب

كما أخبرنا أيضاً الأب بلاديوس عن شئ حدث فى مدينة أرسين بطيبة [Arsine of the Thebaid] :

قبض على رجل بتهمة قتل وبعد ما تعرض للتعذيب الشديد حكم عليه بقطع رأسه ، وأثناء نقله إلى المكان الذى إرتكب فيه جريمته (حوالى ستة أميال خارج المدينة) كان هناك راهب يتتبعه وكان واضحاً أنه يريد أن يراه وهو يُعدم ، وبينما المحكوم عليه بالإعدام فى طريقه لتنفيذ الحكم رأى الراهب يتتبعه فقال له : خيراً يا أبانا ألم يكن لك قلاية لتمكث بها أو أى عمل آخر لتشغل به يديك ؟ أجاب عليه الراهب : بالطبع لدى قلاية وأعمال لأشغل بها يدى ، فقال له القاتل : حسناً لماذا لا تمكث فى قلايتك وتبكى على خطاياك ؟

أجاب الراهب قائلاً : يا أخى ، فأنا مهمل فى أمورى الروحية وهذا بالضبط سبب مجيئ هنا لأراك وأنت تموت ربما أتعظ من قتلك .

رد القاتل وقال له : إرجع أيها الأب إلى قلايتك وإبقى هناك وأشكر إلهك الذى فداك والذى تشبه بالإنسان ومات من أجلنا ، لذا فلن يكون هناك موتاً أبدياً.

٧٢ـ رواية الأب بلاديوس عن التهمة التي ألصقت بشاب صالح

حكى لنا الأب بلاديوس عن رجل كان يعيش حياة العالم وقبض عليه بتهمة القتل ، وعندما تعرض هذا الرجل العجوز للتعذيب على إيدى قاض الإسكندرية فى ذلك الوقت زعم أن هناك شخص آخر شريك له فى عملية القتل هذه وهو شاب يبلغ من العمر عشرون عاماً ، فتعرض الإثنين للتعذيب الشديد ، وكان الرجل العجوز القاتل يصرخ قائلاً : أنت كنت برفقتى وقت الجريمة ، ولكن الشاب كان ينكر أى علاقة له بهذا الأمر أو حتى مجرد تواجده مع هذا

الرجل القاتل العجوز، وبعد أن تعرض الإثنان للتعذيب الشديد حكم عليهما بالإعدام ، و تم نقلهم خمسة أميال خارج المدينة حتى ينفذ الحكم عليهما كما هى العادة فى مثل هذه الجرائم وعلى بعد ميل من معبد كرونوس المهجور كان العامة والجنود يهتفون ويطلبون تعليق الشاب أولاً ، قام الشاب بعمل يدل على الطاعة الشديدة أمام الجنود وقال : من أجل المسيح وإن تفضلتم علقونى تجاه الشرق ربما أستمر فى بحثى عن الحقيقة عندما أكون معلقاً بمفردى ، فقالوا له الجنود : لماذا ذلك ؟ أجاب الشاب قائلاً : فى الحقيقة يا سادة منذ سبعة شهور فقط أصبحت أنا مسيحى وإعتمدت بالروح القدس ، وعندما سمع ذلك الجنود بكوا بشدة على هذا الشاب ، ومن ناحية أخرى نادى الرجل العجوز بصوت مرتفع قائلاً : أما أنا فعلقونى تجاه معبد كرونوس ، وعندما سمع الجنود هذا التجديف من الرجل العجوز تركوا الشاب البرئ وقاموا بشنق العجوز أولاً ، وفى أثناء ذلك وصل إليهم رسول من قبل الوالى وقال للجنود : لا تقتلوا الشاب وقوموا بإعادته ، ففرح جميع الجنود لهذا الأمر وقاموا بإعادة الشاب إلى مدينته، فأطلق الوالى سراحه فعادت للشاب حياته وبراءته بعد أن كان قد فقد الأمل فى ذلك ، وأصبح هذا الشاب فيما بعد راهباً صالحاً ، وقد كتبت تلك القصة لما يكون فيها من عظة وفائدة لنا وللكثيرين ، لنعلم كيف أن الرب قادر على إنقاذ الصالحين من أى إفتراءات .

٧٣- حياة الجندي يوحنا

كما روى لنا أيضاً الأب بلاديوس أنه كان هناك جندى فى الإسكندرية يدعى يوحنا كانت له طريقته الخاصة فى الحياة وهى :

كان يقضى ساعات النهار من شروق الشمس حتى الساعة التاسعة فى دير على بعد خطوات من كنيسة القديس بطرس لا يرتدى شيئاً غير عباءة خشنة الملمس ورداء منسوجاً يبقى صامتاً لا يتفوه بكلمة لأى شخص، ويجلس داخل الكنيسة فى المكان الذى يصلون به بينما يعمل بعض الأعمال اليدوية وكل ما يتفوه به : طهرنى يا ربى من خطاياى ثم يردد كلمات المزامير :

" السهوات من يشعر بها ؟ من الخطايا المستترة أبرئنى" (مـز ١٩: ١٢)، ويقول لن أتوقف عن الصلاة ، وبعد أن يرتل تلك الآية يبقـى صـامتاً لمـدة ساعة، ثم يكرر نفس الشئ لساعة أخرى أو أكثر، ويبقى هكذا لسبعة مـرات طوال اليوم ولا يقول شئ غير ذلك ، وفى الساعة التاسعة يخلع عنه هذا الرداء ويرتدى الزى العسكرى ويذهب لأداء واجبه مع وحدته.

قضيت مع هذا الرجل ثمانى سنوات فيها تعلمت وتهذبت مـن أخلاقـه ومن صمته وطريقته فى الحياة .

٧٤ـ الكلمة الرائعة للأب بلاديوس عن المهرطقين

قال الأب بلاديوس مقولة كما لو كانت وصيته : صدقونى يـا أبنـائى المهرطقين والمنقسمون لم يفعلوا شيئاً بالكنيسة المقدسة غير أنهم جعلونا أكثـر إلتصاقاً بالرب وتآخى مع بعضنا البعض .

٧٥ـ معجزة الرب مع زوجة وإبنة رجل تقي

فى أحد الأيام روى لنا الأب بلاديوس قصة عن أحد الأشخاص المحبين لشخص الرب يسوع المسيح والذى يتمتع بتقوى ورحمة عظيمتين ويحب خدمة وضيافة الرهبان كان متزوج من إمرأة لها إيمانها الشخصى وعلاقتها بـالرب فكانت تصوم طوال اليوم كما كانت له إبنة تبلغ من العمر ستة سنوات ، وفـى أحد الأيام قررهذا المسيحى التقى أن يذهب إلى القسطنطينية حيث أنـه كـان يعمل بالتجارة ترك زوجته وطفلته مع خادم فى المنزل وذهب فـى طريقـه للسفينة ، وبينما هو يرحل قالت له زوجته : ممن ستطلب أن يرعانى ؟

فقال لها الزوج : السيدة العذراء مريم والدة الإله .

وفى أحد الأيام بينما تلك المرأة منشغلة فى بعض الأعمـال وإبنتهـا معها ، بدأ الشيطان يوسوس بأفكاره النجسة داخل رأس هذا الخادم ويدفعه لقتل تلك المرأة وإبنتها وأن يستحوذ على كل ما يمتلكونه ويهرب .

ذهب الخادم إلى المطبخ وأحضر معه سكين وإتجه نحو غرفة الطعام حيث كانت السيدة صاحبة المنزل وإبنتها موجودتان هناك ، ولكن مجرد أن وصل هذا الخادم باب غرفة الطعام ضرب العمى عينى هذا الخادم فأصبح غير قادر على دخول الغرفة أو حتى الرجوع إلى المطبخ ، وإستمر أكثر من ساعة يتأرجح فى الهواء يفعل كل ما فى وسعه ليدخل ، وأخيراً بدأ ينادى على صاحبة المنزل ويقول : تعالى إلى هنا ، فتعجبت السيدة من أن الخادم يقف على باب الحجرة ولا يدخل بل يريدها هى أن تأتى إليه فقالت له : ألا تأتى أنت !؟ كانت لا تدرى أن قد أصابه العمى بدأ الخادم فى التوسل إليها ويستحلفها أن تأتى، ولكنها أصرت ألا تفعل ما يطلبه منها ، ثم قال الخادم : أوسلى لى إبنتك، ولكنها رفضت أيضاً أن تلبى أى من الطلبين ، وقالت : إذا كنت تريد شيئاً أحضر أنت إلى هنا .

فى هذه اللحظة وعندما أدرك الخادم بأنه أصبح غير قادرعلى مساعدة نفسه ، وجه السكين نحو صدره وقام بطعن نفسه طعنة قاتلة صرخت السيدة عندما رأت ما فعله الخادم بنفسه ونادت جيرانها ، فأتوا على الفور وجاءت الشرطة وكان الخادم مازال على قيد الحياة ، فقام بإخبارهم بكل شئ .

سمع الجميع القصة فمجدوا الرب الذى أظهرعجائبه وأنقذ السيدة والطفلة.

٧٦ـ أغرق مريم

روى لنا الأب بلاديوس بأنه سمع أن قبطان أحد السفن قال شئ من هذا القبيل : فى أحد الأيام عندما كنت أبحر ومعى بعض الركاب على ظهر السفينة رجالاً ونساءاً أتوا إلى هذا البحر العالى ، وكانت هناك سفن أخرى بعضها متجه إلى الإسكندرية وبعضها إلى القسطنطينية وسفن أخرى تبغى أماكن أخرى هبت الرياح وعصفت ونحن فقط الذين لم نستطع التوجه إلى حيث نريد إستقرت السفينة مثبتة فى مكانها غير قادرة على التحرك، وإستمر هذا الوضع لمدة خمسة عشر يوماً ليس بها أى حراك، أصبنا جميعاً باليأس والإحباط ولاندرى

ماهو السبب وراء هذا، وحيث أننى كنت قائد السفينة والمسئول عـن الـ
وعن كل من على ظهرها بدأت أصلى إلى الرب بشأن هذا الأمر، وفـى
الأيام أتى لى صوتاً ليس له مصدر واضح يقول : أقـذف بمـريم خ
السفينة، ولكنى تأخرت فى الإستجابة لهذا الصوت محاولاً فهم مـاذا يقـ
ومن هى مريم ؟ أتى الصوت مرة ثانية يقول : أقذف مريم خارج السفين
تسلم السفينة بمن فيها ، ثم بدأت أنادى : يا مريم ! دون أدنى فكرة عمن
مريم ؟ إلا أنها كانت راقدة فى غرفتها الصغيرة داخل السفينة ثم أجابت
لماذا تنادينى يا سيدى ؟

فقلت لها : إذا تفضلت أن تأتى إلىَّ .

نهضت المرأة وعندما أتت إلىَّ تكلمت معها على إنفراد وقلت لها
الأخت مريم ترين بنفسك كم هى خطاياى كبيرة وسنهلك جميعاً بسببها ،
المرأة وهى تئن بعمق وقالت : لا يا سيدى القائد أنا الخاطئة.

فقلت لها : ما هى الخطية التى إرتكبتها يا إمرأة ؟

قالت : أعتقد أنه لاتوجد خطية لم أفعلها وبسبب ذلك سيهلك الجميع

بدأت المرأة فى قص حكايتها وقالت : فى الحقيقة أيها القائد أنـا
المرأة الشريرة التى كان لها زوج وطفلان هما أبناء لزوجـى أحـدهما
التاسعة من عمره والآخر فى الخامسة من عمره ، وعندما مات زوجى وت
أرملة كان هناك جندى يعيش بالقرب من منزلنا رغب فـى الـزواج منـ
فأرسلت له بعض المعارف للحديث معه ، فقال لهم أنه لايريد الزواج من
لها طفلين من رجل آخر، وعندما علمت ذلك وأنه رفضنى بسبب هذين الـ
يا إلهى ما أقبح ما فعلت : قمت بذبح الطفلين ثم ذهبت إلى هذا الجندى .

وقلت له : أنظر الآن ليس لدى أطفال .

عندما علم الجندى بما فعلت مع هذين الطفلين قال : يشهد الله الـ
فى السموات أننى لن أتزوجك ، فخشيت أن يفضح أمرى وأفقد حياتى فهر
قال القبطان : حتى بعدما سمعت تلك القصة من المرأة مازلت لا أريد أن

بها من السفينة ، وبدأت فى المراوغة وقلت لها : أنظرى ســأركب الــز
المطاطى ، فإذا تحركت السفينة يكون ماحدث للسفينة بــسبب خطيتــى أ
فناديت على الزورق وأمرته أن يبحر، وعندما دخلت إلى الزورق لم يتح
الزورق ولا حتى السفينة .

عدت إلى ظهر السفينة مرة أخرى وقلت للمرأة : إنزلــى أنــت
الزورق ، ففعلت المرأة ما طلبته منها ، وبمجرد أن وطأت المرأة بقدميها
الزورق دار الزورق حول نفسه خمس مرات ثم غرق وهبط إلى القــاع
أبحرت السفينة وأكملنا رحلتنا فى ثلاث أيام ونصف والتى كان مقــدراً
خمسة عشر يوماً.

٧٧ـ قصة العميان الثلاثة

ذهبت أنا والمعلم سوفرونيوس إلى منزل المفكر ســتيفان [phan
للقيام ببعض الأعمال وكان ذلك فى منتصف اليوم ، كان المفكر ستيفان يع
عند كنيسة العذراء المقدسة مريم والدة الإله والذى بناها البابا المبارك إل
بطريرك الإسكندرية(٥٨١ – ٦٠٨ م) والذى يعرف بدوروثيئا [orothea
وعندما طرقنا باب هذا المفكر نظرت الخادمة من نافذة مرتفعة وقالت : إن
الآن ولكن إنتظروا للحظة حتى يستيقظ ، فقلت للمعلــم ســوفرونيوس : د
نذهب إلى تترابيلون [Tetrapylon] وننتظر هناك ، كان المكان الذى يـ
تترابيلون عبارة عن مبنى مشيد عند أحد المرتفعات وله مكانته عنــد أف
شعب الإسكندرية حيث كانوا يقولون أن الأسكندر هو الذى أنشأ هذا المكـ
وأنه أحضر رفات النبى أرميا من مصر وقام بدفنه هناك ، وعندما أتينا إلى
المكان لم يكن أحد هناك غير ثلاثة عميان ، وكان ذلك وقت الظهيرة ، د
المكان بهدوء وجلسنا دون أن يشعروا بنا ، وكان معنا كتبنا لنقرأ فيها بدأ ا
عميانِ يتحدثون مع بعضهم البعض ، وسأل أحدهم آخر : أخبرنى ما الذى
بالفعل حتى فقدت بصرك ؟

وكان هذا هو الرد : عندما كنت شاب كنت أعمل بحاراً وكنا نبحر
أفريقيا حتى البحر الأعظم ، ثم أصبت بإلتهاب شديد فى عينىَّ ولم أســتطي

أذهب لأى مكان للعلاج ثم ظهرت نقطة بيضاء على عينىَّ ، وبعدها فقدت البصر نهائياً ، ثم قام بسؤال الآخر : الآن أخبرنا كيف أصبحت أنت أعمى ؟

فكان الرد : كنت أعمل ناقخ زجاج ، وبسبب هذه المهنة تأثرت عينىَّ بتعرضها المستمر للنار حتى أصبحت أعمى .

فقال الرجل لرفيقيه : حسناً الآن سأخبركما أنا كيف أصبحت أعمى ؟ عندما كنت شاب كنت أكره العمل بشدة لذا فقد أصبحت فى مشكلة وخاصة عندما لم يكن لدى أى شئ لآكله ، فلجأت للسرقة .

وفى أحد الأيام وبعدما إنتهيت من كثير من الأعمال الشريرة ، وقفت فى السوق أشاهد جنازة رجل غنى فى طريقه للدفن تتبعت الموكب لأعرف أين سيقومون بدفنه ؟

دفن الرجل فى قبر خلف كنيسة القديس يوحنا ثم إنصرف الجميع ، وعندما أدركت أن الجميع قد رحلوا ، دخلت إلى المقبرة وقمت بتجريد الميت من ملابسه بالكامل عدا الكفن المغطى به ، وبينما كنت فى طريقى للخروج من القبر وقد حملت معى غنيمة لا بأس بها ، ولكن كعادة الشيطان ، فقد قال لى : خذ الكفن أيضاً يبدو أنه ذو قيمة ، فإلتفت خلفى ونزعت الكفن من فوق الميت وتركته عارياً ، هنا نهض الميت ومد يده نحوى وبأظافره خدش وجهى وأقتلع عينىَّ تركت كل شئ خلفى بخوف شديد وخرجت من المقبرة وأنا أرتعد بشدة وأكاد أموت رعباً ، وهكذا أصبحت أنا الآخر أعمى .

بعدما إستمعت أنا والمفكر سوفرونيوس أشرنا لبعضنا بالإنصراف وتركنا العميان الثلاثة ، ثم قال لى المفكر سوفرونيوس : أنت تعرف أيها الأب أننا الآن لسنا بحاجة لعمل أى شئ حتى آخر اليوم ، لقد حصلنا على ما يكفينا من الفائدة وقد إستفدنا من تلك الخبرة الروحية التى إستمعنا إليها ويجب علينا الإنصراف لكتابتها ، فحقيقة الأمر لا يوجد مهرب للشرير بعيداً عن الله ، فقد إستمعنا لهذه القصة بأنفسنا ومن أصحاب القصة أنفسهم .

٧٨ـ معجزة الفتاة الميتة

عندما كنا فى زيارة للأب يوحنا رئيس دير جينتس [Gaints] فى ثيؤبوليس [Theoupolis] حكى لنا القصة التالية :

منذ زمن ليس بالبعيد أتى لى رجل وقال لى : من أجل المسيح أدخلنى عندك ، فأنا أريد ان أتوب : وكان يقول ذلك وهو يبكى بشدة ، فقد أدركت أنه ثمة شئ ما خطير يجعله مضطرب ومرتبك هكذا ، فقلت له : أخبرنى لماذا كل تأنيب الضمير هذا ؟

أجاب الشاب : يا أبانا أنا بكل تأكيد خاطئ فقلت له مرة ثانية : صدقنى يا بنى كما أن هناك خطايا عديدة وكثيرة هناك أيضاً العديد من وسائل العلاج ، فإذا أردت أن تشفى أخبرنى الحقيقة ، ما الذى فعلته بالضبط حتى يمكننى أن أساعدك وأن أصف لك ما هى الكفارة المناسبة ؟ فلا يمكن أن تتبع علاج الزانى مع القاتل والمشعوذ ، فالجشع له علاج والكذب والغضب والسرقة و الزنا ، كل منهم له علاجه المناسب ، لذا من الأفضل سماع الخطايا كما يجب-أن تعرف أنه كما أن هناك الكثير من العلاجات للأمراض الجسدية ، فأنه أيضاً هناك العديد من العلاجات الروحية وهى أيضاً متاحة لدينا .

تنهد الشاب بعمق وإرتمى على صدرى وإنفجر فى البكاء والنحيب ، فكان لديه الكثير من الأحزان ما يجعله يتلعثم فى كلامه ، فقد كان غير قادرعلى التحرك ولا حتى الكلام بشكل واضح ومفهوم ، ولم يقل أى شئ عن ظروفه.

قلت له : إستمع لى يا بنى تمالك نفسك وأخبرنى بما حدث وربنا يسوع المسيح قادرعلى مساعدتك بحبه الذى لا يوصف ورحمته التى تسع كل شئ ، يسوع الذى تحمل كل شئ لأجل خلاصنا المسيح الذى عاشر العامة ولم ينتهر المرأة الزانية ولم يرفض السارق ، وأخيراً قبِل الموت على الصليب ، وعندما تتوب إتجه إليه، وهو سوف يستقبلك بيديه بفرح عظيم كما هو مكتوب فى تيموثاوس الأولى : " **الذى يريد أن جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يُقبِلون**" (١ تى ٢: ٤) .

وعندها توقفت دموع هذا الشاب قليلاً ثم قال لي : يا أبانا كلى خطايا ، فأنـا لا أستحق لا السموات ولا الأرض ، فمنذ يومين سمعت عن وفاة إحدى الفتيـات وهى إبنة أحد أغنياء المدينة وأنه قد تم تكفينها ودفنها وهي ترتدى العديد مـن الملابس الفاخرة فى قبرها خارج المدينة عندئذ كنت مستعداً لممارسة عادتى فى نهب القبور، فذهبت إلى قبرها فى الليل وبدأت فى تجريدها من ملابسها تمامـاً حتى بدت كما كانت لحظة ولادتها ، وما إن بدأت فى الرحيل وإذ بها تـستيقظ من موتها أمامى وتمد يدها اليسرى وتمسك بيدى اليمنى وقالت لى : أيها الرجل هل من اللائق أن تجردنى تماماً هكذا لأبدو عارية ؟ ألا تخاف الله ؟ أليـست لديك شفقة علىَّ فى موتى ؟ ألا تحترم جسدى كإمرأة ؟ كيف لك كمـسيحى أن تدعنى أظهر عارية هكذا أمام المسيح ، ألا يوجد أدنى إحترام لديك لكونى إمرأة ؟ أليست إمرأة مثلى التى أنجبتك ؟ أتريد أن تفضح أمك كما فعلت بى؟ أيهـا الرجل الشرير أى نوع من الدفاع ستقوله بشأن جريمتك هذه عندما تأتى أمـام عرش المسيح ؟ ففى فترة حياتى لم يرى وجهى غريـب ، والآن بعـد مـوتى ودفنى تجردنى من ملابسى وتنظر إلى جسدى العارى ، فيا له من قلب يا لهـا من يد تمتد لتتناول جسد يسوع المسيح المقدس وتشرب دمه ، وعندما سـمعت ذلك إرتعدت بشدة من مجرد حتى التفكير، وبرعشة قلت لهـا : إسـمحى لـى بالإنصراف ولن أفعل هذا ثانية.

قالت لى : لقد جئت إلى هنا عندما أردت أنت هذا ، ولكنك لن تخـرج من هنا كما تريد أنت ذلك ، فإن هذا القبر سيضمنا نحن الإثنين معاً ، ولا تعتقد بأنك سوف تموت الآن ، ولكن بعد أيام عديدة من التعذيب حتى تسلم روحك .

أخذت أتوسل إليها بالدموع بأن تسمح لى بالإنصراف وتعهدت بأننى لن أرتكب مثل هذا العمل مرة ثانية ، وبعد توسلات كثيرة ودموع غزيرة قالت لى هذه الكلمات : إذا كنت ترغب فى الحياة وأن تَسلم من الألم النفسى والجـسدى المبرح إقطع على نفسك عهداً ليس فقط أنك ستكف عن أعمالك الكريهة الدنسة ، بل أيضاً ستتوجه ودون أى تأخير إلى الدير لتسلك حياة الرهبـان وأن تـرفض العالم، وأن تخدم يسوع المسيح .

فتعهدت لها قائلاً : إنى لن أفعل كل ما قلته فقط بل أيضاً من هذا اليوم لن أدخل منزلى فضلاً عن توجهى مباشرة إلى الدير.

قالت لى الفتاة : قم بوضع ردائى علىَّ كما وجدتنى.

ثم قال الشاب ففعلت ما طلبته منى ، ثم عادت ميتة كما كانت، أما أنا الخاطئ غير المستحق لأى رحمة قد خرجت من قبرها وأتيت إلى هنا.

عندما سمعت القصة كلها من هذا الشاب قمت بتهدئته وطمأنت قلبه بالحديث معه عن التوبة والعفة ، وبعد فترة قمت بجز شعره وأعطيت له رداء الرهبان ، وأدخلته كهف فى جبل بالمدينة ، وشكر الشاب الرب كثيراً وهو الآن محارب قوى.

٧٩ـ معجزة عيون المياه

عندما ذهبنا إلى دير الأب ثيؤدوسيوس [Theodosios] ، والذى يقع عند جبل يتوسط مدينة سيلوشيا [Seleucia] ومدينة روسوس [Rossos] فى سيلزيا [Cilicia] إصطحبنا بعض الآباء إلى مكان يبعد كثيراً عن الدير لنشاهد مكان عين للمياه مدهم بمياه وفيرة وعذبة والتى كانت عطية من الله لهم ، وأخبرونا بأنه لم يكن حدثاً طبيعياً بل كان بتدخل من العناية الإلهية ، وأن الأب ثيؤدوسيوس صام وصلى لفترات طويلة وإنهمرت الدموع من عينيه وركع أمام الرب كثيراً ليمنحنا تلك العطية كما أخبرونا أن آباءهم فى الماضى كانوا يأتون بالمياه من الوادى ولكن كما يقول المزمور : " **يعمل رضى خائفيه ، ويسمع تضرعهم فيخلصهم**" (مز ١٤٥ : ١٩) ، فقد أعطانا الله هذه المياه المباركة بصلوات آباءنا القديسين ، ومنذ عامين تقدم بعض الإخوة بطلب لرئيس الدير لحفر بئر للمياه بالدير تعجب رئيس الدير من الطلب ولكنه سمح بإنشائه نظراً لضعف وهزال صحة بعض الآباء وحتى يخفف من عناء الحصول على المياه ، ولكن لم يستخدم الإخوة هذا البئر غير مرة واحدة ، وسرعان ما جفت مياه العين الرائعة ، وقالوا لنا سنخبركم بالحقيقة : فقد صمنا جميعاً وصلينا وبكينا أمام الرب وطلبنا شفاعة القديسين ، ولم تأتى مياه قط من العين وظلت جافة

طوال عام ويئسنا جميعاً بعدها قام الأب رئيس الدير بتحطيم هذا البئر فوجدنا المياه تعود مرة ثانية للعين .

٨٠ـ معجزة أيقونة القديس ثيؤدوسيوس

أكمل نفس الآباء رواياتهم عن الأب ثيؤدوسيوس [Theodosios] وأخبرونا أنه فى تلك الأيام كانت هناك إمرأة تحب المسيح وتعيش فى منطقة تدعى أباميا [Apamea] وقامت بحفر بئر وأنفقت الكثير من الأموال على هذا العمل حتى تحصل على بئر على عمق كبير، ولكنها بعد هذا المجهود الشاق والأموال الكثيرة لم تجد ماء فحزنت المرأة كثيراً ، وفى أحد الأيام أتت لها رؤية رجل يقول لها : أحضرى أيقونة محفور عليها صورة الأب ثيؤدوسيوس من دير سكوبيلوس [Skopelos] وببركة تلك الأيقونة سيعطيك الله الماء الوفير، فقامت المرأة على الفور بإرسال رجلين ، وأحضروا لها أيقونة القديس وأسقطوها فى البئر وعلى الفور تدفقت المياه وغمرت أعمدة البئر حتى وصلت إلى منتصفه ، سحب الآباء أيقونة القديس من الماء لنشاهدها ثم أعطونا بعض الماء شربنا منه ومجدنا الرب يسوع المسيح.

٨١ـ الأب يوحنا في دير سكوبيلوس

رأينا فى نفس الدير رجل صالح يدعى يوحنا وقالوا عنه الآباء فى الدير: صدقونا أيها الإخوة المسيحيين أنه لا يوجد شخص يخشاه الشيطان مثل هذا الرجل ، وعندما يأتى لهذا المكان تضطرب الشياطين كما أن الله منحه موهبة الشفاء.

٨٢ـ عن الأب يوحنا في دير سكوبيلوس

حكى لنا أيضاً عن الأب يوحنا كان هناك سوق للمدينة يبعد حوالى عشرين ميل عن دير[لبتى أكرا Lepte Akra] وكان هناك رجل يمتلك سفينة حمولة ٧٥٠ طن وعندما كان ينوى الإبحار كان يقضى أسبوعين ومعه مئات الرجال لهذه المهمة (حوالى ثلاثمائة رجل فى اليوم الواحد) ، ولكنه لم يستطع تحريك السفينة لتبدأ رحلتها أو حتى تتحرك من مكانها ، وكانت السفينة تحت

سلطان بعض أتباع الشيطان غضب مالك السفينة جداً وعجز عن فعل أى شئ وبتدخل من العناية الإلهية مر الراهب يوحنا بالطريق ، وعندما رآه صاحب السفينة وقد سمع عنه الكثير وعن نعمة المسيح التى يتمتع بها ذهب إليه وقال له: يا أبانا صلى من أجل سفينتى ، فإنها بسبب أرواح شيطانية لا تتحرك من مكانها.

قال له الأب يوحنا : إذهب وأحضر لى بعض الطعام وسيساعدك الرب قال الراهب ذلك حتى يذهب صاحب السفينة إلى منزله ، وإتجه الراهب نحو السفينة بمفرده وقام بأداء ثلاث ميطانيات أمام الرب ورسم بالصليب على السفينة بإسم الرب يسوع المسيح ، ثم ذهب الراهب يوحنا إلى منزل صاحب السفينة وقال له : إذهب وأبحر وقد وثق الرجل فى كلام الراهب وإنطلق نحو سفينته ومعه القليل من الرجال وبمجرد أن أمسكوا بحبالها وإذ بالسفينة داخل البحر شكر الجميع الرب ومجدوا إسمه.

٨٣ـ حياة وموت أحد الرهبان

حكى لنا آباء نفس الدير الآتى : كان هناك راهب يعيش على قمم تلك الجبال كان عظيم وتقى فى عينى الرب ،وقد عاش سنوات طويلة طعامه من النباتات الطبيعية الموجودة فى هذا المكان ، ولكنه تنيح فى أحد الكهوف ولم نكن نعرف أين هو ؟ فى بادئ الأمر إعتقدنا أنه رحل لمكان آخر فى البرية ، وفى أحد الأيام ظهر هذا الراهب للأب الحالى الصالح الحبيب الأب جوليان وهو نائم وقال له : إذهب ومعك بعض الرجال لتنقلونى من المكان الذى أرقد به الآن وهو جبل دير ، ففعل الأب جوليان ما طلب منه وقام بأخذ بعض الإخوة وذهبوا أعلى الجبل الذى تحدث عنه الراهب المتنيح ، فبحثنا عنه فى كل مكان ولساعات طويلة ولكننا لم نعثر على شئ ، وبعد فترة دخل الأب والإخوة الكهف الذى كان يعيش فيه الراهب كان الكهف مغطى بالثلج ولم يجدوا شيئاً فقال الأب جوليان : هيا يا أبنائى دعونا نتجه أسفل الجبل ، وبينما هم يهمون بالنزول والعودة إلى الدير وإذ بغزال يتجه نحوهم ، ثم وقف لبرهة وبدأ يضرب الأرض بحوافره وعندما رأى الأب جوليان ذلك قال : صدقونى يا أبنائى هنا

يرقد خادم الرب ، وبدأنا الحفر فى نفس المكان حتى وجدنا رفات هذا الراهب مدفوناً ولم يمسسه شئ حملناه جميعاً وذهبنا للدير وقمنا بدفنه هناك .

٨٤ـ فساد القمح بالكامل في الدير لعدم تقديم العشور

وأيضاً أخبرنا الآتى : إعتدنا تقديم عطية فى ليلة خميس العهد للفقراء والأيتام الذين بالحى ، فكانوا يحضرون إلى الدير ويستلم كل منهم مكيال قمح وخمسة وحدات من القربان المقدس وخمسة عملات صغيرة وإناء خمر ونصف إناء عسل منذ ثلاث سنوات ندرت الحبوب فى كل المنطقة حيث كان يباع كل مكيالين بقطعة ذهب واحدة ، وعندما أتى هؤلاء الفقراء والأيتام ليأخذوا ما إعتادوا عليه ذهب بعض الإخوة لرئيس الدير وقالوا له : يا أبانا ألا يجب أن نحجز بعض الحبوب للعطية السنوية المعتادة حيث لا يوجد حبوب تكفى الإخوة فى الدير، ولا توجد حبوب فى المنطقة.

بدأ الأب يقول لهم : يا أبنائى ألا يجب أن نفعل الخير الذى كان يفعله الأب ثيؤدوسيوس إعلموا إنها وصيته وإذا لم نفعلها ونطيعه سينقلب الأمر علينا، فهو بنفسه يرعانا لكن الإخوة إستمروا فى جداله قائلين : لا نستطيع فعل هذه العادة الخيرية لأنه ليس لدينا ما نقدمه ، فحزن الأب رئيس الدير من ضعف إيمان الإخوة ، ثم قال : إذهبوا إفعلوا ما تريدون .

لم توزع العشور فى تلك السنة فى عشية خميس العهد ، ولكن فى صباح يوم الجمعة العظيمة ذهب الراهب المسئول عن مخزن الحبوب وعند فتحه وجد كل الحبوب قد تلفت وإنتهى الأمر بإلقائها فى البحر .

عندما علم الأب رئيس الدير بما حدث قال لهم : من يطرح وصايا معلمنا سوف يعانى تبعات ذلك ، وأنتم الآن تحصدون ثمار ما زرعتم ثمرة عدم خضوعكم كان علينا أن نحتجز خمسمائة مكيال فقط من الحبوب لننقذ الخمسة آلاف مكيال ، وبذلك نكون قد عملنا بوصية القديس ثيؤدوسيوس بإخوتنا وأخواتنا من الفقراء ، ولكن أنظروا الآن فقد ذهب خمسة آلاف مكيال هباء ، ماذا جنينا إذن ؟ لقد إرتكبنا خطيتين : الأولى عدم خضوعنا لوصية الأب

ثيؤدوسيوس ، والثانية عدم وضع ثقتنا فى الله بل وثقنا فى مخزن الحبوب أكثر، لذا أيها الإخوة دعونا نتعلم من هذه الخبرة يجب أن نعلم أن الرب يرى إحتياجات البشر وأن شفاعة الأب ثيؤدوسيوس تعتنى بنا .

٨٥ـ راهب آخر في نفس الدير

حكى لنا الأب توماس [Thomas] فى دير إيجيون [Aegaion] الآتى: كنت فى طريقى من دير إيجيون بعد العيد وقد كان الشتاء قارص البرودة فإلتجأت إلى دير الأب ثيؤدوسيوس هرباً من البرد وأثناء وجودى فى هذا الدير حدث الآتى : كان هناك راهب يعيش على النباتات البرية فقط ويأتى فى يوم القداس ليتناول القربان المقدس ، وفى أحد الأيام حدث شئ أغضبه ، لذا فقد إستمر لمدة خمسة أسابيع لا يحضر كعادته ولا يظهر فى الدير على الإطلاق الأمر الذى أحزن الآباء فى الدير، وفى أحد الأيام المقدسة جاء هذا الراهب ليتناول ، فقابله الآباء بإبتهاج وفرح وقاموا جميعاً بعمل ميطانية أمامه ، ففعل مثل ما فعلوا وساد السلام بينهم ثم تناول جسد المسيح وشرب دمه ثم وضع نفسه فى منتصف الكنيسة ومات على الفور دون أن يمرض ولا لحظة ! أدرك الآباء فى الدير أن هذا الناسك قد كان على علم أن موته وشيك ولذلك أتى إلى الدير حتى لا يحمل خصومة مع أى شخص لكى يذهب إلى الرب يسوع المسيح بدون غضب فى قلبه من أحد .

٨٦ـ البحث عن رفات الراهب يوحنا المتضع

ذهبنا إلى مكان يبعد ستة أميال عن روسوس [Rossos] كان هناك رجلان عجوزان يعيشان فى العالم قاما بإستضافتنا كضيوف للكنيسة ولكن فى منازلهم الخاصة كان هذا المكان بالقرب من أحد الجبال ، فإصطحبنا إلى مقبرة حجرية كانت هناك وأخبرونا عنها الآتى : أيها المسيحيين الصالحين هناك راهب عظيم يرقد فى هذه المقبرة قمنا بسؤاليهما : كيف علمتما ذلك ؟

فقالا الآتى : منذ سبعة سنوات وفى إحدى الليالى رأينا شعاع يشبه ألسنة النيران يظهر من قمة هذا الجبل ! فى بادئ الأمر إعتقدنا أن هناك من أشعل

النيران هناك لوجود حيوانات مفترسة فى هذا المكان ، وإستمر الأمر هكذا لعدة أيام ، وفى أحد الأيام ذهبنا إلى أعلى الجبل لنتبين الأمر، ولكننا لم نرى أى شئ أو أى علامة على وجود نيران أو شئ قد إحترق .

مرة ثانية في الليلة التالية رأينا نفس الضوء ، وإستمر هذا المشهد لمدة ثلاثة أشهر، وأخيراً قررنا أن نصعد أعلى الجبل فى الليل ومعنا بعض سكان المكان وهم مسلحون بالأسلحة النارية خوفاً من أن تكون هناك حيوانات مفترسة، وتسلقنا جميعاً الجبل فى إتجاه هذا الضوء ، ومكثنا هناك الليل بأكمله حتى الفجر عندما بدأ نور الصباح فى الظهور وجدنا كهف صغير فى نفس المكان الذى كانت تظهر منه ألسنة النيران ، ثم وجدنا هذا الراهب وهو ميت كان يلبس رداء من الشعر ملابس الكهنوت مصنوعة من الخيش ويحمل معه الإنجيل ، ووجدنا بجواره قطعة ورق صغيرة مكتوب بها الآتى : أنا يوحنا غير المستحق تنيحت فى يوم الخامس عشر المذكور هنا ، ثم قمنا بحساب التاريخ فعلمنا أنه قد تنيح منذ سبعة سنوات ، وأنه كان يعلم اليوم بالتحديد الذى سيموت فيه ، فحملنا رفاته وقمنا بدفنه داخل الكنيسة .

٨٧ـ حياة الأب توماس ومعجزة رفاته

علمنا من كاهن كنيسة ثيؤبوليس [Theoupolis] فى أنطاكية أنه كان هناك خادم لشعب الكنيسة فى حى يدعى أباميا [Apamea] وكان إسم الخادم توماس [Thomas] جاء إلى ثيؤبوليس ليلبى بعض إحتياجات الدير، ولكنه تنيح ودُفن فى كنيسة القديسة أوفومية ، وحيث أنه كان من الغرباء قام كاهن هذا المكان بدفنه فى مقابر الغرباء ، وفى اليوم التالى توفيت إمرأة ودفنت فوقه وكان ذلك فى حوالى الساعة الثانية ، وفى حوالى الساعة التاسعة قذفت الأرض من باطنها تلك المرأة ، وعندما شاهد أهل المكان هناك ذلك تعجبوا بشدة وقاموا بدفنها مرة أخرى فى نفس المكان ، ولكنهم فى اليوم التالى وجدوا المرأة مازالت موضوعة على قمة القبر ، فأخذوا المرأة وقاموا بدفنها فى مقبرة أخرى، وبعد أيام قليلة دفنت إمرأة أخرى فى نفس المقبرة أعلى الراهب ولم يعلموا أنه لن يسمح بذلك ، وعندما قُذفت تلك المرأة أيضاً ، أدركوا هؤلاء الناس أن هذا الراهب لن يسمح بأن تُدفن إمرأة فوقه.

ذهب أهل الحى إلى البطريرك دونينوس (٥٤٦ – ٥٥٩م) وأخبروه بما حدث فطلب من أهل المكان أن يأتوا إلى مكان المقبرة وهم يحملون الشموع ويرنمون آيات من المزامير وقاموا بنقل رفات هذا الراهب الصالح إلى مقابر القديسين الشهداء وأنشأوا كنيسة صغيرة فوق قبره.

٨٨ـ البحث عن راهب قديس فوق الجبل

حكى لنا أحد الآباء فى ثيؤبوليس [Theoupolis] الآتى :

فى أحد الأيام يا أبانا صعدت لأعلى جبل يدعى عمانون لسبب ما ، وأثناء وجودى هناك وجدت كهفاً فدخلت الكهف فوجدت ناسكاً راكعاً على ركبتيه ويده مرفوعة للسماء وشعر رأسه منسدل على كتفيه حتى وصل إلى الأرض ، فإعتقدت أنه حى ، فقمت بعمل ميطانية أمامه وقلت له : صلى لى يا أبى ، ولكنه لم يرد علىَّ نهضت ودنوت منه رغبةً منى فى إحتضانه ، ولكنى عندما لمسته وجدته ميتاً ، فتركت الكهف وخرجت وبعد مسافة ليست بكبيرة رأيت كهفاً آخر دخلت الكهف فوجدت راهب آخر قال لى : مرحباً هل رأيت الراهب الذى فى الكهف الآخر؟

قلت له : نعم يا أبى .

قال لى : هل حصلت على ما تريد يا أخى ؟

قلت : لا .

قال : بالطبع لا يا أخى فإن هذا الراهب الذى مات منذ خمسة عشر عاماً ، والذى يبدو وكأنه مات منذ ساعة ثم صلى لى الراهب وذهبت فى طريقى ممجداً الرب يسوع المسيح .

٨٩ـ موت إثنين من الرهبان فوق الجبل

كان هناك راهبان يعيشان فى مكان بعد روسس فوق جبل يسمى بترجيون [Ptergion] الجناح الصغير بالقرب من نهر بيابى [Piapi] وديـر الأب ثيؤدوسيوس أحد الرهبان وهو راهب عجوز تنيح ، فقام الآخر وهو أحد

تلاميذه بالصلاة عليه ودفنه فوق الجبل ، بعد بضعة أيام توجه الناسك الثانى أسفل الجبل نحو مكان يسكنه أهل العالم ، مر برجل كان يعمل فى أرضه وقال له : إذا تفضلت أيها الأخ الصالح إحمل فأسك وجرافتك وتعالى معى .

لم يتردد هذا الريفى فى طاعة هذا الراهب وإنطلقا على الفور نحو الجبل ، وأشار الراهب إلى نفس المكان الذى دُفن فيه رفيقه الراهب الآخر وقال للرجل الريفى أحفر هنا ، وكان الرجل يحفر بينما الراهب يصلى وعندما إنتهى من صلاته قام بإحتضان الرجل الريفى وقال له : صلى من أجلى يا أخى ثم نزل داخل المقبرة ورقد فيها أعلى رفيقه الناسك ثم أسلم روحه ، حزن الرجل الريفى بشدة عليه وشكر الله وقرر الرجوع إلى أرضه ، لم يقطع الرجل مسافة كبيرة أسفل الجبل وقال لنفسه : كان يجب علىَّ أن آخذ بركة من هذا الرجل القديس وعاد الفلاح مسرعاً ولكنه لم يجد قبر هذين القديسين .

٩٠- حياة الأب جرجس وتلميذه الراهب

أخبرنا بعض الآباء عن الأب جرجس (غريغورى) [Gregory] السائح الذى كان يسافر فى البرية عارياً وإستمر هكذا لمدة خمسة وثلاثون عاماً ، وعندما كان عند الجبل حيث دير الأب ثيؤدوسيوس فى مدينة سكوبلس ، مات رفيقه وتلميذه لكن هذا الراهب لم يكن لديه أدوات ليحفر بها قبراً لهذا الرفيق الأخ فنزل من الجبل وتوجه نحو البحر ووجد سفينة تبحر عند المرسى ، فنادى الرجل على قائد السفينة والطاقم الذين معه ليأتوا أعلى الجبل ليساعدوه فى دفن رفيقه ، فوافق الجميع طواعية وذهبوا أعلى الجبل ومعهم ما قد يحتاجونه من أدوات ، وحفروا القبر وقاموا بدفن الراهب المتنيح ، فلمست تقوى هذا الناسك ونعمته قلب أحد البحارة (وإسمه ثاليليوس Thalilaios) حتى أنه طلب من العجوز الأب جرجس إن كان من الممكن البقاء معه ، ولكن الأب جرجس قال له : قد يكون من الصعب عليك تحمل قسوة حياة الزهد ، ولكن البحار الشاب أجابه بأنه متأكد من أنه يستطيع تحملها وبقى مع الأب العجوز لمدة عام كامل وكان يبذل الجهد الكبير لتحمل تلك الحياة ، وفى نهاية العام أتى ثاليليوس إلى الأب جرجس وإنحنى أمامه وقال له : صلى لى يا أبى وأشكرك على صلواتك ،

فقد ساعدنى الرب على تحمل المعاناة ، فلم أعد أشعر بعد بألم الحياة ولا قسوة المناخ أصبحت تزعجنى ، لم تعد ترهقنى الحرارة ولايرعشنى البرد ، فأنا أشعر بنعمة الرب وبركته.

بارك الأب العجوز الأخ ثاليليوس ، وبقى معه لمدة عامين ونصف عام بعدها شعر هذا الرجل أن حياته قد أوشكت على الإنتهاء ، فقال للعجوز ملتمساً : خذنى إلى أورشليم حتى يمكننى أن أمجد الصليب المقدس وقبر يسوع المسيح إلهنا ، ففى هذه الأيام سيأخذنى المسيح لأبقى معه ، لذا فقد أخذ العجوز الرجل وذهبا معاً إلى المدينة المقدسة ، وصلى الإثنان ومجدا المكان ثم إتجها إلى نهرالأردن المقدس وتعمد الإثنان مر ثلاثة أيام وتنيح البحار ثاليليوس ، فقام أب جرجس بدفنه ، ولم يمر وقت طويل وتنيح العجوز أيضاً ، فقام الآباء فى دير كوبراثا Copratha بدفنه فى كنيستهم .

٩١- حياة الأخ جرجس وجسد الراهب بطرس

أخبرنا أبانا الأب جرجس بطريرك ورئيس دير الأب القديس ثيؤدوسيوس الموجود بصحراء مدينة إلهنا يسوع المسيح وأخبرنا المفكر سوفرونيوس الآتى :

كان هناك أخ يدعى جرجس الكبادوكى إعتاد هذا الشخص القيام ببعض الأعمال اليدوية ، وفى أحد الأيام أثناء قيام بعض الإخوة بخبز بعض الأرغفة كان الأخ جرجس يشعل الفرن ويجهزه للخبز، وعندما أشعل الفرن لم يجد الأداة المستخدمة (تدعى المطرحة) حتى تساعده فى حمل الأرغفة المخبوزة خارج الفرن (كان بعض الإخوة قد قاموا بإخفاءها لإختباره) ، فدخل الأخ جرجس الفرن بنفسه وقام بتحريك الأرغفة بجلبابه ، ثم خرج من الفرن دون أدنى إصابة ، وعندما سمعت ذلك قمت بإثبات ذلك لباقى الإخوة بوضعه مرة ثانية فى نفس الإختبار .

أخبرنا نفس الأب عن نفس الأخ جرجس الآتى :

أنه فى أحد الأيام وأثناء خروجه ليرعى الخنازير فى مدينة فاسياليس [Phasaelis] إنقض إثنان من الأسود على أحد الخنازير، فحمل الأخ جرجس عصاة وقام بمطاردتهما حتى نهر الأردن المقدس .

ومرة أخرى قص لنا الأب جرجس الآتى :

أثناء تشيدنا لكنيسة القديس كريكوس [Kerykos] فى فاسياليس وإستعدادنا لوضع الأساس لها ، ظهر لى فى نومى أحد الرهبان المعروف بنسكه الشديد ، وكان يرتدى زياً من الخيش ، وقال لى بصوت حنون دافئ : أخبرنى أيها الأب جرجس هل من العدل بالنسبة لك أنه بعد كل هذا التقشف وتحمل الآلام أن أبقى مدفوناً خارج الكنيسة التى تشيدها أنت الآن ؟

أجبت بإحترام شديد : حقيقة من أنت يا سيدى ؟ أجاب الرجل : أنا الراهب بطرس راهب نهر الأردن المقدس .

إستيقظت من نومى فى الفجر وقمت بتوسيع الرقعة التى ستقام عليها الكنيسة ، وعندما قمت بالحفر بعد هذا التوسع وجدت رفات هذا الناسك راقد هناك ، تماماً كما رأيته فى نومى ، وعندما إنتهينا من بناء الكنيسة بنيت له قبراً عظيماً فى الجزء الأيمن من الكنيسة ونقلته فيه.

٩٢- حياة الأب سيسنيوس الذي رفض الأسقفية ، وتلميذه

نفس الأب العظيم جرجس قام بإخبارنا الآتى : فى أحد الأيام قمت بزيارة إلى الأب سيسينيوس الناسك [Sisinios] ، وهو الراهب الذى تخلى عن منصبه كأسقف من أجل التفرغ لحياته مع الرب يسوع وسلك حياة التوحد فى قرية تدعى بثابارا [Bethabara] التى تقع على بعد ستة أميال من نهر الأردن العظيم ، وعندما ذهبت له وطرقت الباب لفترة طويلة ، وأخيراً فتح لنا أحد تلاميذه وقال لنا : إن الأب يحتضر، وكان يصلى للرب ألا يفارق الحياة قبل أن يسمع بوجودك هنا فى هذه الأرض ، وحيث أننى كنت فى القسطنطينية لأداء بعض المهمام المتعلقة بالدير فى محكمة الإمبراطور الصالح تابروس صعد تلميذ هذا الراهب ليخبره بوصولى ، وبعد فترة قصيرة هبط وقال لنا : أنا

مستعد الآن فصعدنا لراهب وعند دخولنا وجدناه قد فارق الحياة ! أدركت أن هذا الرجل الصالح قد تنيح وصعد لأبيه السماوى بمجرد سماعه بوصولى للمكان ، وعندما دنوت منه وضممته إلى صدرى سمعته يحدثنى بصوت خافت ويقول : أهلاً بك ياأبانا ورقد ثانية ، فأخبرت أهل بيته بوفاته وقاموا بدفنه ، وأثناء حفرهم لقبره طلب تلميذه من حفار القبور قائلاً : إذا تفضلت أن تجعل هذه المقبرة أكثر إتساعاً حتى يمكننا الإقامة معاً ، وفى أثناء حفرهم لهذه المقبرة سقط التلميذ على الأرض ميتاً ، ودفن الإثنان معاً المعلم وتلميذه .

٩٣- حياة الأب جوليان أسقف بوسترا

قال الأب جرجس عن الأب جوليان [Julian] الذى أصبح أسقف بوسترا [Bostra] الآتى : بعدما رُسم الأب جوليان أسقفاً لمدينة بوسترا وترك خدمة الكهنوت بالكنيسة أراد بعض الأثرياء ممن لا يخشون الرب أن يتخلصوا منه ، فقاموا بشراء رئيس خدمه بالمال وذلك لوضع السم فى مشروب ويقدمه له، ففعل الخادم ما طُلب منه وقدم الكأس المسمومْ للأب الصالح جوليان ، ولكن بالروح القدس شعر الأب جوليان مؤامرة هؤلاء الأشرار وما يدبرونه له ، لم يريد الأب جوليان أن يفضح أمرهم أمام الناس جميعاً ، ولكنه خاطبهم بصوت حنون وقال لهم : لا تعتقدوا أنكم قادرون على التخلص من الأب جوليان البسيط بهذا السم سأتجرعه أمامكم جميعاً ، وقام برسم علامة الصليب ثلاث مرات على الكأس وهو يقول : سأشرب هذا الكأس بإسم الرب يسوع المسيح ثم تجرع هذا الأب الصالح الكأس أمامهم وبقى حياً دون أى أذى ، وعندما رأى المتآمرون جميعاً ما حدث ركعوا على ركبهم أمام الأب جوليان معترفين وتائبين.

٩٤- حياة الأب باتريك في دير سكوبلس

كان هناك رجل تقى يعيش فى دير الأب القديس ثيؤدوسيوس ، ومن أصل أرمانى ومن مدينة سبسطية [Sebasteia] ، وإسمه باتريك [Patrik] ، طاعن فى السن يقال أن عمره يقارب المائة والثلاثين شديد الإتضاع وصامت طوال الوقت ، وأخبرنا آباء هذا الدير أن هذا الرجل التقى كان فى أحد الأيام رئيساً لدير فى آبازان [Abazan] ، ولكنه ترك هذا المنصب خوفاً من أن يدان

أمام الرب وقال : إن المكان يحتاج إلى رعاة روحيين عظماء حتى يرعوا خراف روحيين ، ولذلك فقد أتى إلى هنا ووضع نفسه تحت سلطان الطاعة إعتقاداً منه بأن ذلك قد يكون أكثر فائدة له.

٩٥- قصة أخري عن الأب باتريك

روى الآباء رواية أخرى تخص الأب باتريك : كان هناك راهب عجوز من أصل عربى وكان يدعى جوليان [Julian] ، وفى أحد الأيام إختلف الأب جوليان مع الأب مكاريوس [Macarios] بطريرك أورشليم، فإمتنع عن التناول معه فى الكنيسة وذهب ليتحدث مع الأب سيمون الناسك [Symeon] عند جبل يسمى جبل العجائب والذى يقع على بعد تسعة أميال غرب أورشليم وقال له: إننى رجل أعمى ولا أستطيع الذهاب بمفردى لأى مكان ولا يوجد معى من يقودنى إلى حيث أريد بالإضافة إلى أننى أرفض التناول مع الأب مكاريوس أخبرنى يا أبانا ماذا أفعل حيال شخص زانى قد أقسم قسماً مقدساً معه ؟

قال الأب سيمون للأب جوليان : لا تنسحب من الدير ولا تبعد عن الكنيسة المقدسة وبنعمة يسوع المسيح إبن الله الحى لن يكون هناك شرور فيها ولكن يجب عليك أن تعلم يا أخى إن كان الشخص الذى يصلى فى القداس فإن هناك رجل تقى إسمه باتريك هذا الرجل يقف خارج المذبح وفى أكثر الأماكن إنخفاضاً وقريب من الحائط الغربى من الكنيسة ، فإن هذا الرجل يصلى صلاة القداس للجميع وفى القداس يتبارك جميع الحاضرين من أجل صلاته[1].

٩٦- الشقيقان اللذان تعاهدا ألا يفترقا أحياءاً أو أمواتاً

قال الأب يوحنا الناسك أو كما كان يسمى : يوحنا الأحمر John the Red أنه سمع من الأب ستيفان المووبيتى [Stephan the Moabite] أنه عندما كان فى كنيسة القديس ثيؤدوسيوس ، كان هناك شقيقان تعهدا عهداً مقدساً ألا يفترقا سواء كانوا أحياءاً أو أمواتاً ، وأثناء وجودهما فى الكنيسة كانا بمثابة مصدر ومرجع للعلم والتهذيب أحد

[1] يريد الكاتب هنا أن يشير إلى أن رجل تقي واحد يمكن أن يملأ المكان بالنعمة .

الشقيقين وقع فريسة لشهوة الزنا حاربته تلك الشهوة بضراوة حتى إنهزم فى تلك الحرب هزيمة نكراء وإستسلم لشهوته ، فقال لشقيقه : أطلقنى يا أخى ، فأنا منساق نحو الزنا وأريد الرجوع لحياة العالم ، فتوسل إليه أخاه قائلاً : يا أخى لا تفسد كل ما تحملته من نسك بفعلتك هذه ، أجاب عليه قائلاً : سواء أتيت معى لأفعل ما أريده أو تركتنى أذهب بمفردى فإننى سأذهب .

لم يرغب الأخ فى ترك أخاه المهزوم ، فتركا الإثنان الدير وذهبا إلى المدينة ، ودخل الأخ المهزوم مكاناً لممارسة الخطية وترك أخيه بالخارج وكان شقيقه يوبخ نفسه ويضع التراب على رأسه من شدة الحزن والأسى على أخيه ، وعند خروج الشقيق المهزوم من المكان وبعد أن فعل الخطية ، قال له شقيقه : يا أخى ماذا ربحت من خطيتك ؟ وماذا خسرت بها ؟

أجاب المهزوم قائلاً : لا أستطيع الرجوع إلى حياة البرية مرة أخرى وسوف أبقى فى العالم ؛ عمل الشقيق الصالح كل ما فى وسعه لإقناع أخيه بالرجوع إلى حياة البرية ولكنه فشل ، وكانت النتيجة أن ترك الإثنان البرية وإستمرا معاً فى العالم ، وعمل الشقيقان كعمال حتى يستطيعا أن يعولا أنفسهما فى ذلك الوقت كان الأب إبراهيم (الذى أنشأ دير الإبراهيميت فى القسطنطينية والذى كان بطريرك أفسس وكان يعرف بطيبته ولطفه الشديدين) وكان فى ذلك الوقت يبنى ديره الخاص والذى كان يعرف بإسم دير بيزنطين [Byzantines] غرب أورشليم وأتى إليه الشقيقان ليعملا فى بناء هذا الدير للحصول على أجر وكان الشقيق الذى وقع فريسة للزنا يأخذ كل أجره ، وينطلق إلى المدينة كل أسبوع حيث يبدد ما كسبه فى ممارسة الخطية بينما الشقيق الآخر يؤدى عمله فى صمت عميق ولا يتحدث لأى شخص.

عندما لاحظ باقى العاملين هذا الشقيق الصامت وأنه أيضاً لا يأكل ولا يتحدث إلى أحد ولا يفعل شئ سوى التأمل ذهب باقى العمال وأخبروا الأب إبراهيم عنه ، فقام الأب إبراهيم بإستداعاؤه إلى قلايته الخاصة ليتحدث إليه ، وعندما أتى هذا الشقيق سأله البطريرك : من أين أتيت أنت وشقيقك وماذا تعملان ؟ إعترف له الشقيق قائلاً : بسبب شقيقى حدث كل هذا ورجائى فى

الرب بأن ينظر إلى ضعفي وينقذ أخى إستمع إليه الأب إبراهيم ثم قال له : منحك الله سلطان على روح أخيك أيضاً كما أن لك سلطان على نفسك ، ثم صرفه وخرج الشقيق وترك قلاية الأب إبراهيم وعلم أن أخيه يناديه ويقول له : خذنى إلى البرية حتى يخلصنى الرب ، وعلى الفور أخذه شقيقه إلى كهف قريب من نهر الأردن المقدس وأغلق عليهما الباب وبعد فترة قصيرة كان الشقيق الخاطىء قد صنع تقدماً عظيماً فى علاقته الروحية مع الله ، ولم يمض وقت طويل حتى رحل إلى السموات ، أما الشقيق الثانى حتى يفى بقسمه إستمر فى الكهف حتى مات هو أيضاً هناك .

٩٧- قصة للشقيق الحي

بينما كان الشقيق يقضى باقى حياته فى الكهف بجوار نهر الأردن المقدس بعد وفاة شقيقه جاء إليه رجل من دير كالامون وقال له : أخبرنى يا أخى ما هو الشئ الصالح الذى يجعلك تبقى صامتاً وناكراً لذاتك ؟

أجاب الشقيق قائلاً : إذهب وعُد مرة ثانية بعد عشرة أيام وسوف أخبرك ، فرحل الرجل العجوز ثم رجع مرة ثانية بعد عشرة أيام فوجد أن الشقيق قد فارق الحياة وبجواره جزء من فخار مكسور ومكتوب عليه : إغفر لى يا أبى ولكننى لن أدع ذهنى منشغل بأمور أرضية بينما أؤدى أمور روحية أخرى .

٩٨- الراهب أنطوني في دير سكوبلس

أخبرنا بعض الآباء فى دير سكوبلس أنه منذ زمن كان هناك راهب يدعى أنطونى [Anthony] وفى أحد الأيام قرر الذهاب إلى مدينة تدعى كوتيلا[1] [Coutila] وأثناء سيره فى البرية قابله بعض السراسيين يمرون بهذا الطريق ، وعندما رأوا الراهب العجوز تقدم إليه أحدهم وأشهر سيفه فى وجه الراهب بنية قتله ، وعندما رأى الراهب هذا الرجل وهو يتجه نحوه نظر بعيفه إلى السماء وقال : أيها الرب يسوع المسيح لتكن مشيئتك ، فعلى الفور

[1] تعني "الصحراء المطلقة" وهي تقع في تجاه البحر الميت في منطقة قمران Qumran

إنشقت الأرض وإبتلعت هذا السراسينى ، وأُنقذ الراهب ودخل إلى قلايته فى الدير يمجد الرب .

٩٩- حياة الراهب بطرس في دير بونتس

إستمرت روايات هؤلاء الآباء عن القديسين وذكر الكاهن بطرس [Peter] والذى كان من بونتُس [Pontus] والذى يُنسب إليه أيضاً العديد من الأعمال الرائعة حيث كانت له قصة خاصة مع الأب ثيؤدورس أسقف روسس وقصها علينا هذا الأسقف :

فى أحد الأيام قررنا أنا والراهب بطرس التوجه إلى نهر الأردن المقدس حيث يوجد الدير الذى أقيم فيه عند برجيا فقال لى بطرس : إذا تفضلت يا أخى ثيؤدورس دعنا نقدم توبتنا فلا يأكل أى منا أى شئ حتى نصل إلى جبل سيناء ، فأجبته فى الحقيقة يا أبى هذا يفوق قدرتى ، ولكن الأب بطرس قام بتنفيذ ما قرره بمفرده ولم يأكل شيئاً حتى وصل إلى جبل سيناء ، وعند الجبل قام بتناول جزء من القربان المقدس ، ثم إمتنع عن الطعام منذ أن تركنا جبل سيناء حتى وصلنا إلى مدينة القديس مينا[1] فى الإسكندرية وهناك حضر القداس ثم تناول جسد المسيح ودمه ، ومن الإسكندرية حتى وصل المدينة المقدسة لم يذق أى طعام ، ثم قام بعمل القداس فى كنيسة القيامة وبعدها تناول بعض الطعام ، ففى خلال تلك الرحلة الطويلة والشاقة لم يذق هذا الأب القديس الطعام إلا ثلاث مرات : **الأولى** عند جبل سيناء **والثانية** فى مدينة القديس مينا بالإسكندرية **والثالثة** فى المدينة المقدسة .

١٠٠- حياة الراهب باردوس الروماني

وذكر نفس آباء نفس الدير رواية أخرى تخص الأب **باردوس** أى بولس وكان قد أتى إلى الدير من روما وكان هذا الرجل فى شبابه يعمل بغالاً أى

---

[1] هي مدينة ومكان مقدس تقع تقريباً في منتصف المسافة بين الإسكندرية ووادي النطرون عند صحراء ماريوت، وهو مكان له شعبيته حيث يزوره المسافرون أثناء سفرهم ليلاً وهم يركبون الحمير أو البغال وقادمون من الإسكندرية.

سائق بغل، وفى أحد الأيام خرج قاصداً الذهاب إلى أريحا ومعه بعض البغال وفى الطريق رأى طفل صغير فى كهف صغير، وأثار إبليس أحد البغال وبدون علم من الأب بولس سحق هذا البغل الطفل الصغير بقدميه حتى قتله إرتبك الرجل بشدة لما حدث ، ففرهارباً إلى البرية وعندما وصل إلى مدينة أرونا وأصبح راهباً ولكن حزنه لقتل الطفل لم يتوقف وكان دائم القول : إننى قد تسببت فى قتل هذا الصغير فأنا قاتل وسوف أدان أمام الرب ، وكان فى هذا المكان عرين لأسد وكان بولس يدخل هذا العرين كل يوم ويستفز الأسد حتى ينقض عليه ويفترسه ولكن الأسد لم يتأثر ولم يؤذى الرجل ، وعندما أدرك بولس أنه لم ينجح مع الأسد قال لنفسه : سوف أرقد على الأرض فى طريق الأسد وعندما يذهب الأسد ليشرب من النهر سيفترسنى ، رقد الأب بولس وبعد فترة خرج الأسد من عرينه ومع علمه بأن من على الأرض إنسان إلا أنه قفز من عليه كما لو كان حريصاً ألا يلمسه هنا علم بولس الناسك أن الله قد غفر له خطيته فرجع إلى ديره ، وسلك حياة كانت بمثابة المثال الذى يجب أن يحتذى به كل شخص يرغب فى التقوى والتهذيب وإستمر هكذا حتى رقد بسلام .

١٠١ـ ما حدث للمفكر سوفرونيوس وهو في الطريق

عندما كان أخى المفكر سوفرونيوس على وشك أن يُكمل رسالته مع الكنيسة والرهبنة وأن يفارق الحياة كنت واقفاً بجواره ومعنا الأب يوحنا السكولاستيكوسى [Scholasticos] والأب كيريكوس [Kerikos] وبعض الآباء الآخرين قال سوفرونيوس : بينما كنت أسير فى طريقى أتت بعض النساء الشابات وهن يرقصن أمامى وهن يقولن : أهلاً سوفرونيوس قد حصل سوفرونيوسُ على إكليله.

١٠٢ـ صفات الأب ستراتيجيوس

ذكر لنا نفس الآباء الصفات الحميدة للأب ستراتيجيوس [Strategios] رئيس دير القديس ثيؤدوسيوس ، وقالوا عنه أن له ثلاث صفات حميدة فاقت كل ما لدى الرهبان وهم : أكثرهم صوماً ، وأكثرهم فى صلاة العشية ، والأكثر عملاً .

١٠٣ـ الأب نونوس الكاهن

فى كنيسة الأب القديس ثيؤدوسيوس والذى أصبح أسقف كابيتولياس [Capitolias] أخبرنا الأب ثيؤدوسيوس عن الأب نونوس : أنه فى أحد الأيام وقبل أن نقرع على الأخشاب كإشارة لبدأ القداس سمعت شخص يردد بصوت منخفض وهادئ (الرب طيب) وبعد أن عددت معه تلك الجملة حوالى خمسمائة مرة أردت أن أعرف من هذا الشخص ، فنظرت من نافذة قلايتى تجاه الكنيسة، فرأيت رجل عجوز راكعاً على ركبتيه بينما يضئ رأسه نجماً ساطعاً كمن يحاول أن يعرفنى على المتكلم.

روى أيضاً بعض الآباء فى نفس الدير عن هذا الأب بأنه أيضاً فى أحد الأيام وقبل بدأ القداس قال أحد الرهبان : تركت قلايتى وذهبت إلى الكنيسة لحضور صلاة القداس ، فرأيت الأب نونوس واقفاً أمام الكنيسة ويده ممتدة إلى السماء وهو يصلى وكانت يداه كعمودين من اللهب يصلان عنان السماء ، فرجعت إلى قلايتى خائفاً .

١٠٤ـ الأب كريستوفر الروماني

عندما كنا فى الإسكندرية قمنا بزيارة إلى الأب ثيؤدولوس [Theodoulos] فى دير سانت صوفيا [Saint Sofia] أو (القديسة صوفيا) بجوار المنارة وقام بإخبارنا بالآتى :

كان ذلك فى كنيسة الأب القديس ثيؤدولوس فى صحراء المدينة المقدسة مدينة الرب يسوع المسيح هناك وعندما رفضت حياة العالم وإتبعت حياة الرهبان ، قابلت رجل إسمه كريستوفر [Christopher] رومانى الأصل ، فذهبت إليه وقدمت له ميطانية وقلت له : إذا تفضلت يا أبتا أخبرنى كيف قضيت حياتك منذ شبابك حتى الآن ؟ لم يبدى رغبة فى الكلام ولكن عند إصرارى لمعرفة الجواب ولعلمه بحاجتى الروحية قال : يا بنى عندما رفضت العالم كنت ممتلئاً بالشوق لحياة الرهبنة ، ومنذ ذلك اليوم وأنا أفعل بعناية وبدقة كل ما تمليه علىَّ هذه الحياة ، ففى المساء أذهب إلى الكهف الذى دفن فيه الأب

القديس ثيؤدولوس وآباء قديسين آخرين لأصلى وعند هبوطى درجات سلم هذا الكهف وعند كل درجة أقدم مائة ميطانية للرب ، فإن عدد درجات السلم ثمانية عشر وعندما أهبط كل درجات السلم أبقى هناك حتى أسمع قرع الأخشاب لبداية صلاة باكر ، ثم أرجع لمكانى وقد فعلت هذا طيلة عشرة سنوات مع صومى المستمر وحرصى على عفتى وعملى الدؤوب ، ولكن فى إحدى الليالى بعدما قمت بما إعتدت عليه وعندما وطأت قدمىَّ أرض الكهف سقطت فى غشية ثم رأيت الكهف كله مملوء بالمصابيح بعضها مضئ وبعضها غير مضئ ، ثم رأيت رجلان يرتديان ملابس بيضاء ويضعان تلك المصابيح ، وسألتهما : لماذا تضعان تلك المصابيح هكذا فلا يمكننا أن نهبط للصلاة ، فقالا إنها مصابيح آبائنا فقلت لهما ثانية : لماذا بعضها مضئ والآخر غير مضئ ؟ فأجابا ثانية قائلين : من أراد أن يضئ مصباحه قام وأضاءه ، فقلت لهما : أخبرانى إذا تفضلتما هل مصباحى مضئ أم لا ؟ فقالا لى : سوف نضيئه لك صلى ، وعلى الفور إستجبت وهذا ما أفعله حتى الآن .

بعد هذه الكلمات رجعت إلى وعيى وعندما إلتفت حولى لم أجد شخص يُرى ، فقلت لنفسى : يا كريستوفر إن أردت الخلاص هناك المزيد من العناء والعمل الشاق يجب أداؤه ، وعند شروق الشمس تركت الدير وإتجهت إلى جبل سيناء لم أكن أحمل شيئاً معى غير بعض الملابس ومكثت هناك ما يقرب من خمسين عاماً مكرساً تماماً للرب ، وهناك سمعت صوتاً منادياً علىَّ قائلاً : كريستوفر كريستوفر إرجع إلى كنيستك فقد أديت واجبك كمحارب وقد إنتصرت إنتصاراً عظيماً حتى تتاح لك الفرصة هناك بالدفن مع الآباء القديسين : قال لى ذلك وبعدها لفترة قصيرة إنطلقت روحه فرحة إلى السموات ورقد فى سلام ، وفى مناسبة أخرى روى الأب ثيؤدوسيوس عن الأب كريستوفر قال الأب كريستوفر : فى أحد الأيام تركت الدير الذى أعيش فيه وذهبت إلى المدينة المقدسة حتى أمجد صليب ربنا يسوع المسيح ، وبعد أن مارست بعض الطقوس وعندما كنت خارجاً من الحجرة المؤدية إلى الصليب المقدس رأيت رجلاً واقفاً عند مدخل الباب لايريد الدخول أو حتى الخروج ورأيت غربان قبيحان الطلعة ويطيران أمام وجهه حتى كانت أجنحتهما تضربان وجهه حتى نجحا فى منعه

من الدخول إلى هذا القبر المقدس ، أدركت أنهما من الشياطين ، فذهبت للرجل وقلت له : أخبرنى يا أخى لما ترددك فلم تدخل إلى المكان ؟

قال لى الرجل : إغفر لى يا أبى إن مشاعرى مضطربة ، فهناك شعور يدفعنى للدخول وتمجيد صليب المسيح ، وهناك شعور آخر يختلق لى الأعذار ويدفعنى لترك المكان والحضور فى وقت آخر، وعندما سمعت هذا أخذته من يده ودخلنا معاً إلى المكان المقدس وعلى الفور هرب الغربان ، فمجدنا صليب المسيح وكنيسة القيامة المقدسة وصرفته فى سلام المسيح ، كان هذا الراهب الصالح يخبرنى بتلك الأمور لأنه كان يرى أننى قد أكون مقصراً فى بعض الواجبات ومهملاً فى الصلاة .

١٠٥ـ قصة الأب ثيؤدور مع الراهب السوري

إستمر الأب ثيؤدولوس فى رواياته عن الآباء القديسين وقال : كان هناك فى مكان قريب من المنارة ويقع بين كنيسة القديسة صوفيا [Saint Sophia] وكنيسة القديس فوستس [Faustus] كان هناك نُزل صغير يوجد به رجل يقوم برعاية النزلاء للمكان ، وفى أحد الأيام طلب منى هذا الرجل أن أحل محله لبضعة أيام ، وأبديت موافقتى وذهبت إلى هذا المكان ولكن أثناء تواجدى هناك لاحظت أن أحد نزلاء المكان وهو راهب سورى الأصل لا يملك غير عباءة مصنوعة من الشعر ورداء بسيط وبعض أرغفة من الخبز ويقف هناك فى أحد الأركان طوال الوقت يتلو آيات من الكتاب المقدس ويرنم ويقدم تحية لشخصاً ما غير موجود ، وفى صباح اليوم المقدس ذهبت إليه وقلت له : يا أخى هل أنت ذاهب معنا إلى كنيسة القديسة صوفيا لتناول السر المقدس جسد وبنا وإلهنا يسوع المسيح ، فقال لى : أنا أتبع تعاليم سفرونيوس (أحد التعاليم المهرطقة) فهو لا يتناول فى الكنيسة الجامعة الرسولية وعندما علمت بذلك ومن قبلها لاحظت سلوكه المسيحى الرائع وأن له طريقته فى الحياة لا غبار عليها ، فإنطلقت إلى قلايتى باكياً وأغلقت علىَّ الباب وطرحت نفسى أمام الرب لمدة ثلاثة أيام وأنا أصلى بالدموع وأقول للرب : أيها السيد العظيم ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح يا من حبه يفوق أى وصف ولا يضاهيه حب " أنت

اللابس النور كثوب والباسط السموات كخيمة" (مز ١٠٤ : ٢) من أجل البشرية أتيت لتخلصنا وتجسدت فى رحم الأم القديسة العذراء إلى الأبد مريم ، إكشف لى حقيقة هذا الرجل ومن هم المؤمنون الحقيقيون نحن الذين ننتمى إلى الكنيسة أم هؤلاء الذين يتبعون هذه التعاليم ، وفى اليوم الثالث سمعت صوت ولم يظهر صاحب هذا الصوت قائلاً: يا ثيؤدولوس إذهب وتعرف على إيمانه ، لذلك فقد ذهبت إليه فى اليوم التالى وجلست أمام الرجل السورى وتوقعت أن أرى شيئاً حسبما قال لى هذا الصوت ومكثت أمامه حوالى ساعة أنظر إليه ، ثم وقف الرجل ليرتل بعض آيات من الكتاب باللغة السريالية ، وفى هذه اللحظة يا أبنائى رأيت حمامة سوداء قبيحة ترفرف على رأسه هنا أدركت أن تلك الحمامة المقززة الدنسة التى ظهرت لى ما هى إلا إيمانه ، وأن الروح القدس قد أظهر لنا الحقيقة بعد صلوات كثيرة ودموع غزيرة .

١٠٦- الأب جيراس يموس

على بعد ميل من نهر الأردن المقدس ، كان هناك دير يدعى دير الأب جيراسيموس [Gerasimos] وأثناء تواجدنا هناك تحدث معنا بعض الآباء عن الأب جيراسيموس بأنه فى أحد الأيام كان يسير عند نهر الأردن المقدس وهناك قابل أسداً يزئر بشدة من قوة الألم ، وكانت شوكة حادة قد غرست فى مخالبه مما سبب إلتهاباً شديداً وأدى إلى تقيح الجرح ، وعندما رأى الأسد هذا الراهب دنا منه وهو يئن وعرض عليه قدمه المصابة كما لو كان يسأله المساعدة والشفاء رأى هذا الراهب حالة هذا الأسد المسكين ، فجلس بجواره محاولاً مساعدته فأمسك بمخلبه وإنتزع الشوكة الحادة منه ونظف الجرح من صديده وربط مكان الجرح وصرف الأسد ، ولكن هذا الأسد المريض لم يترك العجوز وسار خلفه كالتلميذ النبيل أينما يذهب العجوز ، إندهش الرجل من ولاء هذا الأسد وأصبح هذا الحيوان منذ ذلك الحين يعيش مع الراهب ، فكان الراهب يطعمه ويطهو له الخضروات ، وكان يوجد فى ذلك الوقت فى الدير حماراً يستخدمه الرهبان فى نقل المياه من نهر الأردن المقدس الذى كان يقع على بعد ميل من الدير ، فعهد الرجل مسئولية رعاية الحمار لهذا الأسد ، فكان الأسد

يحمى الحمار أثناء جلبه للمياه من نهر الأردن ، وفى أحد الأيام ذهب هذا الحمار بعيداً عن راعيه فرأه بعض الجمالين العرب فأخذوه بعيداً عن المدينة، وعندما فقد الأسد أى أثر للحمارعاد مسرعاً إلى الدير ليبلغ الأب جيراسيموس وكان يشعر بالخجل والحزن الشديدين إعتقد الأب جيراسيموس أن الأسد قد إفترس الحمار وأكله فقال له : أين الحمار؟ وقف الأسد صامتاً خافضاً رأسه كما يفعل الإنسان ، فسأله الرجل ثانياً : هل أكلت الحمار؟ فليباركك الرب لكن أنت من الآن فصاعداً ستقوم بأداء كل مهمام هذا الحمار ، وبالفعل منذ ذلك الوقت والأسد يفعل ما يأمره به الرجل ، فكان يذهب إلى النهر وعلى ظهره أوانى خزفية ويملأها بالمياه ويحضرها للدير، وفى أحد الأيام أتى أحد المسئولين فى المدينة للدير طالباً صلاة هذا الأب ، فرأى الأسد وهو يحضر المياه ، وعندما علم بالقصة أشفق على وضع هذا الأسد وأعطى الآباء الذين بالدير أموال لشراء حمار ليقوم بتلك المهام وأن يرحم الأسد من هذه الأعمال المهينة .

مر بعض الوقت وأتى الجمال الذى أخذ الحمار من عند نهر الأردن أتى للمدينة المقدسة ليبتاع بعض الحبوب وكان معه الحمار ، وأثناء مرور هذا الرجل عند نهر الأردن رأى الأسد فإرتعب وسلم قدميه للريح وهرب تاركاً جماله ، وتعرف الأسد على الحمار ، فأمسك به بفمه كما إعتاد أن يفعل وذهب به ومعه أيضاً ثلاثة جمال آخرين وذهب إلى الراهب العجوز جيراسيموس ، فأخذ يزئر بفرح شديد محتفلاً بعودة الحمار فعلم الرجل أنه قد إتهم الأسد ظلماً بأنه قد إفترس الحمار، فأطلق على الأسد منذ ذلك الوقت يوردانيس (أى نهرالأردن) وعاش الأسد مع الرجل قرابة خمسة أعوام لم يفارقه أبداً ، وعندما تنيح الأب جيراسيموس ودفن فى نفس مقابر الآباء القديسين ، وبتدخل من الرب لم يكن الأسد موجود بالدير فى ذلك الوقت وبعد فترة عاد الأسد يبحث عن الأب جيراسيموس ، فنظر إليه أحد تلاميذ الأب جيراسيموس وهو الأب سباتيوس السيلزيانى [Sabbatios] وقال له : يا يوردانيس قد تركنا أبانا ورحل إلى السماء .

رفض الأسد الطعام وإستمر فى بحثه عن الأب جيراسيموس أملاً فى أن يجده ويزئر بشدة كمن لا يصدق تلك الفجيعة ، وعندما رأى ذلك الأب سباتيوس

والآباء الآخرين ، فأخذوا يمسحون على شعره ويقولون له : لقد ذهب الأب إلى الرب ، ولكنهم لم ينجحوا فى تهدئة صراخه ونحيبه ، فكلما تحدثوا معه بالكلمات محاولين أن يهدئوا من روعه زاد زئيره ، فكان يعبر بصوته وعينيه عن عدم تصديقه لإختفاء هذا الأب بعدها قرر الأب سباتيوس أن يبرهن له أن الأب قد رحل للأبد ، فقال للأسد : حيث أنك لا تصدقنا ، فتعالى معى وسوف أريك أين يرقد هذا الراهب الحنون ، وأخذ الأسد وذهب به إلى حيث دُفن الأب جيراسيموس ، وكان المكان يبعد حوالى نصف ميل عن الدير، وعندما وصلا الإثنان إلى المكان وقف الأب سباتيوس عند المقبرة وقال للأسد : أنظر هنا يرقد الأب جيراسيموس ، وركع على ركبتيه وعندما رأى الأسد أن الأب سباتيوس راكعاً على ركبتيه أخذ يضرب رأسه فى الأرض ويزئر بشدة وعلى الفور مات أعلى مقبرة الأب جيراسيموس .

حدث هذا الأمر ليس لأن الأسد لديه روح راشدة بل لأن الله يتمجد فى هؤلاء الذين يمجدون إسمه وليخبرنا كيف كانت جميع الحيوانات تخضع لآدم قبل سقوطه فى الخطية وعدم طاعته لأوامر الله .

١٠٧- الكاهن البتول وزوجته العذراء

أثناء تواجدنا فى جزيرة ساموس [Samos] وإتجهنا إلى دير شاريزنوس [Charizenos] وهناك تقابلنا مع رئيس الدير الأب إيسيدور [Isidore] ، كان هذا الرجل يتمتع بنعمة الحب الإلهى لكل البشرية ويتجمل بالبساطة والتواضع المتناهيين ، وبعد توليه أسقفية المدينة فى جزيرة ساموس ، أخبرنا بالآتى :

على بعد ثمانية أميال من المدينة حيث توجد كنيسة وبها كاهن يتميز بتقواه وورعه ، ولكن والدى هذا الكاهن أجبراه على الزواج حتى يتجنب طريق الخطية والإغواء وبالرغم من زواجه قانونياً وشرعياً من إمرأة إلا أنه إستطاع إقناع زوجته بأن يعيشا معاً حياة البتولية والعفة ، ودرس الإثنان معاً المزامير وبدءا فى الترنيم معاً فى الكنيسة وإستطاع الإثنان الحفاظ على عذريتهما حتى تقدم بهما السن ، وعندما كان هذا الكاهن رجل عجوز أُتهم بالباطل أمام

الأسقف، ولم يكن يعلم هذا الأسقف بحقيقة الأمور فأمر بأن يوضع هذا الكاهن فى السجن ، وكانت التقاليد فى ذلك الوقت تسمح بأن يُسجن رجل الدين إذا ما أخطأ الطريق ، وعندما آتت عشية يوم الرب وأثناء تواجد هذا الكاهن فى السجن ظهرله شخص له هيبة وقال : إنهض أيها الكاهن وإذهب إلى كنيستك لتتناول جسد المسيح ودمه ، فقال له الكاهن : لا أستطيع فأنا سجين ، فقال له هذا الشخص : تعالى معى وفتح باب السجن وخرج معه وصاحبه طوال الطريق وهو حوالى ميل من السجن حتى الكنيسة وعندما أشرق نور الصباح ذهب السجان ليبحث عن الكاهن السجين فلم يجده ، فإنطلق إلى الأسقف وروى له ما حدث وقال : لقد هرب السجين وبينما أحمل أنا وحدى المفتاح ، وإعتقاداً من الأسقف أنه بالفعل قد هرب فقد قام بإرسال أحد الخدام وقال له : إذهب وأنظر ما إذا كان هذا السجين فى بلدته ولكن لا تتخذ أى إجراء ضده ، فذهب الخادم ووجد الكاهن فى الكنيسة يتناول ، فعاد للأسقف وقال له : أنه هناك لقد شاهدته وهو يتناول فى القداس إشتعل الأسقف غضباً وتوعد بأنه سيحضره مهاناً فى اليوم التالى ، ولكن فى مساء الليلة السابقة ليوم الإثنين ظهر نفس الشخص الذى سبق وأن ظهر للكاهن وقال له : تعالى معى لأصحبك لنفس المكان الذى وضعك فيه الأسقف وأخذ الكاهن وذهب به للسجن ووضعه فى نفس المكان دون علم الحارس ، وفى صباح يوم الإثنين علم الأسقف بأن الكاهن قد رجع لمكانه بالسجن دون علم السجان .

أرسل الأسقف طالباً الكاهن ومحاولاً معرفة كيف أنه خرج ثم عاد ثانية دون علم السجان ، فقال له الكاهن : أتى لى رجل مهيب المظهر وحسن الهندام وأخبرنى بأنه أحد خدام الكنيسة وفتح لى بوابة السجن وصاحبنى لمسافة ميل حتى وصلنا إلى مدينتى فى مساء يوم السبت ثم قام بإحضارى هنا مساء أمس ، فقام الأسقف بإحضار كل الخدام فى الكنيسة ولكن الكاهن لم يتعرف على أحد منهم ، وهنا أدرك الأسقف أن من أتى إليه هو ملاك الرب ، كما أدرك أنه لنقاء قلب هذا الكاهن الذى بدى واضحاً حدث ما حدث ، وكما أدرك أيضاً أن الله يمجد خدامه الذين يمجدونه ، فصرف الكاهن فى سلام بينما عاقب بشدة من إتهم هذا الكاهن بالباطل .

١٠٨ـ الأب جرجس الذي لا يحزن أبداً

حكى لنا تلك القصة أحد تلاميذ الأب جرجس رئيس دير الأب ثيؤدوسيوس هذا الرجل اللطيف الصالح والمتواضع وهو الأب ثيؤدوسيوس الذى أصبح أسقف كابيتولياس إسقصر هذا الأسقف يراقب الأب جرجس لمدة عشرون عاماً ، فإنه لم يراه ولو لمرة واحدة عاضباً أ وثائراً فى وقت كان الإهمال والتمرد متفشى إلى حدٍ كبير فيقول : من الذى يستطيع أن يسير

وعيناه مثبتة فى الأرض كما كان يفعل الأب جرجس؟ من الذى يستطيع أن يحبس دموعه كما كان يفعل الأب جرجس ؟ من الذى يستطيع التحكم فى كلماته ولسانه مثل الأب جرجس ؟ من الذى يستطيع أن يشرق على المكان الذى كان يعيش به كما يفعل الأب جرجس ؟ إنه إنسان أنار قلوبنا جميعاً بالإيمان .

١٠٩ـ أقوال متنوعة لراهب مصري

ذهبت ومعى المفكر سوفرونيوس للبحث عن راهب متميز وهو راهب مصرى كان يقيم فى دير يبعد ثمانية عشر ميلاً عن الإسكندرية ، وعند وصولنا قلت لهذا الراهب : يا أبانا أخبرنا عن تلك الحياة التى يجب أن نحياها كرهبان وتعاملاتنا مع بعضنا البعض حيث أن المفكر سوفرونيوس يرغب فى رفض حياة العالم .

قال الراهب : فى الحقيقة خير ما فعلت ، فبرفضك للعالم تخلص نفسك، فإبقى فى قلايتك حيث لايوجد شئ غير الإعتدال فى الأكل والشرب ورباطة الجأش والصلاة التى لا تنقطع ، والرجاء فى الرب فهو سيمدك بمعرفته والتى تؤدى بدورها لإنارة عقلك وروحك .

ثم قال : ياأبائى إذا أردتم الخلاص فإهربوا من الناس ، ففى أيامنا هذه لا ينقطع الطرق على الأبواب ، والسفر حول المدن والقرى المختلفة أملاً فى إشباع شهوتنا بالمجد الزائل والحياة الباطلة.

ثم قال : يا أبنائى دعنا نهرب فالوقت قد حان ، وفى وقت آخر جلس يحدثنا ، ثم قال : يا إلهى كم من الأمور التى يجب أن نبكى ونتوب عنها ونحن لم نفعل حتى الآن ؟

ثم أضاف : لن نتمتع بنعمة التواضع ما لم نمجد السماء ونكف عن إدانة الآخرين ، ففى هذا العالم أمور بعضها يجلب المجد الزائل والآخر يخلق منا أفراد فقراء روحياً حزناء ، فلا يوجد صالح حيثما يوجد الحزن والمجد الزائل وقال أيضاً : يوجد آباء عظماء ورائعون ورعاة لديهم الكثير من الأغنام ليرعونها ، ولكن بالنسبة لى فأنا غير قادر على رعاية غنمة واحدة بل إنى دائماً فريسة ضعيفة للحيوانات المفترسة.

ثم قال : إن الشياطين لها عملاً بعينه وهو عندما تقود الروح نحو الخطية تبدأ فى إصابتنا بالإحباط لتكمل عملها بتدميرنا بالكامل ، فدائماً ما تقول تلك الشياطين للروح :" **أعدائى يتقاولون علىَّ بالشر متى يموت ويبيد إسمه** " (مز ٤١ : ٥) ، فإذا كانت تلك الروح معتدلة ورصينة ترد على تلك الشياطين قائلة: " **لا أموت بل أحيا وأحدث بأعمال الرب** " (مز ١١٨ : ١٧) ثم يعاودون القول فيقولون :" **إهربوا إلى جبالكم كالعصفور**" (مز ١١ : ١) ، هنا يجب علينا الرد هكذا :" **إنما هو صخرتى وخلاصى وملجأى فلا أتزعزع**" (مز ٦٢ :٦) وأخيراً قال : إجعل من نفسك حارساً على قلبك حتى لا يدخله غريب .

ثم إختتم أقواله قائلاً : هل أنت معنا أم علينا ؟

١١٠- الراهب الذي يبدو مجنوناً

أثناء تواجدنا أنا وصديقى فى الإسكندرية ، وفى أحد الأيام ذهبنا إلى كنيسة القديس ثيؤدوسيوس ، وفى الطريق دنا منا رجل لا يرتدى شئ غير رداء بسيط من الخيش ثم ركع على ركبتيه بدا لنا كمجنون ، وقال لى الأب سوفرونيوس : أعطه قطعة نقود وسترى نعمة هذا الرجل الذى يتعقبنا ، فقدمت له خمسة قطع من عملات نحاسية ، فأخذها الرجل دون أن ينطق بكلمة واحدة ، وتتبعنا الرجل دون أن نظهر أنفسنا له ، وبمجرد أن إنعطف الرجل إلى طريق جانبى بسط يده اليمنى إلى السماء (التى كانت تحمل العملات النقدية) وركع أمام الرب ثم إنطلق بعد ذلك إلى طريقه تاركاً النقود على الأرض .

١١١- حياة ووفاة الراهب ليو الكبدوكي

فى فترة حكم الإمبراطور العظيم قيصر تيبريوس[1] [Tiberius] ذهبنا إلى الواحة العظيمة وأثناء وجودنا بها رأينا راهب كبدوكى الأصل كانت نعمة المسيح فى عينيه ، وحكى لنا أفراد الشعب الكثير من الحكايات والروائع التى تتعلق بهذا الرجل ، وعندما ذهبنا لنتعرف عليه ونتمتع معه بخبراته الروحية ونجنى بعضاً من ثمار إيمانه حيث كان يفيض بالنعمة وثمار الروح القدس مثل التواضع ورباطة الجأش والتقشف والإحسان على الفقراء ، وقد أظهر لنا كل تلك النعم عند زيارتنا له ، وقال لنا هذا الرجل خالد الذكر : صدقونى يا أبنائى لن يحكم أحد من كبدوكيا ، فهذا ما تضمرونه من معتقد مريض ، ثم إستطرد قائلاً : الحقيقة يا أبنائى أننى سأحكم ، ولم يستطع أحد إبعاد تلك الفكرة عن ذهنه ، ولكن عندما أتى البربر الموروتتاايين (Maziques) [2] وإجتاحوا المنطقة وذهبوا إلى الجزيرة العظيمة ، وقاموا بذبح العديد من الرهبان المقيمين هناك وقبض على ثلاث آباء وهم الأب يوحنا والأب أثناسيوس الرومانى والأب ثيؤدور والثلاث آباء كانوا فى ذلك الحين يعانون من المرض الشديد ، وعندما كانوا الثلاث فى قبضة البربر قال الأب يوحنا لهؤلاء البربر : خذونى إلى المدينة وسوف أطلب من الأسقف أن يعطيكم أربعة وعشرين قطعة ذهبية ، لذلك قام أحد هؤلاء البربر بإقتياده إلى المدينة وذهب الأب يوحنا إلى الأسقف وكان الأب ليو [Leo] فى هذا الوقت فى المدينة ومعه بعض آباء آخرون وهذا ما قد يفسرعدم وقوعهم فى أيدى البربر، فذهب الأب يوحنا للأسقف وأخذ يتوسل إليه بأن يعطى هذا البربرى أربعة وعشرون قطعة ذهبية ، ولكن الأسقف لم يجد غير ثمانية قطع فقط ، كان يوحنا يرغب فى إعطاء هذه القطع للبربرى ولكن هذا البربرى قال له : إما أن تعطينى أربعة وعشرين قطعة ذهبية

---

[1] Tiberius في الفترة من ٥٧٨ - ٥٨٢

[2] غزوات البربر من موروتانيا والتي بدأت مع بداية حكم موريس ، حيث كانوا يسببون الكثير من الإرهاب في الجزيرة.

أو هذا الراهب الذى يدعى يوحنا لم يكن لدى رجال الأسقفية غير أن يسلموا الأب يوحنا لهذا البربرى ، فبكى الأب يوحنا أمام البربر وهم يقودونه إلى معسكرهم .

مرت ثلاثة أيام ، وذهب الأب ليو إلى معسكر البربر ومعه الثمانية قطع ذهبية وقال لهم : خذوا هذه القطع الذهبية وأنا أيضاً وإطلقوا صراح هؤلاء الآباء لأنهم مرضى وغير قادرين على العمل أما بالنسبة لى فأنا أتمتع بصحة جيدة ويمكننى العمل لديكم ، أخذ البربرى الثمانية قطع ذهبية والأب ليو وأطلقوا صراح باقى الآباء ورحل الأب ليو مع هؤلاء البربر وقام بالعمل لديهم ، وعندما شعر الأب ليو بالتعب الشديد ولم يقدرعلى المزيد من السير معهم ، فقاموا بقطع رأسه وبذلك حقق الأب ليو ما قاله الكتاب المقدس فى أنجيل يوحنا **" ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه من أجل أحبائه"** (يو١٥ : ١٣) وعندئذ أدركنا جميعاً ما الأمر الذى كان يتحدث عنه الأب ليو عندما قال : إننى سأحكم ، فهو قد حكم على حياته من أجل أصدقائه .

١١٢- وصية الأب يوحنا في دير بترا

إنطلقت مع الزميل المفكر سوفرونيوس إلى دير بترا [Betra] للتحدث مع الأب يوحنا وطلبنا منه أن يخبرنا عن حكمة ما فقال لنا : إعشقوا الفقر وعفة النفس ، فأنا أقول ذلك لأنه عندما كنت فى فترة شبابى وأقيم فى دير سكيتى شعر أحد الآباء بألم شديد فى الطحال ، فذهب الآباء جميعاً يبحثوا عن بعض الخل لعله يخفف من شعوره بالألم ولكنهم لم يجدوا ولا قطرة واحدة ، فكم كان فقر هذا المكان وعفة نفس هؤلاء الذين يعيشون فى تلك الأديرة ، كان هناك ما يقرب من ثلاثة الآف وخمسمائة راهب .

١١٣- الأب دانيال المصري

فى مناسبة أخرى روى لنا نفس الأب (يوحنا) عن راهب آخر يدعى دانيال المصرى فقال الآتى :

ذهب هذا الراهب فى أحد الأيام إلى تيرنيوثيس [Terenuthis] ليبيع بعض الأعمال التى صنعها بيده ، فتوجه إليه رجل شاب وقال له متوسلاً : يا

أبى من أجل المسيح تعالى معى لبيتى ، وصلى لزوجتى فهى عاقر فذهب الأب دانيال مع هذا الرجل إلى بيته وصلى لزوجته ثم قال : لتكن مشيئة الرب فحملت المرأة بعد ذلك ، قام بعض الأشخاص الذين لايخشون الله بنشر شائعات وتشويه سمعة هذا الراهب بقولهم : أنه فى حقيقة الأمر أن الزوج هو العاقر وأن الأب دانيال هو من جعل المرأة حاملاً ، فوصلت تلك الشائعات لأذن الراهب الصالح ، فطلب من الزوج أن يخبره عندما تلد زوجته الطفل ، وبالفعل عندما وضعت المرأة الطفل وذهب الرجل للراهب وقال له : بنعمة المسيح وبفضل صلواتك ياأبى وضعت زوجتى طفلاً ، فقال الأب دانيال للرجل : إذهب وأعد مأدبة وأدعى إليها كل جيرانك وأصدقائك ، وفعل الرجل وبعد الإنتهاء من الطعام أخذ الأب دانيال الطفل بين ذراعيه وقال له : على مرأى ومسمع من الجميع : من يكون والدك ؟

قال الطفل : هذا الرجل ، وأشار بأصبعه نحو الرجل الشاب كان عمر الطفل فى ذلك الوقت إثنين وعشرون يوماً بُهِت الجميع وراحوا يُمجدون الرب الذى يُظهر الحقيقة لمن يُريده من كل قلبه .

١١٤- وصايا الأب يوحنا السليزياني

أوصانا الأب يوحنا السليزيانى [John the Cilician] رئيس دير رائيو [Raithou] بالآتى : يا إخوتى يجب علينا أن نهرب من شهوات الجسد كما نهرب من العالم .

ثم قال: يجب علينا أن نتخذ من آبائنا مثالاً فى الصلابة ورباطة الجأش.

ثم قال أيضاً : يا أبنائى لا يجب علينا أن ندنس هذا المكان الذى طهره أباؤنا السابقون من الشياطين .

ثم : هذا المكان للنساك والمتقشفين ليس لرجال الأعمال .

ثم : لقد مررت برجال أتقياء عاشوا فى هذا المكان سبعين عاماً لم يأكلوا شيئاً غير بعض العشب والتمر.

وأخيراً قال : لقد عشت فى هذا المكان قرابة سبعون عاماً عانيت الكثير من الأمور الدنسة والشياطين .

١١٥ـ الأخ الذى تُهِمَ بسرقة قطعة ذهب

أخبرنا الأب أندرو [Andrew] فى دير ميسنيا[1] [Messenia] الآتى : عندما كنت شاب تركت أنا وأب آخر دير راثيو وإنتقلنا إلى فلسطين لنقيم مع أحد الرهبان كان هذا الراهب يمتلك قطعة من الذهب ولكنه لم يتذكر إين وضعها ، وبدأ الشك يراوده بأننى قد سرقتها فقال هذا الراهب للآباء فى المكان: إن الأخ أندرو قد أخذ قطعة الذهب سمع أبى هذا ، فطلبنى وقال لى : أخبرنى يا أخى أندرو هل أخذت تلك القطعة الذهبية التى تخص هذا الراهب ؟

قلت له : الرفق بى يا أبى أنا لم آخذ شيئاً ، ومع ذلك قمت ببيع عباءة كانت عندى بقطعة من الذهب وأخذت تلك القطعة وذهبت لهذا الراهب وإنحنيت أمامه قائلاً : إغفر لى يا أبى ، فقد غوانى الشيطان وقادنى لطريق الهلاك فأخذت تلك القطعة الذهبية وكان هناك شخص من العالم ، فقال لى الراهب : إذهب يا بنى لم أفقد شئ ، فقمت بالإنحناء أمامه مرة ثانية وقلت له : من أجل محبة المسيح خذ تلك القطعة وصلى من أجلى ، فالشيطان خدعنى وأغوانى بسرقتها وسبب لى المتاعب.

قال الراهب : يا بنى لم أفقد شئ ، ولعدم قدرته على إقناعى قام هذا الشخص الذى من العالم بتفسير الأمر لى وقال : بالأمس عندما أتيت إلى هنا وجدت هذا الراهب يبكى منكسراً ، وعندما نظرت إليه أدركت أن هناك محنة ما، فقلت له : إذا تفضلت يا أبى أخبرنى ما الأمر ؟

فقال لى : لقد إتهمت أخاً لى بالباطل بأنه أخذ قطعة من الذهب تخصنى، ولكن أنظر الآن لقد وجدتها فى نفس المكان الذى وضعتها به ، فقد تعزى الراهب مما فعلته ، فعلى الرغم من عدم سرقتى لتلك القطعة الذهبية إلا أننى أحضرتها له قائلاً : خذ قطعتك الذهبية فأنا لن آخذها منك .

---

[1] وهو يقع في جنوب غرب بلوبونيس Peloponnese .

الأخ أندرو يخرج شياطين

كان هناك أحد الإخوة تسكنه روح شريرة فذهب للأب سيمون الناسك [Symon] إلى جبل العجائب ليصلّى من أجله حتى يتخلص من تلك الروح ، ولكن الأب سيمون سأله : أين تقيم ؟ فأجاب الرجل فى دير راثيو، فقال له الراهب : إننى مندهش مما فعلته بنفسك فقد كلفت نفسك عناء السفر الطويل لتأتى لمجرد رجل خاطئ مثلى بينما هناك فى ديرك أخ رائع إذهب وإنحنى أمام الأب أندرو ، وأطلب منه الصلاة لك وستشفى فى الحال .

رجع الرجل إلى راثيو وفعل كما أمره الراهب وإنحنى راكعاً أمام الأب أندرو وقال له : صلى من أجلى يا أبى حتى أحصل على نعمة الشفاء ، فصلى له الأب أندرو وعلى الفور تخلص الرجل من تلك الروح الشريرة وشكر الرب.

١١٦ـ حياة الشماس مينا راهب راثيو

أخبرنا الأب سيرجيوس فى دير راثيو عن أخ يدعى مينا والذى أصبح شماس الآتى :

ذهب هذا الأخ للعالم من أجل خدمة ما ، لا ندرى ماذا حدث بالضبط له إلا أنه ترك حياة الرهبنة ورجع للعالم.

مرت فترة طويلة رحل هذا الرجل من تيوبلس (أنطاكية) وفى الطريق رأى دير القديس العظيم الأب سيمون وكانت هذه هى المرة الأولى التى يرى فيها هذا الدير ، فإنطلق إلى هناك وعندما إقترب من المكان رآه الأب سيمون فعرف أنه الراهب الذى سبق ورُسِمَ شماساً ، فنادى على أحد الخدام قائلاً : أحضر لى المقص ، وعندما أتى الخادم قال له الأب سيمون : يباركك الرب أحلق شعر هذا الرجل ، وبأصبعه أشار إليه من بين جموع كثيرة كانت بالمكان فتعجب مينا مما حدث ولم يقدر على التفكير ، ولكنه بطاعة شديدة قدم نفسه للرجل مدركاً أن روح الله القدوس هو من كشفه لهذا الأب القديس ، فقال له الأب سيمون : صلى صلاة الشماس ، وبعدما إنتهى مينا من صلاته قال له القديس سيمون : إذهب إلى راثيو حيث جئت ، ولم يستطيع مينا التفوه بلفظ واحد من شدة خجله ولم يقدر على النظر فى وجه هذا الراهب.

ثم قال له القديس سيمون : صدقنى يا بنى لا يجب أن تشعر بهذا الخزى والعار لأن آباء هذا المكان سوف يستقبلونك بوجوه باسمة وبفرح شديد لعودتك، وأعلم أيضاً أن الله سيعطيك علامة بعدها ستعرف أنه برحمته ولطفه قد غفر لك خطاياك ، وعندما رجع مينا إلى دير راثيو ، إستقبله الآباء هناك كما أخبره الأب سيمون فرحين بعودته ووضعوه عند المذبح ، وفى يوم الأحد وبينما مينا يحمل جسد المسيح الحى ودم الرب مخلص البشرية ، جحظت إحدى عينيه ، وكانت هذه هى العلامة التى أخبره بها القديس العظيم سيمون والتى بها أدرك أن الله قد غفر له خطاياه .

١١٧ـ الشيطان الذي تنكر في شكل راهب

قابلنا الأب أوسبيوس [Eusebios] كاهن دير راثيو الذى حكى لنا عن شيطان ذهب إلى قلاية أحد الرهبان وكان متنكراً فى زى راهب قام بالقرع على الباب وعندما فتح له الراهب وقال له : صلى من أجلى فقال الشيطان الآن وإلى الأبد وفى كل الأزمنة أمين ، ولثلاث مرات يقول له الراهب : صلى من أجلى، وفى كل مرة يقول فيها الشيطان المتنكر : الآن وإلى الأبد وفى كل الأزمنة أمين ، فقال له الراهب : سأرحب بك إذا صليت وقلت المجد لله أبانا والإبن والروح القدس كما كان فى البدء والآن وإلى الأبد وفى كل الأزمان أمين ، وعندما قال ذلك الراهب إختفى الشيطان كما لو كانت إلتهمته النار .

١١٨ـ الصياد الذي يجد ثلاث جثث لرهبان

حكى لنا بعض الصيادون من باران[1] [Paran] الآتى :

فى أحد الأيام ذهبنا إلى بوشرى [Bouchri] فى الجانب الآخر من البحر الأحمر وقد حصلنا على صيد وفير وقررنا الرجوع ، فأبحرنا إلى راثيو ورسونا عند (بتيليوس Pteleleos) ولكننا فقدنا القدرة على الحركة بسبب إرتفاع منسوب البحر والذى إستمر هكذا لمدة تسعين يوماً ، فلم يكن لدينا إختيار غير الإتجاه نحو الصحراء العظيمة ، وهناك وجدنا قبر واحد وبه ثلاث رهبان ،

[1] باران أو فاران وهو مكان عند سيناء.

وقد جرت العادة أن الرهبان فى هذه الفترة يرتدون ألياف النخيل وعباءة وكانت عباءات الثلاث رهبان موضوعة بجوارهم ، فقمنا بإحضار رفات الثلاث رهبان إلى القارب وعلى الفور هدأ البحر الهائج ودفعتنا الرياح نحو الإتجاه المناسب وأبحرنا مع الرياح حتى وصلنا راثيو وقمنا بدفن هؤلاء الآباء معاً فى نفس مقبرة الآباء السابقين .

١١٩- حياة ووفاة الأب جرجس البظنتريني وجرجس تلميذه

روى لنا آباء نفس الدير عن الأب جرجس البظنترينى وتلميذه الأب جرجس من باران حيث أنهما كانا يعيشان على جزيرة عند البحر الأحمر فى ذلك الوقت لم يكن بالجزيرة أى مصدر يمدهم بالمياه ، فكانا يحصلان على إحتياجاتهما من المياه من بعض الجزر الرئيسية بالبلدة ، فكانا يستقلان قارب ويتجهان إلى تلك الجزر ليحصلان على حاجاتهما ثم يرجعان ، وفى إحدى الليالى بينما القارب مثبت بحبل فى حجر أتت موجة كبيرة قطعت هذا الحبل وهبط القارب فى قاع البحر ، وفى هذه اللحظة فقد الراهبان وسيلتهما الوحيدة لجلب الماء ومرت ثمانية أشهر، وجاء بعض الرهبان من دير راثيو للمكان فوجدوا الراهبين ميتين ، وأيضاً وجدوا نبل (عظم ظهر السلحفاة) بجوار الأب جرجس البظنترينى ومكتوب عليه : مات الأب جرجس الفارون بعد ثمانية وعشرين يوماً قضاهم دون أن يشرب قطرة ماء ، أما أنا فقد قضيت سبعة وثلاثين يوماً بدون ماء ، ووجدوا رفاتهما لم يمسسهما أى أذى فحملهما إلى الدير وقاموا بدفنهما هناك .

١٢٠- الراهبان اللذان حضرا القداس وهما عاريان

ذهبنا إلى جبل سيناء لمقابلة الأب ستيفان [Stephan] فأخبرنا عن الآتى : منذ سنوات وأنا على جبل سيناء ، وبينما كان قداس خميس العهد فى الكنيسة وكنت أنا هناك لحضور القداس ، وعند التناول أتى جميع الآباء الرهبان ليتناولوا الجسد المقدس نظرت فوجدت إثنين من النساك يدخلان الكنيسة وهما عريانان ولم يلاحظ أحدًا من الآباء أن هذين الإثنين عاريان وكنت أنا الوحيد الذى قد لاحظت ذلك ، ثم تناول الإثنان الجسد المقدس وشربا الدم الكريم

وإنطلقا فى طريقهما ، فخرجت خلفهما خارج الكنيسة وقمت بعمل ميطانية وقلت لهما : إذا سمحتما لى أن تأخذونى معكما شعر هذان الراهبان أننى أدركت أنهما عاريان ، فقالا لى : إبقى هنا هذا خيرٌ لك ، فكررت طلبى بأن يصطحبونى معهما فقالا لى : إنه من غير الممكن أن تأتى معنا ، فإبقى هنا فهذا المكان هو الأنسب لك ، فصلوا من أجلى ثم رأيتهما بعينى رأسى يسيران على قدميهما داخل مياه البحرالأحمر ثم إختفيا .

١٢١ـ الأب زوسيموس السليزيانى

قابلت الأب زوسيموس [Zosimos] عند جبل سيناء كان هذا الراهب قد إرتقى إلى أسقفية الكنيسة ثم رفض هذا المنصب وقرر أن يرجع إلى قلايته ويعيش حياة التقشف بأقصى درجاتها وحكى لنا هذا الرجل عن نفسه الآتى : عندما كنت شاباً وتركت جبل سيناء وذهبت إلى عامون للبقاء فى قلاية داخل دير هناك فى هذا المكان رأيت راهباً عجوزاً يلبس قميصاً صغيراً من أليافالنخيل عندما رآنى هذا العجوز فى الدير وقبل أن يوجه لى التحية قال : لماذا أتيت إلى هنا يا زوسيموس ؟ إذهب من هنا لا يمكن أن تبقى هنا .

فى بداية الأمر إعتقدت أنه يعرفنى ، فتوجهت إليه ثم ركعت أمامه وقلت : إذا سمحت لى يا أبى أخبرنى كيف عرفتنى ؟

قال : منذ يومين ظهر لى شخص وقال لى سيأتى لك راهب إسمه زوسيموس لا تسمح له بالبقاء هنا ، فإننى أريده أن يذهب إلى كنيسة بابليون المصرية (القاهرة) ، ثم تركنى هذا العجوز وصمت لفترة بعدها ذهب بعيداً وقضى حوالى ساعتين يصلى ، ثم أتى إلىَّ وقبلنى فى جبهتى وقالى لى : بالطبع يا بنى مرحباً بك ، فقد جاء بك الرب إلى هنا لتدفننى ، فسألته : كم سنة وأنت هنا يا أبى؟ فقال لى : لقد أتممت السنة الخامسة والأربعون وكان يبدو لى وجهه كالنار المشتعلة ، ثم قال لى : سلام الرب معك يا بنى صلى من أجلى، بعدها رقد هذا الرجل الصالح خادم الرب نائماً ، فقمت بحفر قبر له ودفنته ، وبعد يومين رحلت من المكان وأنا أمجد الرب يسوع المسيح .

١٢٢- رواية أخري للأب زوسيموس

روى لنا الأب زوسيموس أيضاً : منذ عشرون عام ذهبت إلى مدينة تدعى بورفرين وأخذت معى تلميذى يوحنا وكنت أرغب فى الإقامة هناك ، وعند وصولنا وجدت إثنان من الرهبان يقيمان بالقرب من المكان أحدهما إسمه ثيؤدور من ميليتن ، والثانى إسمه بولس من الخليل كان الراهب ثيؤدور قد أتى للمكان من دير الأب أوثيموس وكانا يرتديان قميصان مصنوعان من جلد البقر، ومكثت بالمكان حوالى عامين وكان هذان الراهبين يعيشان فى مكانين لايبعد كثيراً عن بعضهما البعض .

فى أحد الأيام بينما تلميذى يوحنا جالساً وإذ بحية تأتى وتلدغه، ونزف الدم من جميع أعضاءه ومات على الفور صدمت مما حدث وجريت إلى هذين الراهبين ، فنظرا إلىّ وأنا مذهول لما حدث وقبل أن أتفوه بكلمة قالا لى : ما الأمر يا أبانا زوسيموس ؟ هل مات الأخ يوحنا ؟

قلت لهما : نعم قد مات فأتيا معى ونظرا إليه وهو ملقى على الأرض ، ثم قالا لى : لا تحزن هكذا يا أبانا ، فالرب طيب ثم ناديا على يوحنا قائلين : إنهض أيها الأخ يوحنا ، فالعجوز بحاجة إليك وعلى الفور نهض يوحنا من على الأرض ، ثم قبض الراهبان على الحية وقسماها إلى قسمين أمام أعيننا ، ثم قالا لى : يا أبانا زوسيموس إذهب إلى سيناء فثقة الرب فيك بأن ترعى كنيسة بابليون (القاهرة) .

سمعت إليهما وتركت المكان دون تردد وبعد بضع أيام من وصولنا إلى سيناء أرسلنى أسقف سيناء ومعى إثنين آخرين من الرهبان إلى بابا الإسكندرية القديس أبوليناريوس وقام البابا بتعيننا نحن الثلاثة أساقفة : أحدنا فى هليوبوليس [Heliopolis] والآخر فى ليونتبوليس [Leontopolis] أما أنا ففى بابليون [Babylon] القاهرة .

١٢٣ـ العمل الرائع للأب سيرجيوس الناسك

أخبرنا بعض الآباء عند جبل سيناء عن العمل الرائع للأب سيرجيوس [Sergios] الراهب عندما كان الأب سيرجيوس يعيش عند جبل سيناء طلب من أحد الخدم أن يكون مسئولاً عن بعض البغال ، ولكن فى أحد الأيام بينما كان الأب سيرجيوس يسير فى طريقه رأى أسداً راقد على الطريق إضطربت البغال وهربت متفرقة من شدة الخوف أخرج الأب سيرجيوس القربان من حقيبته وتوجه إلى الأسد وقال له : خذ لقمة البركة هذه فهى من آباءنا ثم إبعد بعد ذلك عن الطريق حتى يمكننا أن نمر به : أخذ الأسد لقمة البركة وإنصرف بعيداً .

١٢٤ـ رد الأب أورنتس غير العادي على التوبيخ

إستمر آباء نفس الدير فى سرد القصص والنوادر المرتبطة بالآباء القديسين ، فقاموا بسرد رواية للأب أورنتس [Orentes] أنه فى أيام الآحاد ذهب للكنيسة للتناول وكان يرتدى زيه مقلوباً حتى كان شعر رأسه مكشوفاً ، وأثناء وقوفه عند جوقة المرتلين توجه إليه بعض العاملين فى الكنيسة وقالوا له: يا أبانا الصالح لماذا تصنع منا محلاً للضحك والسخرية عند الأغراب ؟

رد الأب قائلاً لهم : لقد جعلتم جبل سيناء مقلوباً فما بداخله أصبح خارجه ولم يوبخكم أحداً ، فلماذا تصنعون ذلك معى وتوبخوننى لإرتدائى ملابسى مقلوبة؟ إذهبوا وأعيدوا كل شئ إلى أصله وسوف أعدل ما غيرته.

١٢٥ـ حياة الأب جرجس وشخص آخر من غلاطية على جبل سيناء

حكت لنا تلك القصة الأم دميانة الراهبة فى دير أثينوجينس [Athenogenes] أسقف بترا [Betra] :

كان هناك رئيس لدير جبل سيناء كان حقاً رجل الله تقى ويعيش حياة التقشف ويدعى جرجس ، وفى يوم سبت النور جلس هذا الرجل الصالح فى قلايته وبداخله رغبة شديدة للإحتفال بعيد القيامة المجيدة فى أورشليم المدينة المقدسة وأن يتناول السر المقدس فى كنيسة القيامة المقدسة ليسوع المسيح إلهنا

فقضى هذا الرجل اليوم بأكمله يصلى ويتخيل إمكانية تحقيق هذا ، وفى المساء أتى إليه أحد تلاميذه يقول : يا أبانا إسمح لى بأن أبدأ الطقوس الكنسية ، رد عليه الأب جرجس وقال له : إذهب وفى وقت التناول إرجع إلى هنا حتى نذهب سوياً وتركه هذا التلميذ وإستمر الأب جرجس يصلى فى قلايته ، وعندما حان وقت التناول فى كنيسة القيامة فى أورشليم وجد الأب جرجس نفسه هناك عند المذبح وبجوار البطريرك بطرس بطريرك المدينة ومعه إثنين آخرين من الكهنة، وعندما رآه البطريرك قال للكاهن الذى بجواره : متى جاء كاهن جبل سيناء إلى هنا؟ فأجابه الكاهن الذى بجواره قائلاً : مع إحترامى الشديد يا سيدى فأنا لم أره غير الآن .

بعدها قال البطريريك للكاهن: أطلب منه عدم الإنصراف فأنا أريد أن أتناول الطعام معه، فذهب الكاهن للأب جرجس وأبلغه ، فأجابه الكاهن : لتكن مشيئة الرب، وعندما إنتهى الراهب جرجس من الصلاة والتمجيد لقبر يسوع المسيح وجد نفسه داخل قلايته عند جبل سيناء مرة ثانية ، وعندها أتى إليه تلميذه وقرع على الباب وهو يقول : يا أبانا إذا تفضلت إحضر للتناول ، ذهب الأب جرجس وتناول فى جبل سيناء ، ففوجئ البطريرك بطرس بأن الأب جرجس لم يطيعه وبعد العيد أرسل له رسالة فيما معناه : إلى الأب فوتيوس أسقف باران والأب كاهن سيناء ويخبرهم بأن يرسلوا الأب الكاهن جرجس له ، وعندما حضر الرسول وهو يحمل رسالة البطريرك إلى جبل سيناء وسلمها إلى أسقف جبل سيناء قام الأسقف بإرسال ثلاث كهنة إلى البطريرك وهم الأب العظيم ستيفان الكبدوكى والأب زوسيموس والذى تحدثنا عنه من قبل والأب دولسيتوس الرومانى ، وأراد الأب توضيح الأمر من خلال رسالة أرسلها للبطريرك ويقول فيها: أيها الأب الأعظم حاشى لله أن أتجاهل رسولك ثم كتب الآتى: كنت أتمنى أن أحصل على بركة من قدسك ، وأنا أعلم أنه بعد ستة أشهر من الآن سوف نتقابل سوياً فى حضور الرب يسوع المسيح ، وسوف أُظهِر لك مدى خضوعى لك وذهب الكهنة الثلاث وقاموا بتسليم الرسالة للبطريرك ، وقالوا له : أن الكاهن جرجس موجود بالدير من سنوات طويلة منذ أن أتى من فلسطين وقدموا له خطاب من أسقف باران يؤكد فيه أن الكاهن جرجس لم يغادر جبل سيناء منذ سبعون عاماً .

قبل البطريرك الصالح شهادة الشهود وقالوا الآباء للبطريرك : لقد رأينا هذا الرجل الصالح وقدمنا له تحية قبلة مقدسة ، وبعد ستة أشهر كلا من البطريرك والراهب جرجس تنيحا ، وروت الأم دميانة رواية أخرى : فى يوم الجمعة العظيمة وقبل أن أهجر العالم ذهبت إلى كنيسة القديس كوزمس والقديس دميان وقضيت الليل بأكمله هناك ، وفى المساء أتت إمرأة عجوز من غلاطية ، وأعطت عملتين معدنيتن كعشور لكل شخص بالكنيسة ، وكنت أعرفها فكانت كثيراً ما تقدم لى العطايا ، وفى أحد الأيام أتت معى أحد قريباتى وكانت فى الوقت نفسه قريبة للإمبراطور التقى موريس[1] لتصلى فى المدينة المقدسة وتبقى هناك بالمدينة لمدة عام ، وأثناء صلاتنا فى تلك الكنيسة قلت لقريبتى هذه : أنظرى يا سيدتى عندما تأتى إمرأة عجوز إلى هنا وتقوم بتوزيع نقود من عشورها لكل شخص أرجوك أن تبتلعى كبريائك وتقبلى عطيتها لك ، فقالت بإشمئزاز واضح : هل علىَّ أن أقبل العشور؟ وقلت لها : نعم ، فهذه المرأة تتمتع بنعمة كبيرة فى عينى الرب .

صامت هذه القريبة أسبوع بأكمله حتى تستطيع أن تقبل هذا الوضع ، وحكيت لها عن تلك المرأة حيث أن تلك المرأة إعتادت توزيع العطايا فى الكنيسة بين الناس ، وهى أيضاً أرملة منذ ثمانون عاماً وعندما تعطيك النقود يمكنك إعطائها لشخص آخر لكن لا ترفضى عطية تلك المرأة ، وبينما نتحدث نحن بهذه الطريقة أتت تلك الأرملة وبدأت فى تقديم العطايا بسكون تام وصفاء شديد أتت الأرملة وقدمت النقود للقريبة وقالت لها : خذى تلك النقود وإذهبى وكلى ، وعندما إنصرفت الأرملة أدركنا نحن أن الله قد كشف حقيقة ما كنا نتحدث بصدده وهو : خذى النقود وأرسليها لشخص آخر فقير، ولذلك أخذت قريبتى النقود وأرسلت أحد خدامها ليحضر لها طعام بالعملتين ، وتناولت القريبة هذا الطعام وأكدت أمام الرب بأنه له حلاوة العسل ، فإندهشنا نحن الإثنان وذهبنا بها حتى تشكر الرب الذى يمنح خدامه نعمة خاصة .

---

[1] Maurice (590-602)

١٢٦- حياة الأب أدلفيوس أسقف أرابيسوس

قمنا بزيارة الأب أثناسيوس [Athanasios] فى دير القديس الأب ساباس [Sabas] وروى لنا تلك القصة والتى سبق أن سمعها من الأب أثينوجينس أسقف بترا وإبن الأم دميانة كانت شئ من هذا القبيل :

كانت جدتى جوانا لها شقيق يدعى أدلفيوس أسقف أرابيسوس ، وكان لها أيضاً شقيقة تتعهد رئاسة أحد أديرة الراهبات ، وفى أحد الأيام ذهب الشقيق الأسقف لزياة شقيقته رئيسة الدير، وعندما دخل فناء الدير رأى إحدى الراهبات ساكنها شيطان وملقاة على الأرض نادى الأسقف على شقيقته وقال لها : هل يسعدك أن يكون هناك أخت لك مبتلاه بشيطان ؟ ألم تدركى أنك كرئيسة للدير مسئولة عن جميع الأخوات هنا ؟

قالت له : ماذا أفعل أنا مع هذا الشيطان الذى بالأخت ؟ فقال لها الأسقف مرة ثانية : ماذا تفعلين طوال هذه السنوات ؟ ثم قام وصلى للراهبة حتى برأت من الشيطان ثم روى لنا نفس الأب (أثناسيوس) رواية أخرى تتعلق بنفس الأسقف وأنه قد سمعها من أخته الأم جوانا :

عندما نفى الأب يوحنا كريستوم أسقف القسطنطينية إلى مدينة قوقوزن حيث أقام فى منزلنا ، ومنه شربنا من تعاليمه ونهلنا من معرفته وعرفنا كيف نحب المسيح حيث قال أخى الأب أدلفيوس أنه تألم بشدة حتى كاد لا يتحمل فراق الأب القديس يوحنا عندما تنيح فى المنفى لأن هذا الرجل القديس كان معلم واسع المعرفة بالمسيحية وكان يبهج ويسعد شعب الكنيسة بكلماته ما كان يجب أن يترك كنيسته، فقد صليت مراراً وتكراراً للرب حتى يجعلنى أرى مكانته الحالية وهل وضع فى مرتبة البطاركة ، وفى أحد الأيام ذهبت فى غشية فرأيت رجل بهى الطلعة حسن الهندام أخذنى من يدى اليمنى وقادنى إلى مكان مضئ ومبهج وأشار إلى الأشخاص الذين كانوا يبشرون بالتقوى والمعلمين فى الكنيسة ولكننى كنت أبحث عن شخص آخر كنت أتوق شوقاً لرؤيته ، وهو حبيبى يوحنا العظيم قدم لى هؤلاء الأشخاص وأخبرنى بأسمائهم ، ثم أخذنى من يدى مرة ثانية وخرجت من المكان وكنت أتبعه وأنا فى شدة الحزن لأننى لم أرى القديس

يوحنا من بينهم ، وعند خروجنا من المكان قال لى حارس المكان الواقف عند الباب : لا أحد يأتى إلى هنا ويخرج حزين ، فقلت له : حزنى هذا بسبب أننى لم أرى القديس العظيم يوحنا أسقف القسطنطينية من بين هؤلاء المعلمين .

تحدث لى هذا الرجل وقال : هل تقصد يوحنا أمير التوبة ؟ لكن لا يمكن للبشر أن يروه هو يقف هناك أمام عرش الرب يسوع المسيح .

١٢٧ـ حياة راهب ناسك

روى لنا نفس الأب أثناسيوس [Athanasios] بأنه قد سمع من الأب أثينوجينس [Athenogenes] أسقف مدينة بترا [Petra] أنه كان هناك راهب فى نفس المنطقة التى يعيش فيها ، وكان كل شخص يأتى إليه يقف أسفل مكان مرتفع معزول يعيش عليه هذا الراهب ويتحدث إليه وكان لا يوجد طريق للصعود إليه ، وفى يوم ما جاء أحد الإخوة وقال لهذا الراهب : أننى أريد أن أخبرك أمراً خاصاً ، فرد عليه الناسك بصوته الحنون وقال : تعالى إلى قاعدة هذا المرتفع وفى أحد الأركان وتحرك الراهب نحو الجهة الأخرى من المكان ، وبدأ الإثنان يتحدثان : الراهب من أعلى والأخ من أسفل ولم يسمع أحد ممن يقفون فى المكان شيئاً من حديثهما ، وكما روى لنا الأب الأسقف أثناسيوس [Athanasios] أنه كان هناك إثنان من الرهبان ممن يعيشون على أكل عشب الصحراء كانا يرافقان بعضهما البعض ولا يفترقان على الإطلاق إعتاد هذان الراهبان زيارة ذلك الراهب الناسك الذى سبق ذكره فى القصة السابقة لفترة من الزمن حيث كانا يذهبان سوياً لا يمكن لأحدهما أن يظهر دون الآخر فى صحبته ، ولكن فى أحد الأيام ذهب أحد هذين الراهبين إلى الراهب الناسك دون علم رفيقه وعند وصوله إلى مكان الراهب الناسك قام بالقرع على بابه ولكن الراهب الناسك لم يفتح فإستمر الراهب فى القرع على الباب حتى ضجر ويأس من الدخول ثم إنصرف بعيداً ، وفى أثناء عودته قابل رفيقه الآخر وكان الآخر ذاهباً للراهب الناسك ، ورجع كل من الراهبين للراهب الناسك حتى يتمكنا الإثنين من الدخول ، فعلم الراهب الناسك أن الراهب الثانى قد حضر ففتح الباب وطلب من الراهب الثانى الدخول بمفرده ، حزن الراهب الآخر من ذلك وأخذ

https://coptic-treasures.com

يتوسل للراهب الناسك حتى يسمح لرفيقه بالدخول ولكن الراهب الناسك رفض بشدة وبعدها تقدم الناسك الأول متوسلاً له بأن يدخله إلى قلايته ، فأجابه الراهب الناسك قائلاً : يا بنى لقد رُفضت من قِبَل الرب فلا يمكننى أن أقبلك أنا .

رحل الراهبان إلى حيث أتيا ولم يمر إلا يومان وتوفى الراهب الأول .

١٢٨- تحذير وتذكير الأب أثناسيوس ورؤيته الرائعة

تحدث لنا الأب الأسقف أثناسيوس Athanasios عن آبائه السابقين وقال : حافظ آباؤنا على ضبط النفس وإبتعدوا عن الأمور العالمية والدنيوية ، ولكننا نحن رضخنا تماماً لما يحتاجه الجسد وترغب فيه الشفاة .

ثم قال أيضاً : فى زمن آبائنا كان من المهم إجتناب أى شرود للذهن وأى لهو يأخذنا بعيداً عن الرب ، أما الآن فيحكمنا معون الطعام وأعمال أيدينا ، وبعدها أخبرنا هذا الأب الرواية التالية : فى أحد الأيام وردت إلى ذهنى فكرة ، ما الفرق إذا ما حاربنا إبليس أم لا ؟ وبعدها إذ أخذتنى غفوة من النوم رأيت شخصاً وقال لى : تعالى معى وقادنى إلى مكان مضئ تماماً وأوقفنى فى مقابل الباب وكان جمال هذا المكان يفوق أى وصف وكنا نسمع أصوات حشود بالداخل وهي تمجد الرب ، ثم قرعنا على الباب فنادى علينا شخص آخر بالداخل قائلاً : ماذا تريدان ؟ أجاب الشخص الذى برفقتى وقال : نريد الدخول فأجابه الآخر وقال : لا يمكن لأحد الدخول ممن كانوا يعيشون حياة لا يبالون فيها شيئاً ، فإذا كنت تريد الدخول إلى هذا المكان إذهب وحارب من أجله إذهب وحارب الشيطان ، فإنك ستخرج من هذا العالم العبثى فارغ اليدين .

١٢٩- حياة الأب زكايوس علي جبل صهيون المقدس

أخبرنا المحامى الذى أتى من بورفيريون (Porphyreon) والذى يدعى بروكوبيوس (Procopios) أخبرنا عن الأب زكايوس(Zachaios) الآتى : عندما تفشى وباء الطاعون فى القيصرية أشرفت على الموت قلقاً على أطفالى ولم يكن لدى ما أفعله حيالهم ، وأخذت أتسائل هل يجب علىَّ أن أرسل من يحضرهم إلى وطنهم ؟ لم ينج أحد من هذا الغضب هل يجب علىَّ أن أتركهم

هناك ؟ لكنهم سيموتون قبل أن تراهم عينى لا أعرف ما هو الأفضل بالنسبة لهم ثم قلت لنفسى : سوف أذهب للأب زكايوس وأياً كان قوله سأفعله وأطيعه ، لذلك إتجهت لجبل صهيون المقدس فقد كانت إقامته الدائمة هناك ، ولكن عند وصولى لم أجده ، فذهبت إلى الفناء الداخلى لكنيسة العذراء مريم والدة الإله فوجدته واقفاً عند أحد الأركان ، فدنوت منه وأخبرته بشأن أبنائى ، وعندما إستمع إلىَّ توجه ناحية الشرق وعلق بصره بالسماء نحو ساعتين دون أن يتفوه بكلمة واحدة بعدها إلتفت إلىَّ وقال : إطمئن ولا تقلق هكذا أبنائك لم يحصدهم الطاعون كغيرهم ، وبالفعل لم يستمر الطاعون فى القيصرية أكثر من يومين آخرين ثم إنتهى : وحدث ما قاله هذا الراهب القديس وأخبرنا به هذا المحامى.

١٣٠- رواية أخرى عن الأب زكايوس علي جبل صهيون

حكى لنا الأب القبرصى والملقب بكوكولاس(Cuculas) والذى كان يقيم فى دير يقع خارج سور القيصرية حكى لنا عندما قمنا بزيارة له الآتى : عندما إجتاح وتفشى الطاعون هذا الوباء العنيف والمميت ، أغلقت على نفسى قلايتى وكرست نفسى للصلاة حتى تحل علينا رأفة الرب وتغمر رحمته شعبه وأن يرفع عنا هذا الغضب ، أتى لى صوتاً قائلاً : لقد نال الأب زكايوس على هذه المحبة.

١٣١- الراهب القديس الذي أبقي سراسيني مجمداً ليومين

حكى شخص سراسينى وثنى(Saracen)[1] لسكان مدينة كليزما (Clisma السويس حالياً) الآتى : ذهبت إلى جبل الأب أنطونى Anthony للصيد فرأيت هناك راهباً عجوزاً يحمل كتاباً ويقرأه ، فذهبت إليه قاصداً سرقته وربما أقتله أيضاً ، وبينما أنا متجهاً إليه وإذ به يبسط يده اليمنى نحوى ويقول :

---

[1] يقال باليونانية Saracen هو الهيليني Hellene وعند نهاية القرن السادس أصبحت هيليني تعنى الشخص الذي يمارس مسيحية غير يهودية وأصبح السؤال هل أنت مسيحي أم هيليني ؟ والشخص الذي أبويه من أصل هيليني لا يعلم ما إذا كان قد تعمد أم لا.

قف فبقيت ساكناً مكانى لمدة يومين غير قادر على الحركة مطلقاً فقلت له : من أجل محبة الله الذى تعبده أتركنى أرحل .

فقال الراهب العجوز : إذهب فى سلام عندئذ أصبحت قادراً على التحرك وتركت المكان على الفور.

١٣٢- حياة الراهب ثيؤدور

عندما قابلنا الأب يوحنا (John) عند دير أليوتس (Aeliots) قال لنا تلك القصة : كان فى نفس منطقة نهر الأردن المقدس راهب ناسك يُدعى ثيؤدور(Theodore) أتى يوماً ما إلى قلايتى وقال : إذا تفضلت أيها الأخ يوحنا أن تبحث لى عن كتاب يضم كل أسفار العهد الجديد ، وبالفعل بحثت فى الأمر وعلمت أن الأب بطرس (Peter) أسقف شالسيدون (Chalcedon) لديه كتاب مثل هذا ، فذهبت إلى الأب الأسقف بطرس وتحدثت معه بشأن الكتاب فأرانى نسخة من الكتاب المقدس مخطوطة على رقائق من الجلد النادر فسألته عن تكلفة هذا الكتاب ، فأجاب : ثلاثة قطع ذهبية ، ولكنه سألنى : هل أنت من يريد شراء هذا الكتاب أم شخص آخر ؟

قلت له : صدقنى يا أبى هناك راهب ناسك ما يريد شراؤه ، فأجاب الأسقف : إذا كان يريد بالفعل هذا الكتاب فخذه وأعطه إياه وهذه أيضاً ثلاثة قطع ذهبية أخرى له ، فإذا لم يكن يريد شراؤه فأعطه الثلاثة قطع ذهبية ليشترى ما يحتاجه .

أخذت الكتاب المقدس وأحضرته للراهب فأخذ الراهب الكتاب وإنطلق نحو البرية ومكث هناك شهرين ، وبعد ذلك رجع وإتجه إلى قلايتى مرة أخرى وقال لى : أيها الأب الفاضل يوحنا هناك ما أرقنى فى الأيام الأخيرة وهو أننى أخذت الكتاب دون مقابل ، قلت له : لا تقلق فالأب بطرس رجل غنى وصالح فإنه شعر بسعادة بالغة عندما فعل ما فعل معك ، لكن الراهب الناسك أجاب قائلاً : ولكن ما حدث معى كان العكس ولن أشعر بسلام داخلى حتى أعطه ثمن هذا الكتاب .

فسألته : هل لديك ما تدفعه ؟

فقال الراهب الناسك : لا على الإطلاق ولكن أعطنى عباءة الكهنوت حيث أنه كان عارياً ، فأعطيته العباءة ورداء قديم وذهب الراهب وعمل فى مخزن بطريرك أورشليم ، وكان إسمه يوحنا John ، وكان يوجد عند جبل سيناء وكان يتسلم خمسة قطع نحاسية فى اليوم (Pholleis) ، ولذلك فإنه إنتقل ليقيم عند دير إليوتس وكان لا يتناول أكثر من عشر حبات من أحد النباتات البرية طوال اليوم مع أنه كان يعمل اليوم كله ، وعندما إستطاع إدخار الثلاثة قطع ذهبية من تلك العملات النحاسية التى كان يحصل عليها قال لى : خذ تلك الأموال وأعطها له فإذا رفض إستلامها قم برد الكتاب له مرة أخرى .

ذهبت للأب بطرس وفعلت ما قاله لى هذا الراهب الناسك ولكن الأب بطرس رفض أخذ الأموال والكتاب إلا أننى أوضحت للأسقف أنه برفضه ثمن الكتاب سيفسد عمل هذا الرجل ، فأخذ الأموال وعدت أنا للناسك وسلمته العهد الجديد فأخذه وإنطلق نحو البرية فرحاً .

١٣٢- العذاري الخمس اللاتي هربن من الدير

عندما قمت أنا والأخ سوفرونيوس (Sophronios) بزيارة إلى دير يونكس (Eunuches)[1] بالقرب من نهر الأردن قام الأب نيكولاس (Necholas) كاهن الدير بإخبارنا بالقصة التالية : كان فى بلدتى (لاشيا Lycia) دير للعذارى وكان يقيم فيه نحو أربعين راهبة دبرت خمسة عذارى منهن الهرب من الدير والبحث عن أزواج لهن ، وفى إحدى الليالى وبينما جميع الراهبات نيام تهضن العذراى الخمسة ، وأثناء محاولتهن لإرتداء ملابسهن فجأة ! سكنتهن الشياطين وعندئذ قررن عدم مغادرة الدير إلى الأبد ، كما كن دائمات الشكر للرب والإعتراف بخطاياهن أمامه قائلات : نشكرك أيها الرب مانح العطايا العظيمة الذى أدبتنا بهذا حتى تنقذ أرواحنا من الهلاك الأبدى.

---

[1] هذا الدير مكانه الأصلي في مكان يقع بالقرب من مدينة أريحا ولكن في عام ٥٢٨ م نقل إلى الأم جوليان Julienne أم Valentinian وبعدها أخذ إسم سكانها .

١٣٣- حب الأب سيسينيوس للمرأة الساراسينية

قال الأب يوحنا (John) كاهن دير يونكس (Eunuchs) أنه سمع الأب سيسنيوس (Sisinios) الناسك يقول: كنت فى أحد الأيام وأنا داخل كهفى أرنم للرب وكانت الساعة حوالى الثالثة ظهراً دخلت إلىَّ إمرأة ساراسينية (Saracen)، ثم جلست أمامى وأخذت فى خلع ملابسها قطعة تلو الأخرى فلم أضطرب، فقد كانت مخافة الرب وخشيته قد إكتملت تماماً فى قلبى وروحى، وبعد ما إنتهيت من ترنيمى قلت لها بالعبرانية : إجلسى حتى أتحدث إليك وسوف أفعل ما تريدينه ، فجلست المرأة ثم قلت لها ثانية : هل أنت مسيحية أم وثنية ؟ فقالت أنها كانت مسيحية، فسألتها: هل تعلمى أن من يعمل الخطية ينتهى به الأمر إلى الهلاك الأبدى ؟

أجابت المرأة : أعلم .

ثم سألتها مرة ثانية : إذن لماذا تفعلى ذلك ؟

أجابت : لأننى جائعة .

قلت لها : إمتنعى عن هذا العمل وتعالى هنا كل يوم ثم بدأت فى إعطائها بعض الطعام الذى يرسله لى الرب وإستمر الأمر هكذا حتى غادرت المكان.

١٣٤- قصة الأب يوحنا عن الأب كالينيكوس

إستمر الأب يوحنا(John) فى روايته عن الآباء القديسين فقال الآتى : عندما كنت شاباً كنت أتوق لزيارة الرهبان العظماء والمعروفين لأستمتع معهم بالنعمة وأتهذب بتعاليمهم ثم سمعت عن الأب كالينيكوس العظيم (Calinicos the Great) الراهب الناسك الذى يعيش فى دير الأب ساباس (Sabas) فذهبت إلى أحد الرهبان ممن يعرفونه جيداً وطلبت منه أن يصطحبنى إلى مكانه ثم ذهبنا سوياً وجلس الراهب الذى أحضرنى أسفل نافذة قلايته وأخذ يتحدث معه لفترة طويلة عندئذ قلت لنفسى حيث أن القديس كالينيكوس لم يرنى من قبل فإنه لن يرغب فى مقابلتى ، وبمجرد أن هم الراهب بالإنصراف من أسفل النافذة ،

وطلب منى أن أدخل لهذا الراهب العظيم لأحصل على بركته ثم قال لى : يا أبانا صلِ من أجل هذا الشاب خادم الرب ، فله أمنية طالما حلم بتحقيقها وهى المجئ إلى هنا .

أجاب الأب كالينكوس قائلاً : بالطبع يا بنى ، فأنا أعرفه ، فمنذ عشرين يوم كنت فى طريقى عند نهر الأردن المقدس وقابلنى بالطريق وقال لى : صلى من أجلى ، ثم سألته : ما إسمك ؟ قال : يوحنا فأنا أعرفه منذ ذلك الوقت ، وعندما سمعت ذلك تيقنت أن الرب قد كشف له هويتى عندما رغبت بشدة أن ألتقى به .

١٣٥- الأب سيرجيوس الناسك والراهب الوثني

قال أيضاً الأب يوحنا (John) القصة التالية : عندما كان الأب سيرجيوس(Sergios) الناسك فى دير روبا (Rouba) وبعد أن غادر جبل سيناء قام بإرسال راهب من ديره ليتعمد ، وعندما سألنا الخادم القادم من قِبَل الأب سيرجيوس وكان يدعى أيضاً سيرجيوس : لماذا لم يتعمد هذا الراهب ؟ فأجاب الخادم قائلاً : عندما أتى هذا الرجل راغباً البقاء معنا فى البرية ، قمت أنا بصفتى راهباً يعمل بالخدمة بإستقباله وحضه على ألايسلك هذه الحياة إلا بعد فترة من الإختبار ولكن بعدما أبدا إصراره وعزمه على السلوك فى هذه الحياة ذهبت به فى اليوم التالى إلى الأب سيرجيوس ، ولكن عندما رآه الأب الصالح وقبل أن أتفوه بكلمة واحدة قال لى الأب سيرجيوس على إنفراد : ماذا يريد هذا الأخ ؟

قلت له : إنه يطلب أن يكون واحداً منا هنا قال الأب : صدقنى يا أخى هذا الرجل لم يتعمد بعد بالروح القدس ، ومع ذلك خذه إلى دير يونكس (Eunuchs) وسوف يعمده الآباء هناك فى نهر الأردن ، فإندهشت بشدة لما قاله الأب سيرجيوس وقمت بسؤال هذا الرجل عن هويته والمكان الذى أتى منه فأخبرنى أنه من الغرب وأن والديه كانا وثنيين ، ولا يعلم ما إذا كان قد تعمد بالروح القدس أم لا لذلك قمنا بتعليمه وتهذيبه بالتعاليم المسيحية وتعميده بالروح القدس فى نهر الأردن المقدس ، ومكث فى الدير يمجد الرب .

١٣٦- نبوءة الأب سيرجيوس

حكى لنا الخادم سيرجيوس الأرمانى رواية أخرى تتعلق بالأب سيرجيوس حيث قال الآتى : كان فى أحد الأيام الأب غريغورى (Gregory) رئيس دير باران (Paran) مُصراً إصراراً لا رجوع فيه على الذهاب إلى الأب سيرجيوس ، فيقول خادم الراهب سيرجيوس : أخذته وذهبت به إلى الأب سيرجيوس وكان فى تلك الأيام يعيش فى دير عند البحر الميت ، وعندما رأه الأب سيرجيوس قادماً إليه قام بتحيته بسعادة بالغة وقام بإحضار ماء وغسل قدميه ، وجلس يحدثه اليوم بأكمله عن المنفعة والنعمة الروحية ، وفى اليوم التالى صرفه فى سلام ؛ وعندما رحل الأب غريغورى ذهبت إلى الأب سيرجيوس وقلت له : يا أبانا أريد أن أخبرك بأنك قد أحزنتنى قليلاً ، فمن بين الأساقفة والكهنة وجميع الناس الذين يترددون عليك لم تغسل قدمى أحد منهم غير الأب غريغورى فقط ، فرد علىَّ الأب سيرجيوس قائلاً : يا بنى أنا لم أكن أعلم من يكون ، ولكن كل ما أعرفه أن بطريرك قد دخل كهفى الصغير ، وعندما رأيته يرتدى ملابس الكهنوت ويحمل الكتاب المقدس .

مرت ست سنوات ورحل الأب غريغورى وهو بطريرك ثيؤبوليس (Theoupolis) كما تنبأ الأب سيرجيوس .

١٣٧- حياة الأب غريغوري بطريرك ثيؤبوليس

قالوا لنا نفس الآباء : أن الأب غريغورى (Gregory) بطريرك ثيؤبوليس (Theoupolis) كان يتميز بصفات روحية عدة وهى : عطاياه السخية والتسامح والخضوع والبكاء أمام الرب لمغفرة خطاياه ، كما كان رؤوفاً عطوفاً على الخطاة ، وأضافوا قائلين : لدينا الكثير والكثير من المناسبات التى إختبرنا فيها تلك الخصال والنعم الروحية التى كان يتمتع بها هذا الأب الصالح .

١٣٨- الجواب السديد للأب أوليمبيوس

زار أحد الإخوة الأب أوليمبيوس (Olympios) فى دير الأب جيراسيموس (Gerasimos) بالقرب من نهر الأردن المقدس وقال له : أخبرنى

يا أبى كيف تعيش فى هذا المكان الملتهب ووسط جيوش الحشرات التى لا تحصى؟ فأجابه الأب أوليمبيوس جواباً سديداً وقال : وضعت نفسى هنا كى أهرب من الدودة التى لا تنام " **حيث دودهم لايموت ونارهم لا تطفأ** " (مر ٩ : ٤٤) وبالمثل أتحمل تلك الحرارة الملتهبة فهى على أى حال نار مؤقتة، ولمخافتى من النار الأبدية والتى لا نهاية لها.

١٣٩- جواب سديد آخر للأب ألكسندر

قام أخ آخر بزيارة الأب ألكسندر (Alexander) رئيس دير الأب جيراسيموس (Gerasimos) وقال له : يا أبانا أرغب فى ترك هذا المكان الذى أقيم به فذهنى مشوش تماماً .

أجابه الأب ألكسندر قائلاً : يا بنى هذا بالتأكيد علامة من الرب ، فإذاً ضع أحد أمرين نصب عينيك الهلاك الأبدى أو ملكوت السموات فإنك لن تصاب بمثل هذا أبداً .

١٤٠- رئيس العصابة الذي أصبح راهباً

عندما أتينا إلى طيبة (Thebaid) عند مدينة أنطينو (Antinoe) ، قمنا بزيارة المفكر فويبامون (Phoebamon) لننتفع من كلماته ، فأخبرنا أنه فى منطقة تدعى هيرموبوليس (Hermopolis) كان يوجد قاطع طريق يدعى داود (David) يستغل حاجة الفقراء للمال لكى يقوموا له بأعمال الشر، وفى أحد الأيام وبينما كان هذا الرجل يقطع الطريق على أحد الجبال ومعه أكثر من ثلاثين رجلاً من عصابته لمس الرب عقله وقلبه فرأى فظاعة أعماله الشريرة فترك هذا الجمع من اللصوص وتوجه إلى أحد الأديرة وقرع بابه وعندما فتح حارس المكان وسأله ماذا يريد ؟ طلب منه قاطع الطريق أن يسمح له بالدخول فأتى الأب المسئول عن الدير إليه وعندما رأى أن هذا الشخص الذى يريد دخول الدير ! قاطع طريق طاعن فى السن ، قال له : لا يمكنك البقاء هنا فالإخوة الذين يقيمون هنا يعملون أعمالاً شاقة ويعيشون حياة التقشف فى أقصى درجاته ، فطريقتك فى الحياة تختلف تماماً عما نحن فيه ، إضافةً إلى

أنك لن تستطيع إتباع قواعد الدير، لكن قاطع الطريق أصر على أنه قادر على تحمل كل هذه الأمور جميعاً إذا قَبِل الأب دخوله الدير ولكن الأب كان يؤكد بإقتناع تام أن هذا الرجل لن يتحمل تلك الحياة القاسية داخل الدير، وأخيراً قال قاطع الطريق للأب : إذن فلتعلم جيداً أنا داود قاطع الطريق وقد جئت سعياً لمحو خطاياى وإذا لم تقبلنى كواحد منكم ، فأتعهد أمام من يسكن فى السموات أننى سوف أرجع لحياتى السابقة وأحضر كل من معى من لصوص ومجرمين وأقتل كل من فى هذا الدير وأدمر هذا المكان ، وعندما سمع الأب ما قاله داود أدخله إلى الدير وقص شعره وأدبه بالآداب المقدسة ، وبدأ داود حربه الروحية فى الدير حتى كاد يتفوق على جميع رهبان الدير وكان مثلاً عظيماً يُحتذى به فى ضبط النفس والطاعة والتواضع وكان فى هذا الوقت يضم الدير أكثر من سبعين راهباً تعلموا جميعاً منه الكثير من الأمور الروحية وكما كان أيضاً مثلاً يُحتذى به بالنسبة للجميع ، وفى أحد الأيام وبينما يجلس داود فى قلايته وإذ بملاك الرب يظهر له ويقول : داود داود ، لقد غفر لك الرب كل خطاياك ، ومن الآن فصاعداً ستقوم بأعمال عظيمة وعجائب .

أجاب داود على الملاك قائلاً : أنا لا أصدق لقد مر وقت قصير جداً حتى يغفر لى الرب كل خطاياى والتى هى أثقل وأكثر من رمال البحار.

فأجابه الملاك قائلاً : الله لم يغفر لزكريا عندما رفض تصديق كلامه فيما يتعلق بإبنه (لوقا١: ٢٠) ، (مر ٩ : ٤٤) **" وها أنت ستبقى صامتاً لا تستطيع الكلام إلى اليوم الذى سيحدث فيه هذا ، لأنك لم تصدق كلا مى ، وهو سيتم فى حينه "** ، وقد ربط لسانه ليعلمه ألا يتشكك فيما يقوله ، لذلك كيف له أن لا يغفر لك أنت ؟ فسوف تكون عاجزاً تماماً عن الكلام من الآن وإلى الأبد ، فركع له الأب داود وقال له : عندما كنت فى العالم وأعمل كل الشرور وأسفك الدماء ، كانت لى نعمة الكلام والآن هل ستحرمنى من الكلام وأنا أرغب فى خدمة الرب وأرنم له كل حين ؟

قال الملاك : ستكون قادراً فقط على الكلام فى أثناء الصلاة وصامتاً تماماً باقى الأوقات ، وكان كما قال الملاك فكان داود يرنم المزامير طوال

الوقت ولا يعرف أن يقول أى كلمة أخرى صغيرة أو كبيرة ، وحكى لنا شخص هذه القصة بأنه كثيراً ما رأى داود ومجد الرب للنعمة التى نالها .

١٤١ـ وصايا أحد الآباء الرهبان

قال أحد الآباء القديسين لباقى الإخوة من الرهبان فى قلايتهم : دعونا لا نجعل من أنفسنا عبيداً للملذات فى مصر والتى وضعتنا فى أيدى الطاغى الشرير مرة أخرى : إذا ما إهتم الناس بأمور الخير والصلاح كإهتمامهم بالأمور السيئة الأخرى ، وإذا أنفق الناس إهتماماً نحو التقوى بقدر إهتمامهم بالضحك والإحتفالات الصاخبة والمجد الزائل وممارستهم للظلم لما كنا جهلاء كم رفع الرب من قدرنا وكم نحن ضعفاء عاجزون أمام الشيطان ؟

ثم أن لا أحد أعظم من الله ولا يوجد شئ يساويه فى القدرة كما لا يوجد شئ يقل عنه قليلاً لذلك فليس هناك أقوى من الإنسان الذى يعينه الله ، ثم أضاف الرب موجود فى كل مكان ، فهو يدنو من الذين يكرسون حياتهم ويحاربون الحروب الروحية ، ويدنو من الذين يتعدى إيمانهم مجرد الإعلان ، ولكن بالنسبة للذين يتميزون بأعمالهم ومعهم يد الرب القوية ، فمن يقدر على تدبير المؤامرات وشن الحروب أو حتى يستطيع أن يسبب أى أذى لهم ؟

بعدها قال : قوة الإنسان لا تكمن فى تكوينه الجسدى فإن ذلك عُرضة للتغيير ولكن هذه القوة تكمن فى نواياه ومقاصده التى يساندها الرب ، فدعنا يا أبنائى نهتم بأرواحنا أكثر من أجسادنا ، ثم قال : دعنا نجمع سوياً علاج الروح وهم التقوى والتدين والتواضع والخضوع ، فالطبيب الأعظم لأرواحنا يسوع المسيح قريب منا ويرغب فى شفاءنا جميعاً ، فلا يجب علينا أن نقلل من شأنه

ثم علمنا الرب أن نكون يقظين لأرواحنا ولكن يا لخستنا فرغد العيش جعلنا أكثر إنشغالاً بالمتع الحسية .

ثم دعنا نقدم أنفسنا للرب وكما قال القديس العظيم بولس الرسول : (رو ٦ : ١٣) **"ولا تقدموا أعضائكم آلات إثم للخطية ، بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضائكم آلات بر لله"** فلا تنظروا خلفكم ولا تتذكروا ما

قد إنقضى من قبل ولكن " **أسعى نحو الهدف لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع** " (فى٣ :١٤) ثم قام أحد الإخوة بسؤال هذا الأب : لماذا دائماً ما أحاكم وأدين باقى الإخوة ؟

أجاب الأب قائلاً : لأنك لإتعرف نفسك ، فإن الشخص الذى يعرف نفسه جيداً لا ينظر إلى عيوب ونقائص باقى إخوته.

١٤٢- حياة البطريرك المبارك بطريرك القسطنطينية

فى أثناء زيارتنا لكنيسة سلاما (Salama) والتى تبعد ثمانية أميال من مدينة الإسكندرية قابلنا إثنين من الرهبان وكانا كاهنين فى كنيسة القسطنطينية ، وقد تحدثوا معنا عن البابا المبارك جينادیوس{Gennadios} بطريرك القسطنتطنية قائلين أنه كان رجل لطيف للغاية عفيف النفس والجسد ويتمتع بمقدرة هائلة على ضبط نفسه كما أخبرونا أنه كان كثيراً ما ينزعج من الشكوى المتكررة من شعب الكنيسة ضد أحد الكهنة والذى كان خاطئ منغمس فى ملذات الحياة ، وكان إسم هذا الرجل كاريسيوس [Charisios] ، أرسل البطريرك فى طلب هذا الكاهن الخاطئ لينصحه ويعظه ليغير من طريقته فى الحياة ، وعندما يئس البطريرك من الكاهن وعلم أنه لا جدوى من المزيد من النصح والإرشاد ، بدأ فى تأديبه وعقابه بصفته كاهن ، ولكن شعر البطريرك بأن كل هذا لم يُثمر خيراً فى هذا الكاهن ، وبالفعل فقد إنغمس هذا الكاهن فى كل ألوان وصنوف الخطية مثل القتل وممارسة السحر والشعوذة ، وبعد ذلك أرسل البطريرك الصالح أحد خدامه إلى كنيسة الشهيد العظيم أيليوثريوس Eleutherios والذى كان يخدم فيها هذا الكاهن الخاطئ ، وطلب منه أن يقول للقديس أيليوثريوس : أيها القديس الشهيد أيليوثريوس لقد إنغمس كاهن كنيستك تماماً فى الخطية ، وإما أن تعدل من طريقته فى الحياة أو تخلص كنيستك منه ، ففعل الخادم ما أمره به البطريرك ، فذهب إلى الكنيسة ووقف عند أيقونة القديس أيليوثريوس أمام المذبح متجهاً نحو الشرق ورفع يده إلى السماء وقال للقديس الشهيد : أيها الشهيد القديس شهيد ربنا يسوع المسيح البطريرك جينادیوس يريد أن يخبرك من خلالى أنا العبد الخاطى أن كاهن كنيستك منغمس

تماماً فى الخطية فإما أن تعدل من طريقته فى الحياة أو تخلص كنيستك منه ، وفى اليوم التالى وجد هذا الرجل صانع الشرور ميتاً ، تعجب كل شعب الكنيسة وإندهش مما حدث ومجدوا الرب يسوع الذى يحمى كنيسته وشعبه .

١٤٣- رؤية الأب أولوجيوس بطريرك الإسكندرية

عندما كنا فى كنيسة توجارا [Tougara] والتى تبعد تسعة أميال عن الإسكندرية حكى لنا الأب مينا [Menas] قصة تتعلق بالقديس البابا أولوجيوس [Eulogios] وهى :

فى إحدى الليالى كان البطريرك يصلى بمفرده فى كنيسة صغيرة فى مكان إقامته بالأسقفية وفجأة رأى جوليان [Julian] كبير الشمامسة يقف أمامه ، إنزعج البطريرك بشدة لدخول هذا الرجل دون إستئذان ، ولكنه صمت ولم ينطق بكلمة واحدة ، وعندما إنتهى من ترنيمه ركع أمام الرب وفعل مثله تماماً ذلك الرجل الذى ظهر له فى شكل كبير الشمامسة ، وعندما نهض البابا وصلى كان الآخر مازال راكعاً على الأرض إلتفت البابا نحو جوليان وقال له : كم من الوقت ستستغرقه حتى تنهض ؟ فقال له الآخر : ما لم تضع يدك المباركة علىَّ وتساعدنى على النهوض لن أستطيع الوقوف ، فوضع البابا يده عليه ورفعه ثم أوقفه بعدها أخذ البابا كتاب المزامير وإلتفت ولكنه لم يجد أحداً قط ، وعندما أنهى البطريرك صلاة باكر نادى على حارس غرفته وقال له : لماذا لم تخبرنى بأن كبير الشمامسة يريد الدخول بل وأدخلته دون إذنى فى هذا الوقت من الليل ؟

ولكن الحارس قال : أنه لم يرى أحداً ولم يجئ إليه أحداً فلم يقتنع البطريرك بما قاله الحارس ونادى على حارس بوابة المكان وقام بسؤاله : ألم يأتى إلى هنا جوليان كبير الشمامسة ؟ ولكن هذا الرجل أكد أنه لم يحضر إلى المكان ولم يخرج منه وهنا إطمئن البابا وعندما أتى النهار وجاء جوليان كبير الشمامسة ليصلى ، فقال له البابا : لماذا لم تحترم القواعد وتدخل إلىَّ دون إذن ليلة أمس يا جوليان؟ فأجابه جوليان قائلاً : أؤكد لك بأمانة صلواتى للرب إننى لم آت إلى هنا ليلة أمس ولم أغادر منزلى فى هذا الوقت بالذات .

هنا أدرك البابا أن من ظهر له ليلة أمس هو الشهيد العظيم جوليان وكان يحثه على إعادة بناء كنيسته التى تصدعت وهُجِرت منذ زمن ومهددة بالسقوط بعدها أصر البابا أولوجيوس محب الشهداء على أن يعيد بناء هيكل الشهيد بدءاً من أساسه ، وأن يميزه بأشكال مختلفة ومتنوعة من الفن المعمارى ، وشيد مزاراً يليق بهذا القديس العظيم .

١٤٤ـ معجزة تصحيح القديس بطرس لخطاب مرسل لبطريرك القسطنطينية

كما أيضاً أخبرنا الأب مينا [Menas] كاهن نفس الكنيسة أنه سمع من البابا أولوجيوس [Eulogios] بطريرك الإسكندرية الآتى :

عندما كنت فى القسطنطينية ، وكنت ضيفاً فى منزل السيد غريغورى [Gregory] كبير شمامسة روما والذى يتمتع بنعمة المسيح فى كل أعماله ، حكى لنا عن مكتوب محفوظ فى كنيسة روما يتعلق بالقديس المبارك ليو [Leo] بابا روما ، والذى يخبرنا عندما كتب القديس ليو للقديس فليفيان[1] [Flavian] بطريرك القسطنطينية كيف يدين بعض ممن يهرطقون ويجدفون على الله ؟ الإيوتشيس والنسطوريوس [Eutyches and Nestorios] وقام بوضع الخطاب على مزار القديس العظيم بطرس [Peter] أمير الرسل وإنقطع للصلاة والصوم وإفترش الأرض مخاطباً أعظم تلاميذ المسيح بالكلمات الآتية: إذا كنت أنا مجرد الشخص البسيط لم أحسن الكلام ، فأنت يا من وثقت به الكنيسة وعرش الرب مخلصنا يسوع المسيح قم بتصحيح هذا الخطأ وبعد أربعين يوماً ظهر له هذا الرسول العظيم بطرس بينما كان البطريرك يصلى وقال له : لقد قرأت ما كتبته وصححته فذهب البابا وأخذ الخطاب من على قبر القديس بطرس وفتحه وإذ به يجده بالفعل قد صحح ما به وبخط يده .

---

1) فلفيان بطريرك القسطنطينية في الفترة من(٤٤٩ ـ٤٦٦) وهو الذي قطع المهرطقين من الكنيسة والذي كان سبباً في إستشهاده.

١٤٥- رؤية القديس تيودور أسقف دارا بخصوص القديس ليو

قال لنا القديس العظيم تيودور[Teodore] أسقف دارا [Dara] فى ليبيا الآتى : عندما كنت أعمل عند البطريرك إلوجيوس [Eulogios] بينما كنت نائماً رأيت شخصاً طويل القامة بهى الطلعة مهيباً وقال لى : أطلب الإذن لى عند البطريرك إلوجيوس .

قلت له : من أنت يا سيدى ؟ وكيف آذن لك عنده ؟

قال لي : أنا ليو [Leo] بطريرك روما .

فدخلت على البطريرك ألوجيوس وقلت : يريد القديس المبارك ليو [Leo] كبير أساقفة الكنيسة الرومانية أن يرسل لك إحتراماته ، فنهض البابا ألوجيوس بمجرد أن سمع ذلك وإنطلق ليقابله وتعانق الإثنان وصليا معاً ثم جلسا سوياً يتحاوران .

قام القديس الصالح الممتلئ نعمة إلهية البابا ليو بسؤال البطريرك ألوجيوس : هل تعرف لماذا أتيت إليك ؟

أجاب البطريرك ألوجيوس قائلاً : لا أعرف .

قال القديس ليو العظيم : لقد جئت فقط لأشكرك لأنك حاربت ببسالة وأن الخطاب الذى كتبته أنا لأخينا البطريرك فليفيان بطريرك القسطنطينية وقد أعلنت أنت فيه ما أعنيه تماماً وأخرست ألسنة المهرطقين وأغلقت أفواههم ، ولكن إعلم يا أخى فأنا لست الوحيد الذى يشعر بالإمتنان لك ويقدر عملك حق تقديره بل والقديس العظيم بطرس الرسول أيضاً ، والأهم من هذا كله هى الحقيقة المطلقة والتى قمنا نحن بإعلانها وهى حقيقة يسوع المسيح .

فأنا لم أرى تلك الرؤية مرة واحدة فقط بل ثلاث مرات ، وأخبرت بها البطريرك ألوجيوس فبكى البابا عند سماع ذلك ورفع يده للسماء وشكر الرب قائلاً : أشكرك يا ربى يسوع المسيح إلهنا لقد صنعت منى أنا العبد غير المستحق أن أكون معلناً للحقيقة ، وبصلوات خادميك الصالحين بطرس الرسول

والقديس ليو قبلت أعمالى البسيطة كما فعلت من قبل مع العشور التى قدمتها الأرملة .

١٤٦- القصة العجيبة لعاموس بطريرك أورشليم بخصوص القديس ليو

عندما ذهب الأب عاموس [Amos] إلى أورشليم ورسم بطريرك ، ذهب كل رؤساء الأديرة والكهنة والخدام وكنت أنا ورئيس الدير الذى أقيم فيه من بينهم ذهبنا لتحيته وتهنئته ، وبدأ البطريرك يحدث الآباء الحضور وقال لهم : أيها الآباء صلوا من أجلى لقد عُهِد إلىَّ بمسئولية كبيرة وعبء يفوق قدرتى الهزيلة ، فأنا أكاد أموت خوفاً من هذا المنصب الكهنوتى الروحى ، فبطرس وبولس وموسى كانوا أشخاصاً ملائمين لمثل هذه المكانة وكانوا رعاة مناسبين لقطيع راشد أما أنا هذا الشخص البسيط لا أستحق كل هذا ، فأنا أخشى من مسئولية تعيين الكهنة وقد وجدت فى الخطاب الذى كتبه ليو بابا كنيسة روما والذى بقى فى مكانه على مقبرة القديس العظيم بطرس الرسول لمدة أربعين يوماً بينما القديس ليو يصلى ويصوم خلال تلك الفترة متضرعاً للقديس بطرس الرسول أن يشفع له عند الرب يسوع المسيح حتى يغفر له خطاياه ، وبعد إنتهاء الأربعين يوماً ظهر له بطرس الرسول وقال له : لقد صليت من أجلك كما أيضاً قد غُفِرت لك كل خطاياك فيما عدا من قمت برسمهم كهنة ، فهذا هو الشئ الوحيد الذى سوف تُسأل عنه إذا كنت قد أحسنت إختيار من قمت برسمهم كهنة أو أسأت الإختيار؟

١٤٧- حياة وقداسة أسقف روميلا

أخبرنا الأب تيودور عن مدينة صغيرة تبعد ثلاثون ميلاً من روما وتسمى مدينة روميلا {Romilla} كان فى تلك المدينة الصغيرة رجلاً رائعاً يتمتع بنعمة المسيح ، وفى أحد الأيام أتى بعض الناس من روميلا للقديس العظيم بطريرك روما البابا أجابيتوس [Agapetos] يشتكون إليه أسقف المدينة ويدعون إنه يأكل فى أوانى المذبح فإنزعج البابا وصدم مما يسمعه وقام بإرسال رجلين من الكهنة ليحضروا هذا الأسقف مقيداً إلى روما سائراً على قدميه ليزجوا به فى السجن ، وحدث ما أمر به البابا ووصل هذا الأسقف وسُجن ،

وبعد ثلاثة أيام من سجنه وفى فجر يوم الأحد وبينما كان البطريرك نائم رأى فى منامه رجلاً واقفاً بجواره ويقول : لن تحضر قداس يوم الأحد ، كما لن يحضره أيضاً أى من كهنة المدينة وأساقفتها ممن يقيمون فى تلك المدينة فيما عدا هذا الأسقف السجين ، فإننى أريده هو فقط الذى يحضر قداس هذا اليوم المقدس .

عندما إستيقظ البطريرك من نومه قال لنفسه بخصوص تلك الرؤية : كيف أتلقى أنا شكوى ضد هذا الأسقف ، وبينما هو الوحيد الذى سيحضر القداس ؟ ثم أتى له نفس الصوت مرة ثانية وهو نائم يقول : لقد أخبرتك بأن هذا الأسقف الذى بالسجن سوف يحضر القداس ، وتكررت نفس الرؤية وأتى نفس الصوت للمرة الثالثة ، وكأنما يضع البابا فى مأزق ويقول له نفس الشئ ، فإستيقظ البابا وطلب إحضار هذا الأسقف من السجن ، وقام بسؤاله : لماذا فعلت ذلك ؟

لكن الأسقف لم يريد أن يقول شيئاً غير أنا خاطئ ، وعندما عجز البطريرك عن إقناع الأسقف بأن يقول شيئاً آخر قال له : أنت اليوم ستصلى صلاة القداس فذهب الأسقف ووقف عند المذبح ووقف بجواره البابا بينما إلتف الشمامسة حول المذبح فى شكل دائرة وبدأ الأسقف فى الصلاة ولكنه قبل أن يتمم طقس القداس بدأ فى إعادة الطقوس بالكامل وكأنه يبدأ القداس من جديد ، فعل ذلك للمرة الثانية والثالثة والرابعة ، وبينما كان كل من حوله مندهشين مما يفعله الأسقف مال البابا عليه وقال له : ما الذى تفعله لقد كررت الصلاة أربع مرات ولم تصل للختام ؟

أجاب الأسقف قائلاً : إغفر لى أيها البابا العظيم لكننى لم ألحظ حضور الروح القدس بعد كما يحدث كل مرة وهذا سبب عدم ختامى لصلاة القداس حتى الآن ومع ذلك فإن الرب يريدك أن تبعد هذا الشماس الذى يحمل المروحة فى يده ، لأننى لم أجرؤ على أن أطلب منه الإنصراف .

عندئذ فعل ذلك البطريرك أجابيتوس وأمر الشماس بالإنصراف ، وعلى الفور رأى البابا حضور الروح القدس ولكن الستائر التى كانت أعلى المذبح

كانت تتحرك من تلقاء نفسها وألقت بظلالها على البطريرك والأسقف وجميع الشمامسة ممن حضروا صلاة القداس حتى المذبح نفسه وإستمرت هكذا لمدة ثلاث ساعات ، فأدرك البطريرك بعد ما حدث أثناء القداس أن هذا الأسقف رجلاً صالحاً وقد لفقت له هذه التهمة باطلاً ، وحزن البطريرك على أنه قد تسبب فى ظلم رجل الله وقرر ألا يتسرع فى إتخاذ قراراً مرة ثانية بل عليه أن يتأنى ويصبر كثيراً قبل أن يقرر .

١٤٨- قصة يوحنا الفارسي مع البابا القديس غريغوري

قابلنا الأب يوحنا [John] الفارسى فى دير مونيديا [Monidia] وروى لنا أمر يتعلق ببابا روما البطريرك العظيم غريغورى [Gregory] :

عندما ذهبت إلى روما لأصلى وأحصل على بركة من قبرى الرسولين المباركين بطرس و بولس ، وفى أحد الأيام بينما كنت واقفاً فى مكان بمركز المدينة رأيت البابا جرجس قادماً فدار بذهنى أن أنحنى أمامه عندما يمر بى ، ولكن مر بى كل الخدام الذين كانوا برفقته وقالوا لى واحداً يلو الآخر : يا أبى لا تنحن ولكننى لم أفهم ماذا يقصدون بل كنت أرى أنه من غير اللائق ألا أفعل ذلك ، وعندما دنى منى البابا وشعر بأننى على وشك الإنحناء أمامه يشهد الرب يا إخوتى بأنه هو من ركع على الأرض أمامى ورفض النهوض حتى أوقفته ثم قام بضمى إلى صدره وقال لى بتواضع شديد خذ هذه ثلاث قطع ذهبية وأمرنى أن أذهب لأشترى ملابس الرهبان ووعدنى بأنه سيعتنى بكل ما أحتاجه ، فشكرت الرب ومجدت إسمه فهو قد أعطى هذا الرجل العظيم التواضع والمحبة والحب بسخاء لكل البشر .

١٤٩- حياة وأقوال الأب مارسيلوس السكيتيوتى

فى نفس الدير الذى يسمى مونيديا ذهبنا لنقابل الأب مارسيلوس السكيتيوتى [Marcellos the Scetiote] ليهذب أرواحنا ونستقى من علمه وروحه ، فقال لنا الآتى :

عندما كنت فى بلدتى (كان من بلدة أباميا Apameia) كان هناك قائد أحد المركبات[1] يسمى فيليريموس [Phileremos] فى أحد السباقات فشل فى تحقيق مرتبة يحصل بها على جائزة فصاح الجمهور قائلين : فليريموس لم يحصل على أى جائزة فى المدينة ، وبعد أن ذهبت إلى دير سكيتى [Scete] كنت شغوف بفكرة الذهاب إلى المدينة فقلت لنفسى : مارسيلوس إن فيليريموس لم يحصل على إكليل النصر فى المدينة ، وبنعمة من المسيح حفظتنى تلك الفكرة من ترك دير سكيتى لمدة خمسة وثلاثون سنة ، حتى إنتهى الأمر بمجئ البربر وقاموا ببيعى كعبد ودمروا دير سكيتى ، وأخبرنا أيضاً نفس الأب مارسيلوس عن راهب آخر عجوز كان يعيش فى دير سكيتى إستيقظ فى إحدى الليالى ليستعد لصلاة القداس وبمجرد أن بدأ وإذ به يسمع أصوات تشبه طبول الحرب فإنزعج الرجل وأخذ يتسائل من أين يمكن أن يكون هذا الصوت ؟ فلايوجد جنود هنا أوحتى أى حروب بالمنطقة ، وبينما الراهب العجوز يتسائل فى حيرة وإذ بشيطان يقترب منه ويقول له : نعم هناك حرب ، فإذا كنت لاتريد أن تحارب ولا يشن ضدك حرب ، إذهب إلى فراشك حتى لا تكون هدف لأى هجوم ، ومرة أخرى قال نفس هذا الرجل العجوز : صدقونى يا آبائى لا يوجد شئ يرهق ويغضب ويثير ويدمر ويقلق ويستفز الشياطين والشيطان الأعلى إبليس نفسه ضدنا كالصلاة المستمرة فى المزامير فالكتاب المقدس كله مصدر فائدة ونعمة لنا ولا أقل إدانة ومعاداة للشياطين ولكن ما يدمرهم و يثيرهم أكثر هو كتاب المزامير ، ففى الأمور العامة والأرضية عندما يقوم حزب بتمجيد الإمبراطور بالغناء ، فإن الأحزاب الأخرى لا تنزعج ولا تهاجم هذا الحزب ، ولكن إذا قام هذا الحزب بسب الإمبراطور وشتمه ، فإن الأحزاب الأخرى ستنقلب على هذا الحزب وتحاربه وهذا تفسير عدم إنزعاج الشياطين من باقى الكتاب المقدس بقدر إنزعاجها وإستفزازها من المزامير ، فعندما نقوم نحن بالصلاة بالمزامير والتأمل فيها ، فإننا من ناحية نصلى من أجل أرواحنا ، ومن ناحية أخرى ننزل اللعنات على إبليس ، ومن ثم فعندما نقول :" **إرحمنى يا الله**

[1] عربة ذات عجلتين يجرها خيل وتستخدم في السباقات والحروب أيضاً .

حسب رحمتك . حسب كثرة رأفتك أمح معاصيّ" (مز ٥١ : ١) وبعدها " **لا تطرحنى من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه منى** " (مز ٥١ : ١١) .

ثم " **لا ترفضنى فى زمن الشيخوخة ، ولا تتركنى عند فناء قوتى** " (مز ٧١ : ٩) فنحن بهذا نصلى لأنفسنا وفى الوقت نفسه نصب اللعنات على إبليس ، فعلى سبيل المثال عندما نقول : " **يقوم الله . يتبدد أعداؤه ويهرب مبغضوه من أمام وجهه**" (مز ٦٨: ١) وبعدها نقول : " **شتت الشعوب الذين يُسَرّون بالقتال**" (مز ٦٨ :٣٠) ثم " **قد رأيت الشرير عاتياً وارفاً مثل شجرة شارقة ناضرة . عبر فإذا هو ليس بموجود وإلتمسته فلم يوجد** " (مز٣٧ : ٣٥- ٣٦) ثم " **سيفهم يدخل فى قلبهم وقسيهم تنكسر**" (مز ٣٧ : ١٥) ثم " **كرا جُباً حَفَرهُ فسقط فى الهوة التى صنع . يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه** " (مز ٧ : ١٥ – ١٦) .

وبعدها قال هذا الراهب : صدقونى يا أبنائى عندما أقول أن أكثر الأشياء إستحقاقاً بالتمجيد والتبجيل هو عرش السماء نفسه ، فإنه على الإنسان أن يقطع على نفسه عهداً بأن يعيش راهباً وأن يسعى دائماً وراء الإهتمام بأموره الروحية والتى هى أفضل بكثير من سعيه وراء إشباع شهواته الحسية وإحتياجاته لذلك يا أبنائى خزى وعار للراهب الذى يترك حياته مع الله وعاداته حتى ولو من أجل أن يكون إمبراطوراً ثم منذ البداية والإنسان شبيه الله ولكن عندما سقط فى الخطية تشبه بالوحوش البرية فتنشئ الطبيعة الحيوانية الرغبات الجسدية والحسية ولكن يا إخوتى قوة وتأثير حياة التقشف تخمد وتطفئ تلك الرغبات الحسية .

ثم أضاف : لا تتعجب من أنك على الرغم من كونك مخلوق أرضى فإنه يمكنك أن تصبح ملاكاً ، فإن المجد الذى للملائكة أمام عينيك ومن يرأس اللعبة قد وعد المتسابقين فيها .

ثم قال : لايوجد شئ يصرف الراهب إلى الله أكثر من الصلاح والإحتشام والنقاء والطهارة " **ويجعل إهتمامكم منصرفاً إلى الرب دون إرتباك** " (١كو ٧ : ٣٥) ويبقى الروح القدس شاهداً من خلال القديس العظيم بولس

الرسول ثم قال : يا إخوتى دعنا من حياة الزواج وتربية الأطفال ونتركها لمن تكون أعينهم ناظرة للأرض لمن يشتاق ويسعى نحو ما هو حاضر وموجود ولا يفتكر فيما هو سوف يأتى ولمن لا يكافح ويجاهد من أجل إمتلاك ما هو أبدى ، وغير قادر على تحرير نفسه من هذا العالم الزائل .

ثم قال : دعنا نسرع ونرحل من الحياة الجسدية حتى نفعل كما فعل شعب إسرائيل عندما أسرعوا فى الهرب من حياة العبودية فى مصر وأضاف : يا إخوتى أمام أعيننا مكافآت الرب الرائعة والمبهجة وفى المقابل فرح مرير فى العالم ، وأخيراً دعنا نهرب من الجشع والطمع والذى هو أصل كل الشرور **" لأن محبة المال أصل لكل الشرور والذى إذ إبتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة "** (١ تى ٦ : ١٠) .

١٥٠ـ جواب الراهب على الأخ العلماني

كان هناك أخان يعيشان فى العالم ويقيمان فى القسطنطينية [Constantinpole] كانا مكرسان للرب تماماً ودائما الصوم فأتى أحدهما إلى دير راثيو [Raithou] حيث رفض حياة العالم وسلك حياة الرهبنة ، وبعد فترة من الوقت جاء أخيه الذى يعيش فى حياة العالم إلى دير راثيو ليرى أخيه الراهب ويطمئن عليه ، وبينما كان الأخ العلمانى يقيم فى الدير رأى أخيه الراهب يتناول الطعام فى الساعة التاسعة ؛ فحزن الأخ العلمانى من ذلك ورفض هذا الفعل وقال لأخيه الراهب : يا أخى عندما كنت فى العالم لم تتناول أى طعام قبل غروب الشمس .

فقال الأخ الراهب : فى الحقيقة يا أخى عندما كنت فى العالم كنت أحصل على غذائى من أذنى أى مما أسمعه من مجد زائل وباطل وكان مديح من يعولنى كان يسهل علىَّ ويخفف حياة التقشف التى أعيشها كثيراً .

١٥١ـ حياة ثيؤدور رجل الله الذي يعيش في العالم

قال لنا الأب يوردانيس [Jordanes] الناسك الآتى : ذهب ثلاثة من النساك إلى الأب نيكولاس [Nicholas] عند وادى بستاسيموس

[Bestasimos] حيث كان يعيش داخل أحد الكهوف يقع بين دير القديس إلبيديوس [Elpidios] ودير آخر يعرف بدير الغرباء ، وأثناء حديثنا عن خلاص الروح وإذ بغريب يقترب منا ، فقال له الأب نيكولاس : هل تريد أن تضيف شيئاً آخر إلى قولنا وتخبرنا به ؟ فأجاب الرجل الغريب وقال : ما عساى أنا أن أقول أى شئ حسن ، فأنا رجل أعيش فى العالم ؟ ولا أستطيع حتى أن أفعل ما هو خير لنفسى .

فقال له الأب نيكولاس : فى الحقيقة يا أخى أنت من سيقول شئ لنا .

قال الرجل الذى من العالم : طيلة عشرون سنة عدا أيام السبت والأحد لم تراني الشمس أتناول الطعام قط ، فأنا أعمل أجير لدى رجل غنى ولكنه ظالم وطماعاً وأعمل عنده منذ خمسة عشر عاماً أكد وأكدح ليلاً ونهاراً ، ولكنه لم يدفع لى أجرى طيلة هذه المدة بل ويسئ معاملتى على نحو لا يمكن وصفه ، فقد قلت لنفسى : يا ثيؤدور [Teodore] إذا تحملت هذا الرجل فإنك ستدخل ملكوت السموات عوضاً عن الأجر المدين به لك لذلك حافظت على جسدى طاهراً ولم أرتبط بأى إمرأة حتى يومنا هذا ! بالحقيقة تهذبنا وتعلمنا كثيراً من قول هذا الرجل .

١٥٢ـ قصة الأب يوردانيس مع الساراسين

كما روى أيضاً الأب جوردانيس أن الأب نيكولاس قال له الآتى :

فى عهد الإمبراطور التقى موريس [Maurice] وعندما قام القائد السارسينى نعمان [Saracen Naaman] بالعديد من الغارات البربرية وبينما كنت أنا فى رحلة طويلة إلى كل من عانون [Annon] وأيدون [Aidon] رأيت ثلاثة من الساراسين وبقبضتهم شاب وسيم حسن الطلعة ويبلغ من العمر حوالى العشرين عاماً ، وعندما رآنى هذا الشاب بدأ فى الصياح والنداء حتى أخلصه من بين أيديهم لذا توجهت إليهم وبدأت فى التوسل إليهم راجياً منهم أن يتركوا هذا الشاب المسكين فتحدث إلىَّ أحدهم باللغة اليونانية قائلاً : لن ندعه يرحل .

قلت لهم : خذونى أنا ودعوه يرحل فهو لن يتحمل مشقة العبودية فأجاب نفس الرجل السارسينى قائلاً : لن ندعه يرحل فقلت لهم للمرة الثالثة : هل يمكنكم تركه مقابل فدية ؟ سلموه لى وسوف أذهب وأحضر لكم ما تطلبونه .

أجاب الرجل السارسينى مرة ثالثة قائلاً : لا نستطيع أن نسلمه لك لأننا سبق وقطعنا عهداً على أنفسنا أمام كاهن مدينتنا بأننا إذا أخذنا شاب صغير حسن الطلعة كأسير ويمكن تسليمه له ليُقدم كذبيحة ، والآن أغرب عن وجهنا وإلا جعلنا رأسك تتدحرج على الأرض ، وبعد أن فشلت فى إقناعهم بأى حل ينقذ الشاب طرحت نفسى أمام الرب راكعاً وقلت له : أيها الرب المخلص يسوع المسيح خلص عبدك ، وعلى الفور جذب الثلاثة رجال السارسينين سيوفهم وبدأوا يتناحروا حتى قطع كل منهم الآخر إلى أجزاء ، فأخذت الشاب إلى كهفى وبقى فيه ولم يرغب فى تركه البتة ، ورفض حياة العالم وبعد أن أمضى سبعة سنوات فى تلك الحياة الطاهرة البتولية رقد فى الرب بسلام ، وكان هذا الشاب من مدينة تاير [Tyre] .

١٥٣ـ جواب أحد الرهبان على إثنين من الفلاسفة

ذهب إثنان من الفلاسفة المفكرين[1] إلى أحد الرهبان يطلبان أن يعطيهم كلمة قد تعود بالمنفعة على أرواحهما ، ولكن هذا الراهب العجوز بقى صامتاً فقال له الفليسوفان للمرة الثانية : ألن تجيبنا يا أبانا ؟

قال الراهب : أنتما ماهران فى إستخدام الكلمات والعبارات ، وأنا أعرف ذلك تمام المعرفة ، ولكننى أشهد إنكما لستما محبين حقيقيين للمعرفة فمنذ متى وأنتما تحترفان فن الخطابة حيث أنكما لا تفهمان ما تتحدثان عنه ؟ إجعلا موضوع تفكيركما وبحثكما هو تأمل الموت وإملئا أنفسكما وأرواحكما بالصمت والهدوء .

---

[1] يلاحظ أن في تلك القصة لم يذكر أسماء المفكرين ويفترض أن أسماءهما كانا (جون وسوفوريوس).

١٥٤ـ الراهبان اللذان إسترشدا بكلب صغير

قابلت عند دير كلامون [Calamon] بالقرب من نهر الأردن المقدس الأب ألكسندر[Alexander] وكان برفقتى المفكر سوفرونيوس ، وكان هناك راهبان سوريان الأصل جاءا إليه من سوبيبا [soubiba] [1] وهما اللذان أخبرانا الآتى : أتى إلينا راهب عجوز من مكان بعيد ، ودخل دير بيسوى [Besoi] فى سوبيبا وقام بتقديم عطية للمكان ثم قام بسؤال الأب الكاهن الذى بالدير عن ما إذا تفضل وسمح بإرسال أحد الأشخاص إلى دير آخر بنفس الحى وهو دير السوريين ، ويخبرهم بأن يأتوا ويأخذون نصيبهم من العطية وأن يعلنوا تلك الدعوة فى دير شوريمب [Chorembe] حتى يتمكنوا أيضاً من المجئ ويحصلوا على هذه العطايا ، فقام الأب الكاهن بإرسال أحد الإخوة إلى دير السوريين فى سوبيبا وعندما وصل هذا الأخ ، قال للكاهن : إذهب إلى دير بيسوى وإرسل تلك الرسالة إلى دير شوريمب حتى يتمكن من بالدير من المجئ فأجاب الراهب العجوز وقال : لا يوجد لدىَّ من أرسله ، فإذا سمحت أنت وتفضلت إذهب بنفسك وأخبرهم .

قال الأخ : لكننى لا أعرف المكان .

فقال الراهب إلى كلبه الصغير : إذهب مع هذا الأخ إلى دير شوريمب حتى يتمكن من تسليم رسالته .

رافق الكلب الصغير الرجل حتى وصل إلى بوابة الدير ووقف أمامها من أخبرونا تلك القصة أرونا الكلب الصغير وأبقوه معهم .

١٥٥ـ حمار صغير يخدم بالدير

يوجد دير على قمة جبل بجوار البحر الميت يدعى دير ماردیس [Mardes] [2] كان هذا الجبل شاهق الإرتفاع وكان هناك بعض من

---

[1] وهي منطقة تقع في مكان أكثر إنخفاضاًمن نهر الأردن وكان من يعيش بها يدعى سوبيتس (معلومة غير موكدة)، كما كان هناك ثلاث أديرة.

[2] أنشئ هذا الدير عام ٤٢٥ م على جبل في صحراء جدة ، وكان على قمة نفس الجبل كان هناك دير يدعى كاستيلم Castellium وكان النساك يعيشون داخل كهوف .

النساك يعيشون على هذا الجبل ، وكانت لديهم مزرعة يزرع بها الخضروات وتقع على بعد ستة أميال من البحر بالقرب من حافته أى تقع عند ضفاف البحر وكان أحد هؤلاء النساك يقيم فى تلك المزرعة حتى يرعاها ، وفى أحد الأيام أراد هؤلاء النساء بعض الخضروات من تلك المزرعة فقاموا بوضع سرج التحميل على ظهر الحمار وقالوا له : إذهب إلى الراهب الذى يرعى المزرعة وأحضر لنا بعض الخضروات فذهب الحمار بمفرده حتى وصل إلى الراهب المقيم بالمزرعة فوقف عند الباب وقام بضرب الباب برأسه فأتى إليه الراهب راعى المزرعة وقام بتحميله بالخضروات وأرسله إلى حيث أتى ، ويمكنك أن ترى هذا الحمار وهو يرجع فى كل مرة ولكنه كان يخدم الرهبان فقط ولا يخدم أى أشخاص آخرين .

١٥٦- حياة الأب سوفرونيوس ووصايا الأب مينا

قال الأب ميناس [Menas] رئيس دير الأب سيفريان [Severian] هذا بخصوص الأب الناسك سوفرونيوس [Sophronoios] :

كان الأب سوفرونيوس يقتات من عشب الأرض فى المناطق المحيطة بالبحر الميت وعاش هكذا لمدة سبعين عاماً ، وكان يسيرعارياً يأكل النباتات البرية فقط كما قال أيضاً الأب ميناس أنه سمع الأب سوفرونيوس يقول : أنا أصلى دائماً للرب ألا يسمح للشياطين بالإقتراب من كهفى الذى أعيش فيه وقد رأيت بعض منهم قادماً ومتجهاً نحو كهفى ولكنهم عند مسافة ثلاثة (ستاد[1]) وقفوا وعجزوا عن الإقتراب أكثر ، وقد قال الأب ميناس للإخوة من الرهبان : يا أبنائى الصغار دعنا نتحاشى التعامل مع أهل العالم فإن التعامل معهم قد يؤذى ويشوش بخاصة الشباب من الرهبان ، فإن صغار السن فى حاجة إلى التوبة لكى يستحقون الحياة الأبدية فيما بعد والمجد السماوى العظيم الذى ينتظرهم ، فصغار السن فى حاجة إلى التوبة بسبب الرغبة الجسدية والجنسية الجامحة ، فإن تفكيرهم لا يتعدى أسفل بطونهم أما بالنسبة لكبار السن فربما قد يحتاجون

[1] وحدة قياس المسافات ولكنها غير معروفة بالضبط تعادل كم متر أو كم بوصة.

لتغيير نزوعهم للشر والذى قد إكتسب قوة كبيرة وثباتاً بفعل طـول المعايـشة لهذه النوازع .

١٥٧ـ كيف ظهر شيطان لراهب في شكل طفل أسود

أخبرنا الأب بولس [Paul] رئيس دير الأب ثيوجنياس [Theognias] عن أحد الرهبان قال له :

فى أحد الأيام وبينما كنت جالساً فى قلايتى منهمك فى بعض الأعمـال اليدوية كنت أجدل الـسلال بينمـا أرنـم المزاميـر ، وإذ بفتـى ساراسـينى [Saracen] ، ويحمل سلة الخبز وينظر إلىَّ من خلال النافذة ، وقف أمامى ثم بدأ فى الرقص فتركته وعدت إلى ترانيمى ، فقال لى : أيها الراهب هل أنا أجيد الرقص ؟ فلم أجبه عليه بكلمة واحدة .

فقال ثانية : هل تعجبك الطريقة التى أرقص بها أيها العجوز؟

وعندما لم أعيره أى إهتمام وألا أتفوه بكلمة واحدة له قال لـى : أيهـا العجوز الشرير هل تعتقد أنك تعمل شيئاً ذا أهمية ؟ فدعنى أخبـرك شـيئاً لقـد أخطات عدة مرات فى المزمور الخامس والستين والسادس والـستين والـسابع والستين ، فوقفت وركعت أمام الرب وعلى الفور إختفى هذا الصبى .

١٥٨ـ حياة الأب إسحاق وكيف ظهر له الشيطان

كانت هناك مدينة تسمى **ليكوس** [Lycos] فى بلدة طيبـة [Thebaid] يبعد عن تلك المدينة بسته أميال دير أنشئ على سطح جبـل ، وهنـاك أيـضاً الكثير من الرهبان بعضهم يعيش داخل كهوف والآخر داخل القلايات وعنـدما ذهبنا إلى هذا المكان قابلنا الأب إسحاق [Isaac] وهو من طيبة حيث قال لنا :

أعمل لمدة إثنين وخمسين عاماً فى صناعة الناموسيات اليدوية ، وفى أحد الأيام صنعت خطأً ما فى عملى تكدرت كثيراً وخصوصاً لأننى لم أستطع إيجاد مكان الخطأ لأعدل منه ، وقضيت اليوم بأكمله منزعجاً وفى ذلك الحين رأيت شـاباً

يأتى إلىَّ من نافذة قلايتى ويقول لى : لقد إرتكبت خطأً فى عملك فأعطينى ما صنعته لأعدل منه.

فقلت له : أغرب عن وجهى يا هذا فأنا لن أفعل هذا قط .

فقال لى : ولكنه مؤلم ومحزن بالنسبة لك أن تصنع شيئاً سيئاً .

قلت له : لا حاجة لك ولا تقلق بشأنى .

فقال : لأنك ستضيع وقتك .

قلت له : إنصرف لا أنت ولا من أرسلك إلى هنا مرغوباً فيكما .

ولكنه قال : فى الحقيقة أنت من أجبرتنى على المجئ إلى هنا والآن أنت ملكى.

قلت : كيف لك أن تقول ذلك ؟

قال : مرت ثلاثة أحاد وتناولت جسد المسيح ودمه بينما أنت مستعداً لقتال جار لك ، فقلت له : أنت كاذب .

ولكنه قال : ألن تكن الضغينة والكره لهذا الجار بسبب خلاف على بعض من محصول نبات العدس ، فأنا المسئول عن مشاعر الكره والضغينة ومن الآن فصاعداً أنت ملكى .

عندما سمعت هذا الكلام تركت قلايتى وإنطلقت لهذا الأخ الجار وركعت أمامه لربما يغفر لى ، وعندما رجعت وجدت هذا الزائر الشاب قد أحرق ناموسيتى والمشاية التى كنت أركع عليها أمام الرب ، فعلمت أنه إحترق غيظاً وغيرة من مشاعر الحب التى أظهرتها للجار الأخ .

١٥٩ـ جواب الأب ثيؤدور على سؤال بخصوص الخمر

يوجد دير يسمى دير كلامون [Calamon] يقع على بعد عشرين ميلاً من مدينة الإسكندرية بين الميل الثمانية عشر منطقة المافورا [Maphora] فى هذا الدير إلتقينا بالأب ثيؤدور [Theodore] كان المفكر سوفرونيوس معى ،

وقمت بسؤاله هل مسموح لنا أن نخرق قانون تحريم الخمر عندما نكون فى زيارة بعض الأشخاص أو أحد الأشخاص قام بزيارتنا ؟

أجاب الأب ثيؤدور قائلاً : آبائنا القدامى كانوا بالفعل رجالُ صالحين ومتحكمين فى أنفسهم ، فقد كانوا قادرين على أن يرتخوا فى تطبيق أحد القوانين ثم يُعيدون تطبيقها ثانية بنفس الصرامة أما الجيل الحالى ، فهم ليسوا بالقوة الكافية حتى يتساهلوا فى تُطبيق القوانين ثم يُعيدون تطبيقها ثانية فبمجرد أن نتساهل فى قوانين التقشف فلن نستطيع الحفاظ عليها ثانيةً .

١٦٠ـ حياة الأب بولس اليوناني

فى دير كالامون [Calamon] عند نهر الأردن المقدس قال الأب ألكسندر [Alexander] : فى أحد الأيام وعندما كنت عند الأب بولس اليونانى [Paul] فى كهفه طرق أحد الأشخاص الباب فقام الأب ليفتح الباب ثم خرج ووضع أمامه بعض الخبز وبعض الحبوب المنقوعة فى الماء وأخذ هذا الشخص فى إلتهام الطعام فى بادئ الأمر إعتقدت أنه شخص غريب ، فنهضت ونظرت من نافذة القلاية وإذ به أسد .

فقلت لراهب الحيوانات : أيها الراهب الصالح لماذا تطعم الحيوانات أخبرنى؟

قال الأب بولس : إن إعتنائى به حتى لا يؤذى إنساناً أو حيواناً كما أننى قد أخبرته بأن يأتى إلى هنا كل يوم لأعطيه ما يكفيه من الطعام ، فهو يأتى إلى هنا مرتين باليوم خلال السبعة شهور الماضية وأقوم أنا بإطعامه .

مرت عدة أيام ثم إلتقينا ثانية ، فقلت له : كيف تسير الأمور أيها الأب الصالح ؟ قال لى : الأمور تسير بسوء .

فسألته : كيف ذلك ؟ فأجاب قائلاً : بالأمس جاء إلىَّ الأسد لأطعمه فوجدت فمه ووجهه ملوث بالدماء ، فقلت له لماذا لم تطيعنى وقمت بأكل اللحم ؟

فليباركك الرب إذهب من هنا فلن أطعمك ثانية البتة لن أطعم حيوانات آكلات للحوم من طعام آباءنا ، ولكنه لم يذهب بعيداً فأخذت حبلاً وثنيته ثلاث مرات وضربته به ثلاث ضربات وبعدها رحل دون رجعة .

١٦١ـ رد الأب الناسك فيكتورعلى راهب فاتر القلب

قام أحد الإخوة بزيارة الأب فيكتور الناسك [Victor] عند دير إليوسا[1] [Eleousa] وقال له : ماذا أفعل يا أبانا ؟ لقد أصبت بمرض روحى وهو فتور القلب ؟

فقال له الأب فيكتور : هذا المرض الروحى يشبه أعراض من يعانون من إلتهاب العين (الرمد) فيكون لديهم إنطباع دائم بأنهم يرون المزيد من الضوء (عندما يشتد عليهم المرض) أكثر من الأشخاص الأصحاء ، وبالمثل ففتور القلب هو الإدانة السريعة لبعض الأمور الصغيرة وتناولها كما لو كانت أمور هامة ، وهذا عكس تماماً ما يحدث بالنسبة لأصحاء الروح حيث أنهم يستمتعون فى التجارب .

١٦٢ـ حياة اللص سيرياكوس

قال لنا أحد أحباء المسيح قصة تخص أحد اللصوص وإسمه سيرياكوس [Cyriacos] حيث كانت كل أعمال السرقة التى يقوم بها فى المناطق التى حول مدينة **إيموس** [**Emaus**] والمعروفة أيضاً بإسم **نيكوبوليس** [**Nicopolis**] كان همجى وقاسى القلب حتى أن أهل المدينة لقبوه بالذئب ، وكان برفقته لصوص آخرين ليس مسيحيون فقط بل أيضاً يهود وسامريين ، وفى أحد الأيام وكان ذلك فى الأسبوع المقدس أسبوع الآلام أتى الناس من أحد المناطق فى إقليم نيكوبوليس إلى المدينة المقدسة حتى يعمدون أطفالهم فى هذا الأسبوع المبارك ، وبعد أن تعمد الأطفال قرر الأهالى الرجوع إلى مدينتهم حتى يحتفلون بعيد الفصح وبينما هم فى طريق عودتهم إذ باللصوص يعترضون طريقهم (لم يكن معهم زعيم اللصوص) سلم الرجال أقدامهم للريح وهربوا

---

[1] هي الخالصة الآن وتوجد عند صحراء بيرشيبا ، كان هناك دير وكما أيضاً كان هناك أسقف .

تاركين الأطفال حديثى المعمودية ، فقام اللصوص اليهود والسامريين بالقبض على النساء وتجريدهن من ممتلكاتهن أما بالنسبة للرجال فإنطلقوا إلى زعيم هؤلاء اللصوص والذى سألهم : لماذا هربتم ؟

أخبر الرجال زعيم اللصوص بما حدث لهم ، فأخذهم هذا اللص الزعيم وذهبوا جميعاً ليبحثوا عن رفقائه من اللصوص فوجد الأطفال ملقين على الأرض ، وعندما تحرى هذا اللص الزعيم وعرف الجناة الذين قاموا بهذه المذبحة قام بقتلهم جميعاً كما أيضاً رافق هؤلاء الناس حتى وصلوا إلى مدينتهم بسلام .

مرت فترة وجيزة وقبض على هذا الرجل زعيم اللصوص حيث أمضى أكثر من عشر سنوات محبوساً فى زنزانته ولم يكن هناك أى حكم عليه وبعدها أفرج عنه، وكان دائماً مايردد :أن الفضل لهؤلاء الأطفال فى هروبى من الموت المرير ، فقد كنت دائماً ما أراهم فى أحلامى يقولون لى : لانخاف فنحن قدر شحنا للدفاع عنك لقد قابلت هذا الرجل وكان برفقتى الأب يوحنا {John} كاهن دير يونكس {Eunuchs} وقد حكى لنا قصتة بالكامل و إستمعنا إليه ومجدنا ربنا يسوع المسيح .

١٦٣- حياة اللص الذي أصبح راهباً ثم قطعت رأسه

قال **الأب سباتيوس** [Sabbatios] عندما كنت فى دير **فيرمينوس** [Firminos] أتى أحد اللصوص إلى الأب زوسيموس السيليزيانى [Zosimos the Cilician] وتوسل إلىَّ قائلاً : إذا تفضلت يا أبانا من أجل المسيح إرسمنى راهباً ، فقد كنت المسئول عن الكثير من جرائم القتل ، فإصنع منى راهباً حتى أقضى باقى أيام حياتى أكفرعن تلك الأعمال الشريرة .

أعطى الأب التعليمات بأن يتم رسامته راهباً ، وتعليمه وتهذيبه بالطقوس المقدسة ، وبعد أيام قليلة قال الأب الكاهن للراهب الجديد : صدقنى يا بنى لا يمكنك البقاء هنا فى الدير حيث أنه إذا وصل إلى سمع الحاكم بأنك هنا سيأتى ليقبض عليك ، أو ربما قد يسلك نفس الطريق بعض أعدائك ويقتلونك فأصغ إلىَّ جيداً سآخذك لكنيسة تبعد قليلاً عن هنا .

أخذ الأب زوسيموس الراهب الجديد لكنيسة الأب دوروثيؤس [Dorotheos] بالقرب من مدينة غزة ومدينة مايوما [Maioma] .

مكث الراهب تسع سنوات بهذا الدير وهناك تعلم ودرس دراسة شاملة متعمقة لكتاب المزامير كما كان يراعى كل التعليمات والعادات الرهبانية المقدسة بعدها عاد هذا الراهب إلى دير الأب فيرمينوس وقال للأب زوسيموس: يا أبى رفقاً بى أرجوك أعد لى ملابس العالم وخذ رداء الرهبان فإنزعج الأب مما سمعه وسأله : لماذا يا بنى تريد ذلك ؟

أجاب الراهب : أصغ إلىَّ يا أبانا كما تعلم لقد كنت خلال التسع سنوات الماضية التى قضيتهم بالدير دائم الصوم أكثر مما تتحمله قدرتى ، ومارست ضبط الذات بأقصى درجاته ، وعشت حياة من الطاعة والصمت التام من أجل مخافة الرب ، فأنا مؤمن بأن صلاح الرب قد غفر لى خطاياى الكثيرة وأعمالى الشريرة إلا أنه كل-يوم أرى طفل رضيع يقول لى : لماذا ذبحتنى ؟ فأنا أرى هذا الطفل فى الكنيسة وفى حجرة الطعام وفى كل مرة يقول نفس الكلام ويسأل نفس السؤال لم تفارقنى تلك الرؤية أبداً ، فهى لا تتركنى أشعر بالسلام ولو لساعة واحدة ، وهذا يا أبى هو سبب رغبتى فى الرحيل يبدو أنه يجب علىَّ أن أموت من أجل هذا الطفل لأننى قتلته دون سبب .

أخذ الراهب ملابس العالم وإرتداها وترك الدير وذهب إلى ديوسبوليس [Diospolis] وفى اليوم التالى قبض عليه وحكم عليه بقطع رأسه .

١٦٤ـ حياة وموت الأب بومن الناسك

قال لنا الأب أجاثونيسوس [Agathonicos] رئيس دير القديس العظيم الأب ساباس [Sabas] دير كاستليوم [Castellium][1] :

فى أحد الأيام ذهبت إلى روبا [Rouba] لزيارة الأب بومن الناسك ، وعندما وجدته قمت بسؤاله عن بعض الأمور والأفكار التى قد تشرد ذهنى وتشوشه ، وعندما أسدل الليل تركنى فى الكهف وخرج ، وكان ذلك فى أحد

[1] بني هذا الدير في عامي ٤٩٢ – ٤٩٣م، على أنقاض سجن هيروديان في هيركنيا.

أيام الشتاء القارص وكانت تلك الليلة بالفعل شديدة البرودة وكنت على وشك التجمد وعندما عاد الأب الناسك فى الصباح الباكر قال : كيف صارت الأمور يا بنى؟

قلت له: سامحنى يا أبى لقد قضيت ليلة سيئة بسبب برودة الجو الشديدة.

فأجابنى الناسك وقال : هل صحيح يابنى ؟ فأنا لم أشعر بالبرد ، فإندهشت مما قاله لأنه كان عارياً ، فأسرعت بسؤاله كيف لم تشعر بالبرد ؟ ولكنه قال لى : جاءنى أسداً ورقد بجوارى وقد مدنى ببعض الدفء ولكن أريد أن أخبرك شيئاً يا بنى : إننى سأموت فريسة لأحد الحيوانات لأننى عندما كنت فى موطنى (وقد كنا نحن الإثنان من غلاطية) كنت راعى أغنام ، وكنت أعادى أحد الغرباء المارين بى وإفترسته كلابى ، وكنت قادراً على إنقاذه ولكننى لم أفعل ذلك بل وتركته لقدره حتى لاقى حتفه فريسة لكلابى ، فأنا أعرف بأننى من المحتم أن أموت بنفس الطريقة.

مضت ثلاث سنوات ولقى الناسك حتفه فريسة للحيوانات البرية الشرسة كما تنبأ من قبل .

١٦٥ـ أقوال الأب ألكسندر الراهب

يقول الأب ألكسندر [Alexander] فى دير الأب فنسنت [Vincent] للإخوة : كان سعى آباءنا ومقصدهم هو الحياة فى البرية وتحمل الآلام أما نحن فنسعى للمدنية والرفاهية .

ثم قال : فى أيام آباءنا كانت فضيلتى التقشف والتواضع فى أوجها أما هذه الأيام ، فالجشع والكبرياء هو ما نتصف به .

ثم قال : لم يعتاد آباءنا البتة على غسيل وجوههم ونحن غارقون فى الحمامات العامة .

واحسرتاه يا أبنائى لقد إنتزعت منا الحياة الملائكية .

قال له تلميذ للأب فنسنت : نحن بالفعل مرضى يا أبى .

فقال له الأب ألكسندر : ماذا تقصد يا فنسنت ؟ بنحن مرضى صدقنى يا بنى نحن نهتم بأجسادنا كما يفعل أبطال الأولمبياد ، ولكن نحن فعلاً مرضى بالروح ، وبعدها قال : نحن قادرين على أن نأكل ونشرب كمية هائلة ونلبس أفضل الهندام ، ولكن عاجزين على التحكم فى مشاعرنا وكبريائنا .

فقال ألكسندر: آه ألكسندر .. ألكسندر كم من العار سيصيبك عندما ترى الآخرين وهم يحصلون على أكاليلهم .

١٦٦ـ حياه راهب أعمى

كان هناك راهباً أعمى فى منطقة تدعى سكيت Scet دير الأب سيسيوس [sisoes] وكانت قلايته تبعد حوالى نصف ميل عن عينِ للماء ، وكان هذا الراهب لا يسمح لأى شخص على الإطلاق بأن يحضر إليه الماء ، فقد صنع حبلاً وربط أحد طرفيه فى بئر الماء والآخر فى قلايته ، وكان هذا الحبل موضوع على الأرض ، وعندما كان يحتاج إلى الماء كان يمشى بمحاذاة هذا الحبل حتى يصل إلى بئر الماء ، ولكن عندما هبت رياح عاتية وغطت الرمال هذا الحبل أخذ هذا الراهب العجوز يتحسس مكان الحبل حتى إلتقطه وأزال الرمال من عليه ، ووضعه ثانية على الأرض ومشى بمحاذاته حتى وصل إلى بئر الماء ، ولكن عندما عرض عليه أحد الإخوة بأن يحضر إليه الماء رفض الراهب الأعمى وقال له : الحقيقة يا بنى إننى أحضر ما أحتاجه من ماء طيلة إثنين وعشرين عاماً ، فهل تريد أن تحرمنى من عملى هذا ؟

١٦٧ـ حياة إمرأة قديسة ماتت في البرية

يوجد دير على بعد عشرين ميلاً من أورشليم يدعى دير سامبسون[1] [Sampson] خرج إثنان من الآباء من هذا الدير للصلاة عند جبل سيناء وعندما رجعا قالا لنا تلك القصة :

عندما إنتهينا من صلاتنا وتمجيدنا للرب على الجبل المقدس أخذنا طريقنا للعودة ولكننا فقدنا وجهتنا وهيمنا فى البرية طولاً وعرضاً لعدة أيام حتى

---

[1] يمكن ان يدعى أيضا سباس وقد أشير له من قبل في ١، ٢

وكما نعتقد وصلنا للبحر الأعظم ، وبعد عدة أيام رأينا كهفاً بعيداً فإتجهنا إليه ورأينا عين للماء صغيرة للغاية وحولها بعض الخضروات مزروعة كما رأينا آثار أقدام بشرية ، فقال كل منا للآخر: هناك بالفعل أحد خدام الدير وعندما دخلنا الكهف لم نرى أى شخص لكننا سمعنا شخص ما يتنفس ، فذهبنا نفتش المكان جيداً فوجدنا شئ يشبه المذود وشخصاً ما يرقد عليه .

دنونا من خادم الرب وطلبنا منه أن يقول شيئاً لكنه لم يجيبنا فلمسنا جسده وكان مازال دافئاً رغم أنه كان قد أسلم الروح ورقد فى سلام .

عندها أدركنا أن هذا الشخص كان قد أسلم الروح عند دخولنا الكهف ، فأخذنا الجسد وبدأنا فى حفر مقبرة حتى ندفنه فيها خلع أحدنا عباءته وقام بلف جسد هذا الراهب فيها لإعداده للدفن وإكتشفنا أن هذا الجسد لإمرأة ، فمجدنا الرب وقمنا بالصلاة ودفناها.

١٦٨- حياة رجلان متميزين مفكر وقارئ

كان فى مدينة الإسكندرية رجلان تقيان ورائعان الأب ثيؤدور [Theodore] المفكر والأب زويلوس [Zoilos] القارئ وكنا نعرفهم معرفة تامة أحدهما من محاضراته والآخر من نفس بلدتنا التى نشأنا بها.

كان الأب ثيؤدور لا يقتنى أى شئ على الإطلاق غير عباءة المفكر وبعض الكتب ، وكان ينام على مقعد خشبى فى أى مكان عند الكنيسة ، وبعدها رفض حياة العالم ودخل دير سالاما[Salama] وهناك قضى آخر أيامه.

أما بالنسبة للأب زويلوس الكاتب فقد كان لا يختلف عن المفكر ثيؤدور فيما يقتنيه ، فقد كان يقتنى عباءة المفكر وحقيبة بالية وبها بعض الكتب ، وكانت الكتابة هى وظيفته التى يقتات منها ، وعندما تتيح قمنا بدفنه فى ليثازومينوس [Lithazomenos] فى دير الأب بلاديوس [Palladios] .

ذهب بعض الآباء إلى المعلم كوزماس [Cosmas] المحامى لسؤاله عن الأب ثيؤدور المفكر والأب زويلوس الكاتب ، وما إذا كان هذان الشخصان قد تفوقا على الآباء فى ممارسة حياة التقشف ؟ ولكنه أجاب : كان للإثنان نفس

https://coptic-treasures.com

نوع الملبس ونفس نوع الفراش ونفس نوع الطعام وكلا الإثنان رفضا كل ما يتعدى الإحتياجات الأساسية فكان الإثنان على نفس القدر من التواضع والتقشف وضبط النفس ، ولكن بالنسبة للأب ثيؤدور والذى كان يسير حافى القدمين والذى عانى كثيراً وتألم بعينيه وتعلم وحفظ عهدى الكتاب القديم والجديد عن ظهر قلب ، وكما كان لديه أيضاً مشورته الخاصة لصحبة من الأصدقاء وكان على إتصال بهم حيث كان لا يكل ولا يمل عندما يعمل ويُعلم الآخرين .

أما بالنسبة لزويلوس الكاتب فعزلته عن العالم ورفضه له يستحق التقدير، بل أيضاً حياة التوحد والعمل الهائل الذى يقوم به وحفظه للسانه فلم يكن لديه أصدقاء ولا يملك شيئاً لم يكن لديه أحد ليحدثه ولم يسمح لنفسه بالراحة ولا يقبل أن يخدمه أحد ، فقد كان يطهو الطعام لنفسه ويغسل ملابسه ، ولم يكن يسمح لنفسه بالإستمتاع بالقراءة منعزلاً ، فقد كان على إستعداد تام وفى أى وقت لسماع الآخرين وكان لا يضع أى إعتبارات لبرودة الطقس ولا لحرارة الجو ولا لمرض الجسد ، كان يتجنب الضحك والحزن والكسل والإسترخاء ، ونظراً لملابسه البالية وعدم إهتمامه بمظهره الشخصى ، فقد كان يعانى كثيراً من حشرات الجسد ، ومع ذلك فعند مقارنة هذا الرجل بالرجل الأول وهو الأب ثيؤدور، فإن الكاتب زويلوس لم يكن لديه مشورته الخاصة نظراً لحرية حركته وتنقلاته ، فقد كان حراً طليقاً يذهب أينما يريد بالليل أو بالنهار، ومع ذلك حتى تلك الحرية لم يستفيد منها كثيراً لما كان يتعهد به من أعمال شاقة ، ومن ثم فقد كان يظهر دائماً وهو يدرس ويقرأ كثيراً ليتجنب المزيد من العلاقات والإتصال بالعالم الخارجى ، وعلى أى حال فكلا الرجلين لهما أجرتهم بما يتلائم مع أعمالهم ، وتطورهم الروحى ونقائهم الذهنى ومخافة الرب ومساعدة الآخرين والصلاة والضمير اليقظ والترنيم الدائم والمستمر للمزامير والإيمان الدؤوب ، وأخيراً التمتع بالرب والذى هو خفى وغير ظاهر للناس .

١٦٩- حياة المحامي كوزمس المذكور أعلاه

فيما يتعلق بالمعلم المحامى كوزمس فقد سمعنا الكثير والكثير عنه من مختلف الناس وكلها أمور عظيمة ، ولكننا سوف نذكر ما إختبرناه بالفعل حتى تسنح الفرصة للجميع ممن يقرأ هذا أن يستفيد منها روحياً :

فقد كان رجل شديد الإتضاع رحيم القلب وعفيف النفس والجسد وصامت وهادئ الطبع وحميم في علاقاته ومضيف للغرباء وكريم مع الفقراء والمحتاجين ، لقد تعلمنا الكثير من هذا الرجل الرائع ليس فقط من مجرد رؤيته وتدريسنا بل أيضاً كانت لديه ذخيرة من الكتب والمراجع تفوق الكتب الموجودة في أي مكان آخر في الإسكندرية ، وكان يقدمهم طواعية لأي شخص يرغب في قرائتهم ، ومع ذلك لم يكن لديه مقتنيات خاصة فعند دخولنا منزله لم نرى شيئاً بالمنزل سوى الكتب في كل مكان وسرير متواضع ومنضدة صغيرة .

كان لكل إنسان الحق في الذهاب إليه وسؤاله عما ينفع به نفسه وروحه ويقرأه فكان كلما ذهبت إليه ودخلت منزله أراه إما أنه يقرأ ما هو معاد لليهود أو يكتب ما هو ضدهم حيث كانت لديه رغبة متأججة ليحول اليهود إلى الحقيقة، ولهذا السبب كان كثيراً ما يرسل لي بعض اليهود لمناقشتي في بعض الأمور التي تتعلق بالكتاب المقدس حيث أنه لا يرغب في ترك المنزل وأن يأتي بنفسه، وفي أحد الأيام ذهبت إلى منزل المعلم المحامي كوزمس حيث أنني كنت على توافق تام معه وقلت له : إذا تفضلت يا سيدي منذ متى وأنت تسلك هذه الحياة ؟ حياة التوحد .

ظل كوزمس صامتاً ولا يجيب فسألته ثانية : من أجل محبة المسيح أجب على سؤالي ؛ صمت لفترة ثم أخبرني قائلاً : لمدة ثلاثة وثلاثون عاماً ، فمجدنا الرب يسوع المسيح .

ثم ذهبت إليه في وقت آخر وقلت له : من بالغ إحسانك وعطفك ومن معرفتك التامة بحاجة روحي أريد ان أسألك ، ما الذي أنجزته خلال الفترة الطويلة من التوحد والعفة ؟

تنهد المعلم كوزمس تنهيدة خرجت من أعماق قلبه وقال لي : ما الشئ الذي ينجزه الإنسان الذي يعيش في العالم ، وبالتحديد الشخص الذي يمضي حياته ساكناً في منزله ؟ ومع ذلك أخذت في الإلحاح عليه وقلت : من أجل المسيح ومن أجل منفعتي الروحية ، وأخيراً وبالرغم من إصراري قال : إغفر لي أنا أعرف فقط أن هناك ثلاث أشياء نجحت في تحقيقهم وهم : ألا أضحك ، ألا أحلف و ألا أكذب.

١٧٠ـ العمل الرائع للراهب ثيؤدور الذي صنع ماء عذب في وسط البحر

كان عند نهر الأردن المقدس راهب مخصى إسمه ثيؤدور [Theodore] لسبب ما إضطر للذهاب إلى القسطنطينية وإستقل إحدى السفن، وتأخرت السفينة كثيراً عند البحر الأعظم مما نتج عنه نفاذ كل المياه العذبة التى لديهم فأصيب كل البحارة والركاب على حد سواء بالقلق والإحباط الشديدين ، فوقف الناسك ثيؤدور وبسط يده نحو السماء وصلى للرب الذى ينقذ الأرواح من الموت وقام برسم الصليب على البحر وبعدها قال للبحارة : مبارك الرب خذوا إحتياجاتكم من المياه ، فملأ البحارة كل ما لديهم من آنية بالماء العذب وتغير ماء البحر ومجد الجميع الرب .

١٧١ـ قصة القبطان التقي الذي صلي من أجل المطر

حكى لنا الأب غريغورى الراهب [Gregory] الآتى : عند عودتى من البيزنطية [Byzantium] على ظهر سفينة وكان هناك أيضاً كاتب وبصحبته زوجته وكانا يريدان أن يذهبا إلى المدينة المقدسة للصلاة كان قبطان السفينة رجلاً تقياً يحب الرب يصوم بلا إنقطاع وفى أثناء سفرنا كان رفقاء الكاتب يستهلكون الماء العذب بإسراف وعندما وصلنا لقلب البحر الأعظم كان ما لدينا من ماء عذب قد نفذ على آخره تكدرنا كثيراً مما حدث ، وكان منظر النساء ومعهن أطفالهن وقد داهمهم جميعاً العطش وملقين على أرض السفينة كما لو كانوا جثث هامدة ينزف القلب ، وبقينا على هذه الحالة المؤسفة لمدة ثلاثة أيام حتى فقدنا أى أمل فى النجاة لم نستطيع تحمل هذه المحنة ، فجذب الكاتب سيفه راغباً فى قتل القبطان وجميع البحارة مدعياً أنه خطأهم جميعاً بأن ضلوا الطريق كما أنهم لم يأخذوا كفايتهم من الماء العذب ، وهنا تدخلت مع هذا الكاتب وناقشته قائلاً : لا تفعل هذا وقد يكون من الأفضل أن تصلى للرب يسوع المسيح إلهنا الحقيقى ثم ذكرت آية من الكتاب المقدس " **الله يرعد بصوته عجباً يصنع عظائم لا ندركها** " (أيوب ٣٧: ٥) أعلم أنه ثالث يوماً يصوم فيه قبطان السفينة ويصلى من أجلنا ، وعندئذ هدأ الكاتب وفى اليوم الرابع وفى حوالى الساعة السادسة صرخ القبطان بصوت دوى وقال : المجد

للرب يسوع إلهنا فتعجبنا جميعاً من صراخه ثم طلب القبطان من البحارة الذين معه قائلاً : أبسطوا القرب وعندما فعل البحارة كما طلب منهم القبطان أتت سحابة أعلاهم وإنهال المطر بشدة وملأت القرب مما يفى بإحتياجاتهم وأكثر، كانت أعجوبة عظيمة ومخيفة فى آن واحد ، ودفعت الرياح السفينة نحو الطريق الذى نقصده وكانت السحابة ترافقنا ولم نلحظ سقوط المطر خارج السفينة .

١٧٢ـ قصة الإمبراطور زينو كثير العطايا

حكى لنا أحد الآباء قصة تخص الإمبراطور زينو [Zeno] (٤٧٤ – ٤٩١ م) الآتى : ظلم الإمبراطور إمرأة بأنه أذى إبنتها فدأبت المرأة على الذهاب إلى كنيسة السيدة العذراء والدة الإله تتوسل إليها وتتضرع بدموع غزيرة قائلة : دافعى عن قضيتى ضد الإمبراطور زينو.

كررت ذلك فى كل يوم تذهب فيه للكنيسة حتى ظهرت لها السيدة العذراء والدة الإله وقالت لها : صدقينى أيتها المرأة لقد حاولت كثيراً لأرضيك ولكن يده اليمنى منعتنى حيث أن هذا الرجل رجل سخى كثير العشور والعطايا.

١٧٣ـ القصة الرائعة للأب أندروس والعشر مسافرين

حكى لنا الأب بلاديوس [Palladios] بأنه سمع أحد الآباء وإسمه أندرو [Andrew] ونحن قابلناه أيضاً يقول:

عندما كنا بالإسكندرية ، وكان الأب أندرو يقيم فى مكان يبعد عنا مسافة ثمانية عشر ميلاً أخبرنا : عندما كنت شاباً صغيراً كنت شخصاً غير ملتزم ولا أميل إلى الإنضباط فى تصرفاتى ، وعندما شنت الحرب على المدينة عمت الفوضى المكان فهربت إلى فلسطين ومعى تسعة آخرون ، كان أحد التسعة أشخاص عامل كفء يعشق العمل ، وآخر يهودى وعندما توغلنا فى قلب الصحراء والبرية مرض الشخص اليهودى مرضاً لا شفاء منه حتى كاد يموت أصابتنا الحيرة والحزن فلم نكن نعرف ماذا نفعل بشأن هذا اليهودى المريض ، ولكننا لم نتركه فأخذنا فى تبادل الأدوار فكل واحد منا كان يحمله أطول مسافة يمكن أن يتحملها ثم يحمله آخر وهكذا الوصول أى مدينة أو أى

سوق من الأسواق حيث أنه لايجب أن يموت هكذا من الصحراء ، وعندما تعب الرجل تماماً وهلك ووصل لنقطة النهاية من الجوع وحرارة المرض والارهاق الشديد والظمأ القاتل من حرارة الجو (فى الحقيقة كاد يموت على الفور) حتى أنه لم يعد يتحمل حتى أن يحمله شخص آخر فوقفنا جميعاً نذرف الدمع ونحن نقرر تركه فى الصحراء ونذهب الى طريقنا ،فقد كنا أن ظمأ سيحصدنا واحداً يلو الآخر، فإنهلنا جميعاً فى البكاء ونحن نضعه على الرمال وعندما رأى الرجل اليهودى ذلك بدأينا شدنا ويستحلفنا ويقول : أستحلفكم بالله الذّى يدين الأحياء والأموات لاتتركونى أموت يهودياً بل مسيحياً لكننا قلنا له : فى الحقيقة يا أخى أنه من غير الممكن فعل شئ من هذا القبيل ، فنحن رجال كنبة غير ملتزمين دينياً والذى يجب أن يقوم بالمعمودية أسقف أو كهنة بالإضافة إلى أنه لا يوجد ماء هنا للمعمودية ، ولكنه كان يصرعلى نفس طلبته وهو يبكى ويقول: أيها المسيحيين لا تحرمونني من هذه النعمة ، وبينما نحن فى حيرة مما يجب عمله فيما بعد وإذ بالشخص الآخر العامل الكفء ، وقد ألهمه الله شئ قاله لنا وهو : أوقفوه وإخلعوا ملابسه .

قمنا جميعاً بإيقافه وتجريده من ملابسه وقام هذا العامل يملئ كفيه بالرمال ووضعها على رأس اليهودى المريض ثلاث مرات ويقول : يُعمد ثيؤدور بإسم الآب والإبن والروح القدس .

أجبنا جميعاً : أمين لكل إسم من أسماء الأقانيم الثلاثة ، ويشهد يسوع المسيح إبن الله الحى على قولى هذا لقد شفى الرجل حتى أنه لم يظهر عليه أى أثر للمرض بل ظهرت عليه علامات صحة وقوة حتى كان يجرى أمامنا باقى الرحلة وعندما رأينا بأعيننا التغيير السريع والمفاجئ للرجل مجدنا الرب جميعاً لحبه الذى لا يوصف ورحمته ، وعندما وصلنا إلى عسقلون [Ascalon] نقلنا هذا الأمر للمبارك الأب القديس ديونيسيوس [Dionysios] والذى كان أسقف فى ذلك الوقت ، وقصصنا عليه ما حدث خلال تلك الرحلة ذهل الأسقف الصالح عندما سمع تلك القصة والمعجزة غير العادية التى حدثت لليهودى ، فإستدعى كل الكهنة والخدام ، وقام بسؤالهم ما إذا كان يمكن إعتبار الرمل المراق وسيلة للمعمودية أم لا البعض أجاب إعتماداً على تلك المعجزة غير

المسبوقة بأنه يمكن السماح به فى المعمودية وكان هناك فريق له يعارض هذا الرأى.

لكن الأب غريغورى [Gregory] متخصص اللاهوت قد شرح كل أنواع المعمودية حيث تكلم عن المعمودية المُوسوية، ومعمودية الماء ، ومعمودية السحاب ومعمودية البحر حيث أن معمودية يوحنا كانت لا تزال معمودية يهودية حيث أنها لم تكن فقط معمودية بالماء ، بل أيضاً كانت معمودية توبة السيد المسيح أيضاً إعتمد ولكن بالروح القدس وهى المعمودية الأكمل ، وأنا أعرف نوع رابع من المعمودية وهى معمودية الشهادة {أى معمودية الدم} كما أن هناك أيضاً نوع خامس من المعمودية وهى معمودية الدموع .

سأل البعض : إذاً أى من المعمودية فعلها هذا الرجل فيجب أن نحكم على مدى صحتها ؟ وحيث قال الرب لنيقوديموس : " **الحق الحق أقول لك : إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت السموات**" (يو ٣: ٥) ، ولكن كان هناك فريق ثان إعترض على هذا القول وقال : كيف ذلك ؟ فإنه لم يكتب شئ عن الرسل يفيد أنهم جميعاً قد إعتمدوا أيعنى ذلك أنهم جميعاً لن يدخلوا ملكوت السموات ؟

ثم رد فريق آخر على هذا الكلام قائلاً : لكن فى حقيقة الأمر فقد تعمد الجميع ، ويبدو ذلك عندما قال بولس فى (١كو ١: ١٤) " **أشكر الرب أنى لم أعمد أحداً منكم إلا كريسبوس وغايُس**" ، وقد قيل أن يسوع لم يعمد أحد غير بطرس ثم قام بطرس بتعميد إندراوس ويعقوب ويوحنا ، وقاموا هم بتعميد باقى الجمع بعد كل هذا القول والجدل المثمر وأكثر من ذلك شعر الأب المبارك الأسقف ديونسيوس أنه يجب أن يرسل هذا الأخ لنهر الأردن المقدس ليتعمد هناك ثم قام برسم الأخ العامل المجتهد شماساً .

١٧٤- الموت الرهيب لأحد الرهبان المصريين

قال لنا الأب يوحنا السيليزيانى [John the Cilician] أنه عندما كان يعيش فى أحد الأديرة والتى تبعد تسعة أميال عن الإسكندرية جاء راهب

مصرى وقال : أخُ من مكان بعيد أتى إلى دير القلايات ويريد الإقامة هنا فركع أمام الأب الكاهن طالباً أن يقضى الليل فى قلاية إيفاجريوس [Evagrios] ولكن الكاهن قال له : أنه لا يستطيع الإقامة هنا . فأجابه الراهب المصرى : إذا لم أقضى الليلة فى هذه القلاية سوف أرحل .

أخبره الكاهن قائلاً : يا بنى فى حقيقة الأمر هناك فى هذه القلاية شيطان قاس وعنيف ، فقد سبق وأضل إيفاجريوس وحاد به بعيداً عن الإيمان الصحيح وملأ ذهنه بالتعاليم البغيضة .

أصر الراهب المصرى وألح قائلاً : إذا أقمت هنا فى هذا المكان فستكون هذه هى قلايتى التى أقيم بها .

فقال له الكاهن : كما ترى وتُقرر إذهب وأقم بها .

ذهب الراهب المصرى وعاش فى هذه القلاية لمدة أسبوع ، وفى يوم الأحد أتى للكنيسة للتناول ، فإنشرح صدر الكاهن عندما رآه ، ولكن فى يوم الأحد الذى يليه لم يحضر الراهب المصرى فشعر الكاهن بالقلق وإستدعى إثنين من الإخوة وطلب منهما أن يذهبا إلى قلايته ليتحروا الأمر .

فذهب الأخوين إلى قلاية الراهب المصرى فوجدا الراهب وقد ربط حول عنقه حبلاً وشنق نفسه .

١٧٥ـ حياة راهب بسيط في دير سكولاري

أخبرنا الأب غريغورى [Gregory] كاهن دير سكولارى [Scholarii] أنه كان هناك راهب فى بلدة مونيديا [Monidia] قد فاق الجميع فى العمل الشاق ، ولكنه كان يختلف فى بعض الأمور الدينية والممارسات العقيدية ، فقد كان يتناول جسد المسيح ودمه بشكل مختلف وفى أى كنيسة يذهب إليها ، وفى أحد الأيام ظهر له ملاك الرب وقال له : أيها الراهب عندما تموت كيف تريد أن يدفنك الناس ؟ كما يدفن المصريون رهبانهم أم تريد أن تتبع عادات أورشليم ؟

أجاب الراهب أنه لا يعرف ثم قال له الملاك ثانيةً : فكر فى الأمر وسوف آتى هنا ثانية بعد ثلاثة أسابيع لتخبرنى فذهب الراهب لأحد رفقاءه

وأخبره بما حدث وما سمع من ملاك الرب ، فإندهش رفيقه مما يقوله الراهب وحملق فى الرجل لفترة طويلة وبعدها وبوحى من الروح القدس قال : أين تتناول جسد المسيح ودمه ؟

أجاب الراهب قائلاً : إنى أتناول فى أى مكان أذهب إليه .

فأجابه رفيقه قائلاً : إياك وأن تتناول جسد المسيح ودمه فى مكان غير الكنيسة الجامعة والتى أسموها كنيسة المجامع الأربعة :

١ـ مجمع الثلاثمائة والثمانية عشر أب فى نيقيا [Nicaea] .

٢ـ مجمع المائة وخمسون أب فى القسطنطينية .

٣ـ مجمع المائتان الأول فى أفسس .

٤ـ مجمع الستمائة أب فى خلقدونية [Chalcedon] .

وعندما يأتى لك ملاك الرب قل له : أريد ان أدفن طبقاً لتقاليد الدفن فى أورشليم ، ومرت الثلاثة أسابيع وأتى ملاك الرب ثانية وسأل الراهب أيهم تريد أيها الراهب ؟ هل فكرت فى هذا الأمر؟ أجاب الراهب بأنه يريد أن يُدفن طبقاً لتقاليد الدفن المتبعة فى أورشليم .

بعدها قال له الملاك : حسناً جداً وعلى الفور أسلم الراهب روحه .

حدث هذا للراهب حتى لا يفقد الراهب عمله الشاق وخدمته للرب ويدينه المسيح كمهرطق .

١٧٦ـ حياة إمرأة تقية من المدينة المقدسة

عندما قمنا بزيارة للناسك يوحنا [John] والمعروف بيوحنا الأحمر قال لنا : أنه سمع الأب يوحنا الموابيتى [John the Moabite] يقول توجد فى المدينة المقدسة راهبة مكرسة تماماً للرب وحققت الكثير فى خدمتها للرب إستاء إبليس من تلك العذراء فزرع رغبة شيطانية نجسة نحوها فى قلب شاب صغير، ولكن هذه المرأة التقية فهمت أن إبليس قد نصب لها شَركاً حتى يرى هذا الشاب وهو يفسد ويتحطم بسبب هذه الرغبة ، فقامت الراهبة بوضع بعض

الحبوب المبللة بالماء فى سلة وإنطلقت نحو البرية ، فأدى إنسحابها من العالم إلى نوع من السلام والسكون فى قلب الشاب بينما هى حصلت على الأمان الذى تتسم بها حياة الوحدة ، وبعد فترة زمنية طويلة وبترتيب من الرب وعندما أراد الرب ألا تستمر حياة تلك المرأة التقية خادمة الرب غير معروفة للمؤمنين ، فسمح الرب أن يراها أحد الرهبان فى البرية عند نهرالأردن العظيم ، فذهب وخاطبها : أيتها الأم ماذا تفعلين فى هذه البرية ؟ لم ترغب الراهبة أن تظهر نفسها لهذا الراهب فقالت له : إغفر لى يا أبى فقد ضللت الطريق ، فإذا تفضلت ومن أجل محبة المسيح أرنى الطريق.

لكن روح الله القدوس أخبر هذا الراهب فى الطريق شئ عن تلك المرأة فقال لها : صدقينى يا أمى أنت لم تضلى الطريق ولا تبحثين عن طريق أنت تعلمين أن الكذب من أعمال إبليس ، لهذا أخبرينى حقيقة مجيئك هنا ، وهنا قررت العذراء أن تتكلم معه وقالت : سامحنى يا أبى كان هناك شاب تعرض للخطر وكان على وشك الخطية بسببى ، ولهذا السبب أتيت إلى هنا وأقمت فى تلك البرية فأنا أفضل الموت هنا على أن أكون عثرة لشخص ما ، وكما يقول بولس الرسول :" **ولسنا نجعل عثرة فى شئ لئلا تُلام الخدمة** " (٢كو٦ : ٣)

سألها الراهب : منذ متى وأنت تعيشين فى هذه البرية ؟

قالت : سبعة عشر سنة بنعمة المسيح .

فسألها الراهب : وماذا تأكلين ؟

قالت : معى سلة بها بعض الحبوب المبللة ثم أضافت لقد خرجت وأنا أحمل هذه السلة وبها بعض الحبوب المنقوعة ، والتى هى بمشيئة الرب وعنايته أشبعتنى طوال تلك الفترة ولم تنقص أبداً كما يجب أن تعرف يا أبى أن صلاح الرب ورحمته قد حفظونى طوال هذه السنين ، فلم تقع عين رجل علىَّ حتى فعلت أنت هذا اليوم ليس من ناحيتى أنا ، فقد كنت أستطيع أن أراهم جميعاً سمع الراهب وتعلم من هذه القصة الرائعة والمرأة التقية وإنطلق يمجد الرب .

١٧٧- حياة يوحنا الناسك الذي عاش في بلدة سوكو

قال الأب القديس العظيم ديونيسيوس [Dionysios] كاهن وحارس المقدسات فى الكنيسة المقدسة بعسقلان عن الأب يوحنا [John] الراهب : كان هناك رجل من نفس جيلنا كان تقياً عظيماً فى عين الرب ، وكدليل عملى يوضح مدى فرح الرب بهذا الرجل نستعرض المعجزة التالية والتى تنسب إليه: كان يعيش يوحنا الناسك فى كهف يبعد عشرون ميلاً عن أورشليم فى منطقة تسمى سوكو [Socho] وكان يحتفظ فى كهفه بأيقونة للسيدة العذراء والدة الإله وهى تحتضن يسوع المسيح بين ذراعيها وكان هذا الناسك فى بعض الأحيان يقرر السفر إلى أى مكان وقد تكون لمسافات بعيدة جداً وفى قلب الصحراء أو يذهب إلى أورشليم ليتبارك بالصليب المقدس ويزور الأماكن المقدسة هناك ويصلى على جبل سيناء أو ليزور مزارات القديسين ، وكان يقضى أيام طويلة للسفر وزيارة تلك المزارات حيث أنه كان مغرماً بهؤلاء الشهداء العظماء ، فهو الآن يزور قبر القديس يوحنا فى أفسس ، وفى وقت آخر يزور القديس ثيؤدور فى أوكيتا {Euchaita} أو يزور القديس ثكلا [Thecla the Isaurian] فى سلوشيا [Seleucia] أو يزور القديس سيرجيوس [Sergios] فى ساڤاس [Saphas] فى يوم يزور قديس وفى يوم آخر يزور قديس آخر .

حيث كان لديه تقليداً ما عندما يريد الرحيل كان دائماً يعد مصباحاً ، ويقف يصلى ويتضرع إلى الله حتى يمهد طريقه ويخفف عليه عبء السفر ويهرع إلى الأيقونة التى يعشقها ويقول للسيدة العذراء : أيتها السيدة العذراء والدة الإله حيث أننى على وشك الرحيل وسوف أقوم برحلة طويلة ، وقد تستغرق أياماً كثيرة فإحفظى هذا المصباح موقداً لا ينطفئ ، وسوف أستعين بك رفيقاً فى رحلتى هذه وبمجرد أن ينتهى يوحنا من حديثه مع الأيقونة يبدأ رحلته قد تستغرق هذه الرحلة شهر أو شهرين أو ثلاثة أشهر ، وقد تطول وتصل إلى خمسة أو ستة شهور ، وعند عودته يجد المصباح موقداً تماماً كما تركه قبل رحيله ولم يُرى أبداً أن هذا المصباح ينطفئ من تلقاء نفسه سواء عندما يستيقظ من نومه أو عند عودته من رحلة طويلة قضاها فى البرية .

١٧٨ـ قصة أخرى عن يوحنا الناسك

وإستمر الأب ديونيسيوس فى روايته عن بعض قصص ونوادر الأب يوحنا الناسك حيث قال الآتى : فى أحد الأيام كان يوحنا الناسك يسير عند ضواحى مدينة سوكاس [Sochas] حيث كان الكهف الذى يعيش فيه وبينما يسير يوحنا فى طريقه وإذ بأسدٍ ضخم يأتى فى عكس إتجاهه وأصبح قريباً جداً منه وكان الطريق الذى يسير فيه يوحنا الناسك طريقاً ضيقاً للغاية ، كما كان هناك سياج من الشوك على الجانبين صنعه المزارعون حتى يحمون حقولهم مما زاد الطريق ضيقاً حتى أنه كان بالكاد يسمح بمرور شخصاً واحداً بشرط ألا يكون حاملاً معه أى شئ ، وحتى لا يؤذى هذا الشخص أثناء مروره من هذا الطريق ، وعندما إقتربا الإثنان من بعضهما البعض يوحنا الناسك وهذا الأسد الهائل لم يلتفت الراهب ولم يترك الطريق الصحيح للأسد ، وفى نفس الوقت لم يستطع الأسد أن يلتفت لضيق الطريق حتى كان من المستحيل للإثنين أن يمرا بجوار بعضهما البعض ، فعندما شعر الأسد أن هذا الرجل خادم الرب سوف يسير فى طريقه إلى الأمام تحت أى ظرف بدأ يتراجع إلى الخلف حتى وقف على قدميه الخلفية منتصباً ومائلاً نحو السياج الذى على يسار الراهب حتى زاد الطريق إتساعاً بفعل وزنه وقوته الجسدية بما يسمح لرجل الله التقى أن يمر ويكمل رحلته دون تأخير .

مر الراهب بجوار الأسد حتى إحتك بشعر ظهره ، وبعد عبور الراهب أخفض الأسد قدميه الأماميتين وذهب فى طريقه ، وفى أحد الأيام ذهب أحد الإخوة للأب يوحنا فى كهفه ، فلم يجد فى الكهف شئ فسأله : كيف لك أن تعيش هنا يا أبى حيث لا يوجد أى مؤن قد تحتاجه ؟

أجاب يوحنا : هذا الكهف كحلبة الرياضة شئ من الأخذ والعطاء .

١٧٩ـ قصة الأب ألكسندر الذي وقع في قبضة شيطان قبل وفاته بأيام

عند دير الأب سيرجيوس [Sergios] والذى يعرف بـ زيروبوتاموس [Xeropotamos] على بعد ميلين من مدينة بيت لحم وكان رئيس الدير وهو الأب أوجينيوس [Eugenios] رجلاً تقياً مكرساً لخدمة

الرب، والذى أصبح فيما بعد أسقفاً لمدينة هيرموبوليس [Hermopolis] بمصر، والتى تقع على حدود طيبة الأولى [Thebaid] .

عندما قمنا بزيارة هذا الدير أخبرنا رئيس الدير عن قصة تخص الأب ألكسندر السيليزيان {Alexander the Cilician} أنه عندما طعن فى السن وعجز عن مساعدة نفسه حيث كان فى ذلك الوقت يعيش فى كهف عند نهر الأردن المقدس أخذه الأب أوجينيوس ليقيم معه فى الدير وكان ذلك فى الثلاثة شهور الأخيرة قبل نياحته حيث أنه كان ملازماً تماماً للفراش ، ولكن قبل نياحته بعشرة أيام وقع فى قبضة شيطان ماكر وخبيث .

بدأ العجوز فى لعن الشيطان قائلاً : بأس لك أيها الشيطان أتيت إلىَّ متأخراً جداً فأنا طريح الفراش ولا يمكنى التحرك لأريك كم أنت ضعيف أيها الأحمق لو كنت بالفعل قادراً على هزيمتى لحاولت فعل ذلك منذ خمسين أو ستين سنة لأعرفك كم أنت ضعيف وهزيل لأحطم كبريائك وأثنى عنقك فهزال صحتى ليس من صنيعى ، ولكنه بفعل الزمن والسن ومع ذلك فأنا أشكر الرب لأنى سأرحل إليه ، والذى سيرأف بحالى ويرفع ظلمك عنى بشنك تلك الحرب غير الرحيمة على شيخوختى ، وبعد هذه السنوات الطويلة من حياة التقشف القاسية ، وكان يقول ذلك وأكثر من ذلك كله جاء الحصاد وفى اليوم العاشر أسلم روحه ورقد فى سلام .

١٨٠- العمل الرائع لداود المصري

قال الأب ثيؤدور السيليزيانى [Theodore the Cilician] عندما كنت أعيش فى دير سكيتى [Scete] كان هناك راهب صالح إسمه داود وفى أحد الأيام خرج جميع الرهبان للحصاد كما كان ذلك تقليد يومى فى هذه المدينة بأن يذهبوا جميعاً للحصاد ، فذهب أخى وطلب من أحد المزارعين بأن يعمل لديه فى الحصاد على أساس أجر يومى ، فإستأجره المزارع وبدأ داود فى الحصاد، وفى أحد الأيام بينما داود الراهب يعمل وفى حوالى الساعة السادسة (الثانية عشر ظهراً) وكان الجو شديد الحرارة ، فلم يتحملها الراهب ودخل كوخاً صغيراً يحتمى به ، وعندما أتى المزارع ورأى الراهب داخل الكوخ قال له

بلهجة شديدة : أيها الراهب لماذا لا تعمل فى الحصاد ؟ ألا تعرف أننى أدفع لك أجرك ؟

قال الراهب : نعم أعرف لكن حرارة الجو فى ذروتها مما تسبب فى حرق بعض الحبوب و سقوطها ، فأنا منتظر قليلاً حتى تخفف حرارة الجو وحتى لا يضيع عملنا ومجهودنا هباء .

قال المزارع بصوت حاد: قم وإستأنف عملك حتى ولو تحول الجو إلى لهيب.

قال له الراهب : أتريد أن يحترق جميع المحصول ؟

فرد المزارع بغضب : إنى لم أقل ذلك .

وقف الراهب وعلى الفور تحول الحقل إلى كتلة من اللهب ، هرع المزارع خائفاً إلى باقى الرهبان الذين يعملون فى أجزاء أخرى من الحقل متوسلاً وراجياً أن يتدخلوا بينه وبين هذا الراهب لربما يصلى الراهب وتتوقف تلك النيران المشتعلة ، ذهب الرهبان إلى الراهب المصرى وإنحنوا أمامه معبرين عن خضوعهم له ولكن داود الراهب قال لهم : هذا الرجل نفسه قال حتى لو تحول إلى لهب ، ومع ذلك إستطاع الإخوة الرهبان إقناع داود المصرى بأن يصلى ، فذهب بالفعل ووقف بين أجزاء الحقل وهو مشتعل وصلى للرب وعلى الفور إنطفأت النيران وأنقذ باقى المحصول ، فإندهش الواقفون مما شاهدوا و ذهب كل منهم يستأنف عمله وهو يمجد الرب.

١٨١ـ حياة الأب يوحنا المخصي والرجل الذي أقسم ألا يتجرع الخمر والماء

على بعد تسعة أميال من مدينة الإسكندرية قمنا بزيارة دير الأب يوحنا المخصى [John the Eunuch] لنتعلم ونتهذب من نعمة المسيح التى يتمتع بها، وهناك رأينا رجلاً طاعن فى السن قد قضى ثمانين عاماً فى هذا الدير، كان يتمتع برقة مشاعر تفوق أى إنسان وقعت عليه أعيننا حيث لم تظهر رقة مشاعره فقط على البشر بل أيضاً قد لمسها أيضاً الحيوان ، فلم يكن لهذا الأب الراهب عملاً غير الآتى :

عندما يستيقظ فى الصباح يقوم بإطعام الكلاب التى بالدير، ويضع قليل من الدقيق لصغار النمل و حبوباً لكبيرها ثم يكسر قطع البسكويت ويبدأ يرطبها بالماء ويضعها على قمة الأسطح ليطعم الطيور وكانت هذه هى حياته ، فلم يترك شيئاً للدير عند موته لا باب ولا شباك ولا حتى فتحة باب ينظر بها على الأغراب لم يترك مصباح ولا حتى منضدة أى يمكن القول وبإختصار شديد أنه ترك العالم دون أن يكون قد إمتلك أو إحتفظ بشئ من ممتلكات هذا العالم ، لم يمتلك كتباً حتى ولو لساعة واحدة ولا أى أموال ولا قطعة ملابس ، فقد كان يعطى كل ما يملك لذوى الحاجة وكان يستثمر نفسه وكل ما لديه من طاقة فيما هو آت : لقد كتب هذا لمن يرغب فى معرفة مدى رقة مشاعر ووداعة قلب هذا الرجل وسوف نخبر ببعض منها :

أتى مزارع فى أحد الأيام يسأل هذا الراهب الصالح أن يعطيه قطعة ذهب ، وحيث أن هذا الراهب لا يملك شئ ليعطيه لهذا الرجل (كما أنه لم يمتلك قط قطعة من الذهب فى حياته) قام الراهب بالذهاب إلى الدير وإقترض قطعة من الذهب وأعطاها للرجل والذى قال له أنه سيقوم بردها بعد شهر مرعامين ولم يرد هذا المزارع قطعة الذهب التى إقترضها (فلم يرجع المزارع للراهب حتى يرد له الذهب).

قام الأب يوحنا بطلب هذا الرجل وسأله أن يرد إليه قطعة الذهب الذى سبق وإقترضها من الدير منذ عامين حيث قال له : يا أخى رد لى قطعة الذهب، ولكن المزارع أجاب الأب يوحنا قائلاً : يعلم الله جيداً أنه ليس لدى هذه القطعة الذهبية ، فأجابه الأب : ولكنى وجدت الطريقة التى سترد بها هذا الدين إعتقد المزارع أن هناك بعض المهام سيقوم بأدائها ، وعليه قال للأب يوحنا : أخبرنى ما هو الشئ ؟ وسوف أقوم به .

قال له الأب يوحنا : عندما يكون لديك متسع من الوقت وليس لديك عمل آخر للقيام به تعال إلى هنا وقم بعمل ثلاثون ميطانية وسوف أعطيك كيراشن (ربع قطعة من الذهب) وقام بإعطاء الرجل بعض الطعام والشراب ووافق الرجل على أن يأتى عندما يكون لديه متسع من الوقت لعمل هذه

الميطانيات ويأخذ مكافأته من الأب نظير ذلك ويأكل ويشرب ويأخذ معه بعض الحلوى تكفى أفراد أسرته ، وعندما إدخر المزارع خمسة وعشرون كيراشن وهى ما تعادل قطعة ذهب أخذ الأب قطعة الذهب وبارك الرجل المزارع الصالح وصرفه فى سلام .

أخبرنا نفس الأب يوحنا المخصى الآتى : عندما ذهبت إلى طيبة [Thebaid] وفى دير الأب أبولو [Apollo] هناك رأيت راهباً شاباً وكان أبيه فى الجسد راهباً أيضاً وكان هذا الراهب الشاب قد قطع على نفسه عهداً ألا يتجرع ماءاً ولا خمراً أو أى نوع من السوائل كان طالما هو حى لذلك كان يأكل الهندبا البرية والأعشاب المرة وبعض الخضروات التى يمكنها إطفاء ظمأه، وكان عمله بالديرهو وضع الخبز فى الفرن ، مرت ثلاث سنوات ومرض مرضاً شديداً حتى كاد أن يرحل إلى إلسماء ، وبينما كان جسده يشتعل من حرارة الحمى والظمأ القاتل ألح عليه كل من حوله من الرهبان حتى يتجرع ولو القليل من الماء ولكنه لم يصغ إليهم إستدعى رئيس الدير أحد الأطباء ليعمل ما يمكنه عمله حتى ينقذ هذا الرجل الذى يحتضر، فأتى الطبيب وعندما رأى هذا الشاب وقد وصل بمرضه إلى مرحلة من الخطر ألح هو الآخر على الشاب حتى يشرب بعض الماء ولكنه عجز كغيره عن إقناع الشاب بالشرب ، وأخيراً قال الطبيب للأب رئيس الدير أحضر وعاء كبير وصب أربع مكيالات من الماء الفاتر وقم بوضع هذا الراهب المريض فيها حتى تصل الماء إلى فخذيه وأتركه هكذا لمدة أربع ساعات، ويؤكد الأب يوحنا (حيث أنه كان أحد الحاضرين فى هذا الموقف أنهم عندما رفعوا هذا الراهب من الوعاء المملوء بالمياه) أن المياه إنخفضت بمقدار مكيال وهذا ليعرفنا أى نوع من أنواع التقشف كان يتبعه هذا الراهب الشاب ، وكم تحمل من المعاناة ليكتسب التهذيب التام للنفس وقمع الجسد من أجل المسيح المخلص ومن أجل الحياة الأبدية ، وإستمر الأب يوحنا فى سرد القصص التى حدثت وعاصرها فقال الآتى : عندما ذهبت إلى أحد الرهبان الصالحين ودخلت قلايته لاحظت أن هناك لوحة من الخشب إعتاد أن يركع عليها أمام الرب ، ورأيت أنه عندما يقوم هذا الراهب بالركوع عليها وتلمس يديه وركبتيه هذه اللوحة تهبط إلى أسفل فى عمق أكثر من عرض أربعة أصابع وذلك لكثرة ركوعه عليها .

١٨٢ـ حياة الزوجة المسيحية وحكمتها الرائعة والتي حولت بها زوجها الوثني إلى مسيحى

أخبرتنا إمرأة تدعى مريم [Mary] المحبة ليسوع المسيح والفقراء ووالدة المعلم بولس [Paul] الذى يعمل بالجيش والذى إلتحق بالمحكمة ، والتى كانت تعيش على جزيرة تدعى ساموس [Samos] .

أخبرتنا تلك المرأة أنه كانت هناك زوجة مسيحية مؤمنة فى بلدة نيسبيس [Nisbis] وكان لها زوج وثنى وقد إدخرا الإثنان خمسين ميلياريزا (جنيه من الذهب يعادل ألف ميلياريزا) وفى أحد الأيام قال الزوج للزوجة : هيا بنا نقوم بتسليف هذا المبلغ للآخرين نظير فوائد ، فنحن لسنا بحاجة إليهم الآن وحتى لا نبددهم فأجابت الزوجة على زوجها وقالت : إذا كنت مصراً على إقراض هذا المبلغ نظير فوائد تعالى معى لنقرضه لإله المسيحيين .

قال لها الزوج : حسناً جداً أين هو إله المسيحيين حتى أعطيه هذا المبلغ ؟

قالت له : تعالى وسأريك أين هو فإنك لست فقط ستحتفظ بأموالك بل أيضاً ستعود إليك بأرباحها ويتضاعف رأس مالك .

قال الزوج : تعالى إذن وأرينى مكانه حتى أعطيه إياها .

أخذت الزوجة الزوج وإنطلقا نحو الكنيسة المقدسة وكان فى ذلك الوقت كنيسة نيسبيس لها أربعة بوابات كبيرة ثم أتت به نحو المدخل وكانت هناك شرفة كبيرة وأشارت له إلى الفقراء وقالت : إذا أعطيت هؤلاء المسيحيين ، فإن إلههم سيستلم منك تلك الأموال لأن ما تفعله معهم تفعله مع إلههم ، وعلى الفور وبسعادة بالغة قام الزوج بإقراض شعب الله الفقير الخمسين ميلياريزا وعاد الإثنان إلى منزلهم ، ولكن بعد فترة من الزمن زادت مصروفاتهم عن إستطاعتهم حتى عجزا عن مواصلة العيش فقال الزوج للزوجة : يا زوجتى الحبيبة ألا ينوى إله المسيحيين رد شيئاً مما أقرضناه ، فنحن فى حاجة ماسة لهذا المال .

أجابت الزوجة : نعم إنه سيرد لك أموالك لكن إذهب إلى حيث أقرضته وسوف يقوم هذا الإله برد أموالك على الفور .

إنطلق الرجل إلى الكنيسة المقدسة حتى وصل إلى المكان الذى أقـرض فيه شعب الرب الفقير ، ومر حول الكنيسة متوقعاً أن يرى أحدهم عساه يرد له أمواله ، ولكن كل ما رآه هم نفس الفقراء ما زالوا جالسين فى أماكنهم ، وبينما كان يحاول أن يتكلم مع أحدهم و يفكر أياً منهم يجب عليه أن يسأله ، وإذا بـه ينظر إلى موضع قدميه ويرى قطعة عملة كبيرة موضوعة على الأرض وكان هو نفس المكان الذى وقف فيه موزعاً أمواله لإخوته الفقراء فمال إلـى أسـفل وإلتقط قطعة النقود وعاد إلى منزله ، ثم قال لزوجته : لقد ذهبت إلى الكنيسة ولكنى لم أرى إله المسيحيين كما قلت ، ولم يعطنى أى شئ علـى الإطـلاق ، سوى أننى وجدت هذه العملة موضوعة على الأرض فى نفس المكـان الـذى وزعت فيه أموالى .

عندئذ أجابت تلك الزوجة الحكيمة قائلة : فإنه هو مـن أعطـاك هـذه القطعة من النقود دون أن تراه ، فهو يعمل ويحرك العالم دون أن تراه بـذراع عالية ويد قادرة غير مرئية ، وعلى أى حال يا سيدى إذهب وإشترى لنا شـيئاً لنأكله اليوم وسوف يعطيك الرب شيئاً آخر .

ذهب الزوج وقام بشراء بعض الخبز والخمر وسمكة كبيرة ، ثم رجـع إلى منزله وأعطى زوجته مشترياته قامت الزوجة بتنظيف الـسمكة إسـتعداداً لطهيها ، ولكن عندما فتحت السمكة وجدت قطعة من الحجر بـداخلها رائعـة الجمال تعجبت المرأة منها ولكن لم يكن لديها أى فكرة ماذا يكون هذا الـشئ ؟ فإحتفظت بها وعندما أتى إليها زوجها وبينما كانا يتناولان الطعـام أحـضرت الزوجة قطعة الحجر وأرتها لزوجها وقالت له : أنظر!! لقد وجدت هذا الحجر داخل السمكة .

رأى الزوج الحجر إندهش من شكل الحجر وجماله الذى يسرق الأبصار ولكنه هو الآخر لم يكن يعرف ما هذا وبعدما إنتهى الإثنان من طعـامهم قـال الزوج لزوجته : أعطينى إياه ، وسوف أذهب لبيعه وسأحاول أن أجد طريقـة لبيعه بأى ثمن ، وكما أخبرتكم كان هذا الرجل رجلاً بسيطاً لا يعرف قيمة هذه الأشياء ، وذهب الرجل إلى أحد تجار الأموال وهو أيضاً صائغ فضة كان الوقت

متأخراً وكان هذا التاجر يعد نفسه لغلق محله والعودة إلى منزله ، وذهب الرجل إليه وقال : أتريد أن تشترى حجراً ؟ عندما سمع التاجر هذا ونظر إلى الحجر قال للرجل : كم من المال تريد فيه ؟

فقال له الرجل : أعطيني ما تشاء ، فقال له التاجر : أتأخذ خمسة ميلياريزا فيه ؟

إعتقد الرجل أن هذا التاجر يسخر منه ، فقال له الرجل : هل ستعطينى كل هذا المبلغ ؟ فإعتقد التاجر أن هذه الفرصة العظيمة ستضيع منه .

فقال له : حسناً يا رجل سأعطيك عشرة بدلاً من خمسة .

لازال الرجل يعتقد أن التاجر يسخر منه ، فصمت ولم يتكلم عندئذ قال التاجر بل عشرون ولم يبدى الرجل أى تجاوب لما يقوله التاجر ، وبدأ التاجر فى رفع المبلغ إلى ثلاثون ثم إلى خمسون وهو يقسم بأنه يدفع بذلك الكثير مقابل هذا الحجر ، ولكنه لم يكف عن رفع قيمة المبلغ حتى وصل إلى ثلاثمائة ميلياريزا ، وهنا وافق الزوج على المبلغ وأعطى التاجر الحجر وتسلم النقود ، وعاد إلى زوجته وهو مغمور من الفرحة ، وعندما رأته تلك الزوجة الصالحة سألته بكم باعها وكانت تتوقع أن يقول لها ثمناً بخسا خمس أو عشر من العملة الصغيرة ولكن الزوج أخذ الثلاثمائة ميلياريزا وسلمهم لزوجته ففاضت المرأة عجباً من كرم هذا الإله الصالح الطيب وقالت لزوجها : أيها الزوج هل رأيت كم هو هذا الإله صالح وكريم إله المسيحيين ؟ هو لم يرد لك نقودك فقط بل وفوائدهم مضاعفة ، ولم تمر غير أيام وضاعف هذا الإله رأس مالك ستة أضعاف ، فعليك إذن أن تعرف أنه لا يوجد إله آخر لا فى السماء ولا فى الأرض غيره .

غيرت تلك المعجزة من قلب الزوج وعلمته الحقيقة بخبرة مباشرة مع الرب وعلى الفور قبل الزوج يسوع المسيح وأصبح مسيحياً يمجد الرب المخلص فى كل أعماله ، وشعر بالإمتنان لزوجته التى منحه الله إياها ليعرف حقيقةً من هو الرب ؟

١٨٣ـ حياة موسكوس التاجر

قمنا بزيارة الأب إستاثيوس [Eustathios] فى دير كهف القديس ساباس [Cave of Saint Sabas] أخبرنا الآتى :

كان هناك تاجر إسمه موسكوس [Moschos] يعيش فى مدينة تدعى تاير [Tyre] أنه أخبره ما يلى : كنت مرتبطاً ببعض الأعمال التجارية وفى إحدى الليالى ذهبت لأغتسل فى أحد الحمامات العامة ، وبينما كنت أسير فى طريقى مررت بإمرأة كانت تقف فى الظلام ، فإتجهت إليها وقدمت لها التحية ، فوافقت على أن تتبعنى ففرحت كما يفرح الشيطان عندما يدفع بأحد نحو الخطية، فلم أذهب لأغتسل بل ذهبت لنتناول العشاء سوياً ، ولكنها لم تذق ولا كسرة خبز صغيرة ، وفعلت كل ما بإستطاعتى لإقناعها بأن تأتى إلى منزلى وأخيراً نجحت فى إقناعها وذهبنا للمنزل ، وعندما بدأت فى إحتضانها إنفجرت باكية وقالت : كم أنا من إمرأة بذيئة وقبيحة كنت أرتجف وأنا اسألها ما الأمر ؟ فزادت من بكائها وهى تقول : يعمل زوجى بالتجارة وقد تحطمت سفينة تجارته، وخسر كل ممتلكاته وممتلكات غيره وهو الآن فى السجن بسبب ما تكبده الغير من خسائر بسببه ، وقد قررت بعدما أرهقت ذهنى من التفكير وأنا أشعر بالعار والخزى من بيع جسدى حتى أستطيع الحصول على خبز لزوجى فقد أخذوا كل ما نملك .

قلت لها : كم يبلغ دينكم ؟

قالت : خمسة جنيهات من الذهب أى = ٣٦٠ قطعة ذهب أو ١٦٣٨ جرام ذهب ، فذهبت وأحضرت لها الخمسة جنيهات ذهبية وقلت لها : لخشية الرب ومخافته لم ولن ألمسك إذهبى وخلصى زوجك بهذا الذهب وصلى من أجلى ، وبعد فترة من الزمن حدثت إفتراءات كثيرة ضدى حتى وصلت لأذن الإمبراطور بأننى أبدد تجارتى ، فأمر الإمبراطور بالقبض علىَّ وأحضرنى إلى القسطنطينية مكرهاً وأنا بملابس رثة وزج بى فى السجن ، فمكثت هناك لفترة من الزمن وأنا بهذه الملابس الفقيرة ، وكان يصل لسمعى عند كل شروق للشمس أن الإمبراطور ينوى قتلى حتى يئست من الحياة وكنت أنام كل ليلة

باكياً ومتحسراً ويائساً ، وهناك بدى لى أننى أرى تلك المرأة الحرة التى سُجن زوجها وهى تقول لى : ما المشكلة يا موسكوس ؟ و لِما أنت مسجون هنا ؟

قلت لها : لقد إتُهمت بالباطل وأعتقد أن الإمبراطور ينوى قتلى .

فقالت : هل تريدنى أن أذهب للإمبراطور وأحدثه بشأن أن يتركك ؟

قلت لها : هل يعرفك الإمبراطور ؟

قالت : نعم فإستيقظت من نومى وأنا فى حيرة ماذا يعنى ما رأيته وأنا نائم ؟ وفى المرة الثانية والثالثة كانت تظهر لى وهى تقول : لا تخف غداً ستصبح حراً وفى اليوم التالى وفى الصباح الباكر جاء الحرس وإصطحبونى إلى الإمبراطور بناء على أوامره ، وعندما شاهدنىَ الإمبراطور وأنا بهذه الملابس الرثة قال لى : لقد تعاطفت معك وأشفقت عليك ، فإذهب ولا تخطئ فيما بعد .

رأيت المرأة تقف عن يمين الإمبراطور وقالت لى : إهدأ ولا تخف .

بعدها أمر الإمبراطور بأن أسترد كل ممتلكاتى وأعطاها لى ، وأعاد تعيينى لوظيفتى السابقة وبشرف بالغ أصبحت ممتلئ ، وفى تلك الليلة بالذات ظهرت لى نفس المرأة وقالت : هل تعرف من أنا ؟ أنا من أشفقت عليها من أجل الرب وإحترمت جسدى وأنا الآن أنقذك من هذا الظلم الواقع عليك أنظر كيف أن الرب طيب وهو يتعامل مع البشر جميعاً ، وهذا ما فعلته أنت معى لذا فقد إتسعت الرحمة بى حتى شملتك أنت أيضاً .

١٨٤- تعاليم الأب يوحنا وكيف تنال الفضيلة

عندما ذهبنا من دير جثيمانى المقدس (Gethsemane) إلى جبل الزيتون وإتجهنا إلى دير يعرف بدير الأب أبراهام [Abraham] والذى أنشأه الأب العظيم أبراهام (لكنيسة القديسة العظيمة مريم العذراء إلى الأبد ووالدة الإله) والذى أصبح رئيساً للدير هناك بعد أودوكسيوس [Eudoxios] كان رئيس هذا الدير هو الأب يوحنا [John of Cyzicos] وفى أحد الأيام قمنا

بسؤاله عن كيفية نيل الفضائل ، فأجاب الأب يوحنا وقال : إذا أراد أى شخص أن ينال فضيلة معينة عليه أولاً أن ينجح فى التغلب على نقيض هذه الفضيلة ، فإذا رغبت فى أن تكون حزيناً فأرفض الضحك ، وإذا أردت أن تصبح متواضعاً فإكره الكبرياء ، وإذا أحببت الإعتدال فإبتعد عن الجشع ، وإذا أردت أن تصبح نقياً فإكره النجاسة ، وإذا تطلعت إلى التقشف فتخلص من الممتلكات المالية ، وإذا رغبت أن تكون عطّاء فإبتعد عن إكتناز المال ، وإذا أردت أن تعيش فى البرية فلا تتملق حياة المدنية .

أى إنسان يرغب فى حياة الإنضباط والصمت يجب عليه أن يمقت كثرة الكلام ، ومن يرغب أن يكون غريباً فعليه أن يرفض المباهاة ومن يرغب أن يكون متحرراً من الغضب فعليه ألا يتصل بمن يعيش فى العالم ، ومن يريد أن يكون متسامحاً فلا يجب عليه أن يُدين أحداً ، ومن يريد ألا يعيش منزعجاً فعليه أن يعيش منعزلاً ، ومن يحب أن يتحكم فى لسانه فعليه أن يغلق أذنيه تماماً حتى لا يسمع كثيراً ، ومن يريد أن يعيش حياة فى مخافة الرب فيجب ألا يرفه جسده وأن يعشق الألم ، وهنا سيخدم الرب خدمة لا يشوبها شائبة .

١٨٥ـ قصة الأخوان السوريان

قص علينا الأب ثيؤدور [Theodore] رئيس الدير القديم[1] قصة أخوان سوريان كانا يعملان بالتجارة فى مدينة القسطنطينية قال :

فى أحد الأيام قال الأخ الأكبر لأخيه الأصغر : تعالى معى لنرجع لسوريا حتى نأخذ بعض من الأشياء من منزل والدنا .

قال الأصغر : ولماذا يجب علينا الذهاب سوياً ؟ وأن نترك تجارتنا دون رعاية من أحدنا إذهب أنت وسأبقى أنا هنا ، أو أذهب أنا وتبقى أنت هنا ، وأخذا يتناقشان حتى وصلا إلى إتفاق بأن يذهب الأخ الأصغر إلى سوريا ويبقى الأخ الأكبر ليرعى تجارتهما ، وبعد رحيل الأخ الأصغر بوقت قصير رأى الأخ الأكبر فى منامه رجلاً عجوزاً يقول له : أتعرف أن أخاك الأصغر قد زنى

---

[1] دير القديس شاريتون أو سوكا [Chariton or Souka] والذى بناه في منتصف القرن الرابع .

مع زوجة حارس أحد الخانات غضب الأخ الأكبر عندما إستيقظ من نومه مما قيل له وقال لنفسه : إنه خطأى أنا لماذا سمحت له بالذهاب بمفرده ؟ مر أيضاً وقت قصير ورأى الأخ الأكبر نفس الرجل العجوز حيث قال له : أتعرف أن أخاك قد ركز كل إهتماماته على زوجة حارس الخان ؟

إشتد حزن الأخ الأكبر مما يسمعه ، وفى المرة الثالثة لظهور هذا العجوز له قال له : أتعرف أن أخاك الأصغر قد أساء إلى إمرأة وحط من نفسه مع زوجة حارس الخان ؟

فى هذه المرة كتب الأخ الأكبر لأخيه فى سوريا يطلب منه ترك أى شئ ويحضر فوراً إلى البيزنطية ودون أدنى تأخير ، وبمجرد أن وقعت عين الأخ الأكبر على أخيه الأصغر أخذه وأسرع به إلى الكنيسة العظيمة ، وبدأ يوبخه ويعنفه بقسوة ويقول له : هل إستمتعت بالزنا مع زوجة الحارس ؟ وعندما سمع أخيه هذا الكلام أكد بأمانة الرب بأنه لا يعرف أى شئ عما يقوله أخيه وأنه لم يخطئ كما أنه لم يعرف إلا زوجته ، وعندما سمع الأخ الأكبر منه هذا الكلام قال له : أفعلت أى شئ آخر ربما يكون خطأ ؟

أنكر الأخ الأصغر وقال : فأنا لا أعلم ما إذا كنت قد قمت بعمل غير عادى ، إلا إننى قد قابلت بعض الرهبان فى القرية من أتباع سيڤيران (المهرطقين) ولا أعلم ما إذا كنت أخطأت أم لا ، فقد تناولت معهم فى قداسهم وهذا على حسب علمى ، فأدرك الأخ الأكبر أن ما فعله الأخ الأصغر من زنا هو تركه للكنيسة المقدسة الجامعة وذهابه للمهرطق سيفيريوس أسيفالوس [Severus Acephalos] والذى هو بالفعل حارس خان إذ أنه بفعلته هذه قد جلب العار والنجاسة على شرف إيمانه الحقيقى .

١٨٦ـ قصة حياة الزوجة المخلصة وزوجها التاجر

كما قمنا أيضاً بالذهاب إلى دير{الآباء فى عسقلان} حيث يقيم هناك الكاهن الأب أوسيبيوس [Eusebios] وقال الآتى : كان فى هذه المدينة تاجر كبير قام بإحدى الرحلات التجارية ، ولكنه فقد كل تجارته وكل ما كان يحمله معه فى هذه الرحلة ، وبالكاد تم إنقاذه هو بمفرده من هذه الكارثة وعندما عاد

إلى مدينته قبض عليه الدائنون وقذفوا به فى السجن وتم مصادرة كل ممتلكاته وكل شئ كان يقتنيه فى منزله ، ولم يبقى معه غير زوجته المخلصة ، وبالرغم مما أصاب الزوجة من حزن وقلق على حياتهما فقد قررت أن تفعل شئ بانتظام وهو أن تذهب لزوجها كل يوم ومعها بعض الخبز ليتناوله ، وفى أحد الأيام وبينما تقوم هذه الزوجة بزيارة زوجها فى السجن حاملة بعض الخبز ليتناوله ، مر أحد المشرفين على السجن ليتفقد عمله فوقعت عينيه على تلك المرأة حيث أنها كانت تتمتع بجمال إلهى يسحر العيون ويسرق الأبصار فإمتلأ رغبة فيها ، فأرسل لها رسالة مع سجان زوجها يطلب أن تأتى إليه ، فأسرعت الزوجة متوقعة أن يعطيها بعض العطايا وعندما رآها أخذها وتحدث معها منفرداً بها حيث قال لها : ما الأمر ولماذا تأتي هنا ؟ حكت له المرأة كل القصة وبعدها قال لها : إذا قمت أنا بتسديد كل ديونك وديون زوجك أتوافقين على قضاء ليلة معى ؟

أجابت المرأة التى تتمتع بنقاء وجمال روحى وذهنى كما تتمتع بالجمال الشكلى وقالت : يا سيدى سمعت أن القديس بولس الرسول يقول أن : " **ليس للمرأة تسلط على جسدها ، بل للرجل** " (١كو٧: ٤) فدعنى أذهب وأسأل زوجى وسوف أفعل ما يأمرنى به .

كان الزوج يتمتع بحكمة عظيمة كما كان يحب زوجته حباً عظيماً ولكنه لم يريد أن يجرفه إحتياجه للحرية بعيداً عن الحق ويضل طريقه ، فتنهد الزوج عندما أخبرته زوجته بما حدث بينها وبين هذا المشرف ثم دمعت عيناه وقال لها: أرفضى ما قاله هذا الرجل ودعنا نضع ثقتنا فى الرب فهو لن يتركنا ونحن فى الهزيع الرابع نهضت المرأة من عند الزوج وذهبت وأخبرت هذا الرجل قائلة : لقد أخبرت زوجى وهو لا يرغب فى ذلك .

كان فى ذلك الوقت هناك قاطع طريق فى زنزانة مجاورة لسجن هذا الزوج يستمع لحوار الزوج والزوجة ، فتنهد وقال لنفسه : أنظر!! يا له من مأزق للزوج والزوجة ومع ذلك يرفضان أن يتنازلان عن حريتهما لا مقابل مال أو حتى مقابل إطلاق صراح الزوج ، فلهم من الشرف والعفة ما يفوق غنى الأغنياء فهما يحتقران أشياء ومباهج هذه الحياة ، ولكن ماذا يجب علىَّ

عمله أنا لهذا الإنسان الخسيس الذى لم يفكر حتى ما إذا كان الله موجود أم لا ؟ وقد قمت بالعديد من الجرائم والشرور دون مقابل ثم قام بالنداء عليهما من خلال نافذة فى زنزانته بالسجن وقال لهما : أنا سارق وفعلت الكثير والكثير من الشرور والعديد من جرائم القتل لذلك فى أى وقت يأتى فيه الحاكم إلى هنا سوف يحاكمنى كقاتل ، ويأمر بقطع رأسى ولكن بعد ما شاهدت عفتكما وعزتكما تأثرت وكما تعاطفت معكما وعلى أى حال إذهبا إلى : وقام بوصف طريق ما لهما عند سور المدينة وقال لهما : هنا قوما بالحفر بجوار هذا السور وخذا الأموال التى ستجدونها هناك ، وسددا ديونكما ببعض منها وقدما الكثير منها كعشور وصليا من أجلى لربما يرحمنى الرب .

مرت أيام قليلة وجاء حاكم المدينة وحكم على هذا السارق بقطع رأسه ، وبعدها قالت الزوجة لزوجها : إذا أردت يا سيدى أن أذهب للمكان الذى أخبرنا به هذا السارق وأرى ما إذا كان يقل لنا الحقيقة أم لا ؟

فقال لها الزوج : خير ما قلت وفى المساء نظروا الزوجة وأخذت معها فأس صغير وقامت بالحفر فى المكان الذى أشار إليه اللص ، فوجدت إناء كبير ملئ بالذهب أخذته وإستخدمت هذا الذهب بتدبير وتعقل حتى يعتقد الناس أنها قد إقترضت بعض هذه الأموال من شخص ما وبعضها من آخر حتى قامت بتسديد كل ديونهم وأصبحت قادرة على إطلاق صراح زوجها .

قال لنا الشخص الذى حكى لنا هذه القصة : أنظروا حيث أنهما كانا مخلصان لإلههم وإحترما أحكامه فقد ضاعف الله محبته ورحمته عليهما .

١٨٧ـ معجزة الأخشاب المعطاة للأب بروكا

قال لنا الأب أثناسيوس المصرى [Athanasios] لذى كان يعمل فى السلطة المدنية[1] عن الأب بروكا [Brocha] أنه وجد مكان فى البرية عند مدينة سيلوشيا [Seleucia] بالقرب من إنطاكية ورأى أنه مناسب لعمل قلاية صغيرة له ليقيم بها وعندما بدأ فى إنشاء هذه القلاية رأى أنه بحاجة إلى بعض الأخشاب

[1] السلطة المدنية أو Civil authority وهى نوع من السلطة اللاتينية .

حتى يستطيع عمل سطح لهذه القلاية ، وفى أحد الأيام خرج وذهب إلى المدينة وهناك رأى أناتوليوس [Anatolios] والمعروف بالأحدب وهو رجل ذو مركز مرموق فى مدينة سيلوشيا وكان هذا الرجل جالساً أمام منزله فتوجه إليه وقال له الأب بروكا : لو تفضلت أعطينى قليل من الأخشاب لأعمل به سطح لمنزلى فأجابه هذا الرجل بإستياء وقال : أنظر هناك خذه وإنصرف وكان يشير إلى عمود ضخم موضوع أمام منزله والذى صنعه لعمل سفينة تنقل حوالى خمسين ألف مكيال من الحبوب ، فقال له الأب بروكا : باركك الرب سوف آخذه ، وكان الرجل أناتوليوس مازال فى حالة الإستياء وأمسك الراهب العجوز بعمود الخشب وحمله من الأرض ووضعه على كتفه وإنطلق نحو قلايته ، فتعجب الرجل من قدرة الراهب غير العادية التى حدثت حين أعطى الراهب كم من الأخشاب أكثر مما يحتاجه ومن قدرته على حملها.

ذهب الأب بروكا وقام يوحنا ذهبى الفم لقلايته بل وقام بعمل الكثير من الأشياء التى كان الدير فى حاجة إليها .

١٨٨- نبذة مختصرة عن الأب يوحنا ذهبي الفم

كان هناك رجل قديس وعظيم هو القديس يوحنا ذهبى الفم [John Chrysostom] بطريرك القسطنطينية وقد سمى بذلك لما يتمتع به من نقاء وطهارة فى قلبه وروحه ، كما كان معلماً بارعاً فى تلقينه للآخرين وعليماً بفنون البلاغة ، ومنذ أن نال نعمة المعمودية وهو لا يحلف أو حتى يقبل شخص آخر يحلف أو يكتب أو يتكلم أو يستمع إلى أى كلام .

١٨٩- قصة راهب[1] في دير الأب الصالح غريغوري الذي غفر له بعد موته

جاء كاهن إسمه بطرس [Peter] من روما وأخبرنا شئ عن القديس العظيم غريغورى [Gregory] بطريرك المدينة : أنه عندما أصبح بطريرك قام ببناء ديراً كبيراً للرهبان وسن قانوناً ألا يمتلك أى راهب من رهبان المكان أى شئ يتفرد به ، وكان ضمن هؤلاء الرهبان راهباً له أخاً يعيش فى العالم وفى

[1] حكاية الأب أنستاسيوس Anastasios في دير جبل سيناء العظيم .

https://coptic-treasures.com

أحد الأيام طلب الراهب من أخيه قائلاً : ليس لدى ما أرتديه فإذا تفضلت يا أخى إشترى لى رداءاً .

قال له أخيه العلمانى : خذ هذه الثلاث قطع ذهبية لتشترى كل ما قد تحتاجه أخذ الراهب الثلاث قطع ذهبية وذهب إلى رئيس الدير ووضعهم تحت تصرفه ، والذى قام بدوره بأخذ الثلاث قطع ذهبية وذهب للبابا ووضعهم هو الآخر تحت تصرف هذا البطريرك ، فعندما سمع البطريرك ما حدث قام بإستبعاد الراهب من الدير حيث أنه قد خرق قانون الدير ، وبعد فترة قصيرة تنيح الأخ المستبعد ولم يعلم البابا بتنيحه.

مر يومين أو ثلاثة وقام رئيس الدير بإخبار البابا بتنيح الراهب المستبعد من الدير حزن البابا حزناً جماً لأنه لم يعطى حلاً للراهب قبل أن يرحل من هذا العالم لذا فقد قام البابا بكتابة صلاة على قصاصة من الورق وأعطاها إلى كبير الشمامسة وطلب منه أن يذهب ويقرأها على رفات الراهب كانت الصلاة تمثل حلاً من البابا للراهب المستبعد ومغفرة لخطيته ولخرقه قانون الدير ذهب كبير الشمامسة وفعل ما طلبه البابا منه وقام بقراءة الصلاة على جسد الراهب المستبعد بينما فى نفس الليلة التى صلى فيها كبير الشمامسة على قبر الراهب رأى رئيس الدير هذا الراهب بينما كان نائماً .

فسأله رئيس الدير : هل أنت ميت بالفعل يا أخى ؟

فأجاب الراهب : نعم لقد مت بالفعل .

فسأله رئيس الدير ثانية : أين كنت حتى يومنا هذا ؟

فقال له الراهب : الحقيقة يا سيدى لقد كنت سجيناً ولم يُطلق سراحى إلا أمس عندها علم الجميع بأنه قد أحله البابا من خطاياه ومن عقاب الإستبعاد فى نفس الساعة التى صلى فيها كبير الشمامسة على رفاته ، ولقد خلصت روحه من الإدانة .

١٩٠- العمل الخيري الرائع الذي قام به القديس العظيم الأب أبوليناريوس بطريرك الإسكندرية لشاب ثري إنحدر لدرجات العوز

وصل لسماعنا عن الأب القديس أبوليناريوس [Apollinarios] بطريرك الإسكندرية والذى كان مثلاً يُحتذى به فى كثرة العطايا والرأفة على كل البشر ، ولتوضيح هذه الخصال والنعمة الرائعة فقد حكى لنا بعض الأشخاص أنه كان هناك شاباً ووالديه من الشخصيات البارزة فى المدينة وعندما توفيّا تركا لإبنهم الشاب ثروة طائلة والكثير من الممتلكات الأخرى فى أشكال متنوعة من أشكال الثراء مثل السفن البحرية وذهب ، ولكن هذا الشاب لم يكن ناجحاً فى إدارة هذا الإرث مما أفقده كل هذه الثروة وإنحدر إلى أقصى درجات الفقر والعوز كما ذكر فى الكتاب المقدس :" **وبعد أيام ليست بكثيرة جمع الإبن الأصغر كل شئ وسافر إلى كورة بعيدة ، وهناك بذر ماله بعيش مسرف ، فلما أنفق كل شئ حدث جوع شديد فى تلك الكورة ، فإبتدأ يحتاج** " (لو ١٥: ١٣-١٤) وقد عانى شدائد كثيرة من تحطم سفنه وغرقها وإهلاك تجارته وتبديد ثروته وبعد أن كان أحد أثرياء المدينة وصفوتهم أصبح من فقراءها وكما يقول كاتب المزامير :" **يصعدون إلى السموات ، يهبطون إلى الأعماق . ذابت أنفسهم بالشقاء** "(مز ١٠٧: ٢٦) فبعد أن كان موضع إحترام وتبجيل فى فترة ثراءه أصبح يعانى السقوط فى بؤرة الفقر .

عندما علم البطريرك أبوليناريوس بذلك ورأى وهنه وعوزه حيث كان يعرف والديه جيداً ومدى الثراء الذى كانوا ينعمون به أراد البابا عمل شئ عملى وواقعى لمساعدة هذا الشاب بأن يعطيه بعض الأموال فى شكل عطايا أو عشور قد ترفع بعض المعاناة عنه لكنه خجل أن يفعل ذلك ، وكان كلما أتى إليه هذا الشاب إلى مكتبه ويراه بملابسه الرثة ووهن عزيمته ووجهه الحزين والتى هى علامات العوز والفقر المدقع كانت تتألم مشاعر البابا ، ولكنه كان فى حيرة ما عساه أن يفعله نحو هذه المعضلة التى يرغب فى إيجاد حل لها ولا يرى وسيلة لذلك ولكن الله أرشد روحه فألهمه بخطة رائعة والتى تتلاءم مع قداسته ، فقام بطلب المسئول القانونى بالكنيسة وهو أيضاً مسئول الخزانة لكنيسته المقدسة وتحدث معه منفرداً حيث قال له : أريد ان أئتمنك على سرٍ خاص بى .

أجاب على هذا المسئول قائلاً : إذا كنت ترغب بالفعل فى ذلك فلن أخبر أى شخص عما ستقوله لى ولن يعلم أحداً شيئا قط مما ستكشفه لى .

فقال له البابا : إذهب وإسحب صكك ضد الكنيسة بمبلغ خمسين قطعة ذهبية لصالح مكاريوس [Macarios] والد هذا الشاب وإجعل له شهوداً وقم بعمل أمر دفع لهذا الشاب ثم أحضر لى هذا الصك .

أطاع مسئول الخزينة البابا وقام بعمل كل ما طُلب منه على الفور ودون أدنى تأخير، ثم ذهب للبابا بالصك وقدمه له وحيث أن والد الشاب كان قد توفى منذ عشر سنوات أو أكثر وحيث أن الصك يبدو حديثاً فقد قال البابا للمسئول : يا سيد إذهب وقم بدفن هذا الصك فى قمح أو شوفان ثم أحضره لى مرة أخرى بعد عدة أيام قام هذا الرجل بعمل ما قاله البابا وعاد بعد عدة أيام كما قال له وهو يحمل الصك وقال له البطريرك : الآن إذهب وقل للشاب ماذا ستعطينى مقابل صك خاص بثروة أبيك ؟ لكن لا تأخذ منه أكثر من ثلاث قطع ذهبية أيها السيد وأعطه هذا الصك .

فقال له المسئول : إنها إرادتك أيها البابا ، ولن آخذ منه أكثر مما طلبت منى ، فذهب مسئول الكنيسة للشاب وقال له : ماذا ستعطينى إذا قدمت لك شيئاً ذا قيمة مالية ولصالحك ؟

وافق الشاب على تقديم أى مقابل يطلبه المسئول ، فصمت المسئول برهة وقال له : منذ خمسة أو ستة أيام كنت أبحث فى أوراقى ووجدت هذا الصك وتذكرت مكاريوس والدك قد وثق فىَّ وترك هذا الصك معى لعدة أيام وعندما توفى وبفعل القدر قد نسيته طيلة هذا الزمن حتى وجدته منذ أيام ، فذاكرتى الضعيفة لم تساعدنى على تذكره لأعطيه لك .

فقال له الشاب : كم تريد لتعطينى إياه ؟

فقال المسئول : ثلاث قطع ذهبية .

سأله الشاب : هل هذا الشخص المدين شخصاً ثرياً ؟

فقال له المسئول : فهو ثرى جداً وكريم للغاية ، ويمكنه تسديد كل ديونك دون تعب.

فقال له الشاب : يعلم الرب أننى لا أملك شيئاً قط ولكن إذا رد لى هـذا الدين سوف أعطيك الثلاث قطع ذهبية وأكثر ، فأعطى المسئول الشاب الـصك الذى يعادل خمسين قطعة ذهبية (١٦٣٨٠ جرام ذهب) .

أخذ الشاب الصك وذهب به للبابا فإنحنى أمامه وأعطاه إياه أخذ البابـا الصك وبدأ يقرأه وكان يظهر للشاب أنه قد إنزعج من هذا الدين المستحق على الكنيسة ثم سأل الشاب : أين كنت طوال هذه المدة وحتى الآن ؟ فقد توفى أباك منذ أكثر من عشر سنوات إذهب أيها السيد ليس لدى رد الدين فأجاب الـشاب على البابا : فى الحقيقة يا أبى لم أتمكن من الحصول على هذا الصك ، فقـد كان فى حوزة مسئول الخزانة ولم يكن يعلم بذلك ولكن رحمة الـرب ورأفتـه علىَّ سمحت له بأن يعطيه لى ، وقد قال لى : لقد كنت أبحـث فـى أوراقـى ووجدت هذا .

قام البابا بصرف الشاب وقال له : سوف أفكر فى الأمر وفِـى الوقـت نفسه سأحتفظ بهذا الصك هنا فى الكنيسة .

مضى أسبوع ورجع الشاب مرة أخرى للبطريرك ، وعندما رآه البابـا وبخه مرة أخرى على إحتفاظه بهذا الصك طيلة هذه المدة دون المطالبـة بـه وأظهر له أنه لا يرغب فى منحه شيئاً مما يستحقه .

أخيراً قال له الشاب : أيها السيد العظيم يعلم الله جيداً أنه ليس لدى مـا يفى بإحتياجات أسرتى ، فإذا وضع الربِ هذا الأمر فى قلبك لتفعـل أى شـئ يرأف بى وبأسرتى ، وهنا بدأ البابا فى إظهار بعض التعاطف والإقتناع بحديث الرجل الشاب وبعدها قال له : سأقوم بدفع قيمة هذا الصك بالكامل ولكن يا بنى أنا ألتمس منك ألا تطالب الكنيسة بفوائد على هذه السنوات العشر السابقة .

غمرت الفرحة قلب الشاب وقام بعمل ستة وسبعين ميطانية أمام البابـا وقال له : ما تأمرنى به أيها السيد العظيم سأفعله وإذا أردت أن تـنقص مـن قيمة الصك لصالح الكنيسة فأنا أوافق على ذلك .

فقال له البابا : لا يكفيني أنك ستتنازل عن الفوائد المستحقة على هذا الصك فذهب البابا وأحضر الخمسون قطعة ذهبية وسلمها للشاب وسمح له بالإنصراف مع الكثير من مشاعر الإمتنان والعرفان بأنه كان كريماً مع كنيسة الرب ولم يطالب بالفوائد المستحقة على الصك .

تظهر لنا هذه القصة كم كان هذا البطريرك الصالح عطوفاً ورحيماً كما كان يفعل ذلك سراً وكما بارك أيضاً الرب هذا الشاب وتجارته حيث إستطاع أن يرفعه من الفقر والذل ولم يستعيد فقط ثروات أسرته بل زاد منها كما أثرى هذا العمل الرائع من البابا من روح هذا الشاب .

١٩١ـ نصيحة الراهب الذي يعيش في دير سكيتى لراهب آخر حتى لا يدخل أحد الحانات

قام أحد رهبان دير سكيتى [Scete] بالسفر إلى الإسكندرية لبيع بعض أعماله اليدوية ، وهو بالمدينة رأى راهب آخر يدخل أحد الحانات ، إنزعج الراهب مما يراه وقرر أن ينتظره بالخارج حتى يخرج ويتحدث معه وقد حدث بالفعل فقد خرج هذا الراهب من الحانة فتوجه إليه راهب دير سكيتى وأخذه من يده وتحدث معه منفرداً وقال له : يا أخى أتعلم معنى الرداء المقدس الذى ترتديه ؟ ألا تعرف ذلك ؟ ألا تعلم أن حيل إبليس كثيرة ؟ ألا تعرف أيضاً أن الرهبان الذين يعيشون فى المدن كثيراً ما يجرحون أعينهم ويلوثون آذانهم ويهينون ملابسهم ؟ فقد ذهبت إلى تلك الحانة بمحض إرادتك وسمعت أشياء لايصح سماعها ورأيت ما لا ترغب فى رؤيته وإختلطت خلطاً مخزى بالرجال والنساء العابثين أرجوك يا أخى ألا تفعل ذلك بل وأنصحك بالهروب نحو البرية حيث تجد الخلاص الذى ترغبه .

فقال له الراهب الآخر : سأذهب معك أيها الراهب الصالح لأن الرب لايريد شيئاً غير نقاء القلب .

رفع الراهب الصالح يده نحو السماء وقال : المجد لك أيها الرب فقد أمضيت خمسين عاماً فى دير سكيتى ساعياً وراء نقاء القلب والروح إلا أن هذا الراهب الذى ألف الذهاب إلى الحانات قد بلغ هذه النعمة وإلتفت نحو الراهب

الآخر وقال له : " أعضدنى حسب قولك فأحيا ولا تخزنى من رجائى" (مز ١١٩: ١١٦) .

١٩٢ـ قصة المفكر إيفاجريوس والذي تحول مسيحياً بفعل صلاة وعمل الأسقف سينسيوس

بينما كنا نقيم فى مدينة الإسكندرية لفترة أتى رجلاً مكرساً يحب المسيح حباً جماً وهو ليونتيوس من أباميا [Leontios of Apamea] أتى من مدينة بنتابوليس [Pentapolis] حيث أمضي سنوات طويلة فى دير سيرينى (Cyrene) وكان فى ذاك الوقت البطريرك أولوجيوس [Eulogios] بابا الإسكندرية والذى أصبح فيما بعد أسقف فى سيرينى والذى أتى هو الآخر وإجتمعنا سوياً نتحاور حيث قص علينا ليونتيوس الآتى :

عندما كان البطريرك المبارك ثيؤفيلوس [Theophilos] بابا الإسكندرية قام برسم المفكر سينسيوس [Synesios] أسقفاً لسيرينى وعندما ذهب المفكر سينسيوس إلى سيرينى وجد أحد تلاميذه وصديقه الحميم لازال على عبادته الوثنية إمتلأ قلب الأسقف رغبة فى تصحيح إيمان تلميذه وصديقه المقرب ، والأكثر من ذلك فإنه كان يبذل الجهد المضنى فى مساعدته حينما تقابله متاعب الحياة وذلك من أجل العلاقة الحميمة التى كانت بينهما ، ولكن إنتهى الأمر بالأسقف بأنه عجز عن إقناع المفكر الصديق بالإيمان المسيحى الحقيقى أو حتى يقبل أى شئ من تعاليم الأسقف ، ولكن الأسقف لم يبالى بهذه النتيجة ولم يكف عن إصراره فى بذل المزيد والمزيد من الجهد ، فكان يعلمه ويحثه على قبول المسيحية فى كل يوم يذهب إليه وأن يعرف شخص المسيح معرفة حقيقية كاملة وقد أسفر كل هذا العمل الدؤوب إلى أن أتى المفكر الصديق فى يوم من الأيام إلى الأسقف قائلاً : أتعرف أيها الأسقف من بين الأمور المسيحية وتعاليمها يوجد أمراً لا يقنعنى على الإطلاق وهو أنه ستكون هناك نهاية ما لهذا العالم ، وبعد هذه النهاية سيعود الإنسان مرة أخرى ويعيش حياة أبدية حيث لا يفسد جسده ويخلد إلى الأبد وسيحصل المسيحيين على مكافأتهم وأن الإنسان الذى يرأف بالفقراء ويعطيهم من ماله فهو بذلك قد أعطى الله نفسه

ومن كان يوزع أمواله على المحتاجين سوف يسترد كل ما قدمه إلى هؤلاء البشر من المسيح أضعافاً مضاعفة فى الحياة الابدية مع الرب كل هذه الأمور والقصص تبدو أموراً مضحكة وساذجة ولا تزيد عن حكايات الجدات للأطفال لكن الأسقف أكد له أن كل إيمان المسيحيين إيماناً حقيقياً ولا يوجد شئ باطلاً أو حتى غريب وغير مقبول كما حاول جاهداً أن يشرح له بأمثلة عديدة حقيقة كل هذه الإيمانيات .

مر وقت طويل ولم يضع جهد وصلاة هذا الأسقف هباء بل قد كلله الله حيث أصبح المفكر مسيحياً وعمده الأسقف كما عمد كل أطفاله وأهل بيته ، وبعد المعمودية بزمن قصير أعطى المفكر للأسقف ثلاث عملات ذهبية(Denariir) كعشور للفقراء حيث قال للأسقف : خذ هذه العملات الثلاث وأعطيهم للفقراء ولكن أعطنى شهادة بأن المسيح سوف يردهم لى فى الأبدية ، ففعل الأسقف ما طلبه منه صديقه المفكر فأخذ النقود وعلى الفور أعطاه شهادة بذلك .

عاش المفكر بضعة سنوات بعد معموديته وبعدها سقط مريضاً وحيث لا أمل فى شفائه ، وعندما وصل لنقطة النهاية قال لأبنائه : عندما تعدوننى للدفن ضعوا هذه الشهادة فى يدى وتدفنوها معى .

فعل الأبناء ما أمر به والدهم وعند وفاته ودفنه وضعوا الشهادة فى يده ودفنت معه ، مرت ثلاثة أيام وإذ بالأسقف يرى فى نومه أن الصديق الفيلسوف يظهر أمامه ويقول : تعالى إلى قبرى حيث أرقد في مثواى الأخير وخذ الورقة الذى كتبتها بيدك حيث أننى قد إستلمت ما كنت دائناً به ، وأنا الآن أشعر بالرضى التام ولا يوجد أى مطالبات أخرى عليك وحتى تتأكد من قولى هذا إذهب إلى قبرى وأحصل على الشهادة وهى موقعة منى بذلك وبخط يدى ولم يكن الأسقف يعلم شئ بأمر دفن الشهادة مع المفكر صديقه ، وفى صباح اليوم التالى قام الأسقف بإستدعاء أبناء المفكر وعندما أتوا إليه قال لهم : ما الشئ الذى قمتم بدفنه مع والدكم ؟ إعتقد الأبناء أنه يتحدث عن أموال لذلك أجابوه قائلين : لا شئ يا سيدنا ماعدا ملابس الدفن ، فقال الأسقف : وماذا ؟ ألم تقوموا بدفن أى شئ آخر معه حين كان يحتضر؟

تذكر الأبناء أمر الشهادة وأدركوا أنه يسأل عنها ، فقالوا له : نعم يا سيدنا عندما كان أبانا يحتضر أعطانا ورقة ما وقال : عندما تعدوننى للدفن قوموا بوضع هذه الورقة فى يدى ولا أريد أى شخص آخر يعلم بهذا الأمر ، فقام الأسقف بإخبارهم بالحلم الذى رآه وأخذ أبناء المفكر وبعض الكهنة وبعض الشخصيات البارزة بالمدينة وذهبوا جميعاً لقبرالمفكر وقاموا بفتحه فوجدوه راقداً هناك وهو يحمل فى يده الشهادة الموقعة من الأسقف وعندما قاموا بفتح الشهادة رأوا أن هناك توقيع جديد وبخط المفكر الراحل وقد كتب : أنه أنا المفكر إيفاجريوس ولقد إستلمت ما هو مدون فى هذا الصك ولقد أخذت ما يرضينى ولن يكون هناك أى مطالبات أخرى فيما يتعلق بالذهب الذى أعطيته لك أو بالأحرى أعطيته لوكيلك يسوع المسيح إلهنا الصالح .

إندهش جميع الحضور مما رأوا وقرأوا وإستمروا لساعات طويلة وهم يصيحون قائلين : الرب طيب والمجد لله الذى يصنع العجائب ويعضد خدامه ، وقد أكد لنا المعلم ليونتيوس أن التوقيع كان بخط يد المفكر وهذه الشهادة محفوظة فى خزانة الكنيسة فى سيرينى وهى تسلم لكل أمين يُعيَّن مسئولاً بالكنيسة ومعها بعض الآنية المقدسة والذى يقوم بالحفاظ عليها لتبقى صالحة وسليمة لمن يأتى بعده .

١٩٣ـ المعجزة التي حدثت عندما قام بعض الأطفال بقراءة صلاة القداس أثناء لعبهم

قام بقص هذه القصة الحاكم جورج [George] حاكم مقاطعة فى أفريقيا وكان هذا الرجل محباً لشخص المسيح كما كان يقدم العون والمساعدة للرهبان ويعطف على الفقراء ، وكان يتمتع بنعم الروح القدس والتى تسعد قلب يسوع المسيح وقد قال لنا :

عندما كنت فى بلدتى (كان من منطقة تدعى أباميا Apamea بسوريا وهى فى مدينة ثوراكس Thorax) كانت هناك ولاية تدعى جوناوس [Gonaos] وهى تبعد أربعين ميلاً عن المدينة وكان هناك بعض الأطفال يقومون برعى بعض الحيوانات ذهب هؤلاء الأطفال ومعهم حيواناتهم بعيداً حيث بعدوا حوالى ميلاً عن منازلهم ، وكعادة جميع الأطفال أرادوا أن يلعبوا

بعض الألعاب وبينما يلهون ويجرون قال كل منهم للآخر : دعونا نصلى صلاة القداس ونقدم الذبيحة وشعر جميع الأطفال أنها فكرة جيدة وقاموا بإختيار أحدهم ليقوم بتمثيل دور الكاهن وبعض الأطفال الآخرين يقومون بتمثيل دور الشمامسة، وإقتربوا من أحد الصخور الملساء وبدأوا فى لعبتهم الجديدة .

أتى الأطفال ببعض الخبز ووضعوه على الصخرة والتى تمثل المذبح وبعض الخمر فى إناء خزفى صغير ، وبدأت الصلاة وكان الكاهن الطفل فى المنتصف وعلى كل جانب يقف إثنان من الشمامسة .

قام الكاهن بصلاة القداس ليحل الروح القدس على القربان ، وبينما الشمامسة يمسكون بأفرع شجر يستعملونها كمراوح كان هذا الكاهن الصغير يعرف الصلاة ويحفظها عن ظهر قلب حيث أنه فى هذه الأيام كانت عادة الأطفال أن يكونوا أمام المذبح أثناء صلاة القداس وهم أول من يتناول جسد المسيح ودمه بعد الكهنة كما كانت هناك عادة فى بعض الأماكن أن يقوم الكاهن بالصلاة بصوت مرتفع لذلك كان من السهل على الأطفال الذين يترددون على الكنيسة ويكثرون من التناول حفظ كل طقوس وكلمات الصلاة عن ظهر قلب كان الكاهن الطفل يصلى صلاة القداس بقلب طاهر ويعرف بكل خطواتها كما كانت تؤدى فى الكنيسة ، ولكن حدثت المفاجأة فقبل أن يقوموا بتقسيم الخبز وتوزيعه أتت نار من السماء وإلتهمت كل القربان وحرقت الصخرة بالكامل ، ولم يبقى بالمكان أى أثر للصخرة ولا لأى شئ أقاموه الأطفال للقداس .

صعق الأطفال من هول هذا المشهد فسقطوا جميعاً على الأرض شبه أموات غير قادرين على الحركة أو حتى على الصراخ ليأتى من ينجدهم إستمر الأطفال منطرحين على الأرض دون حراك وأتت ساعة عودتهم إلى منازلهم ولكنهم لم يفعلوا ، فقلق الآباء وأسرعوا للبحث عن أطفالهم فهم جميعاً لم يعودوا فى وقتهم المعتاد كما كانوا يفعلون ، وإستمر البحث حتى وصلوا إلى المكان الذى به أطفالهم ووجدوهم ملقين على الأرض ولا حراك فيهم حتى أن الأطفال لم يشعروا بهم ولم يردوا عليهم عندما بدأ بعض الآباء فى التحدث إليهم ، ورأى الآباء حال الأطفال فقام كل منهم بحمل طفله ورجعوا إلى منازلهم وكان الآباء

فى حالة من الذهول مما بأولادهم ، ولكن كان من الصعب التكهن بما حـدث ، وبدأت كل أسرة فى سؤال طفلها عما حدث ولكن دون رد من الأطفال ، فكـان من المستحيل على أهالى الأطفال أن تكتشف الحقيقة وراء ما حدث للأطفال .

مر اليوم بالكامل وأيضاً الليل ، وبدأ الأطفال يعودون لوعيهم قليلاً قليلاً وقصوا لذويهم ما قد حدث لهم بالضبط ، فذهب الآباء مع أطفالهم ليتحروا الأمر وكان برفقتهم بعض المسئولين بالمدينة وذهبوا جميعاً إلى المكان الذى حدثت به تلك المعجزة غير العادية ، وهناك قام الأطفال بالإشارة إلى بعض آثار النيران التى أحرقت المذبح والقربان ، فصدق الجميع ما قاله الأطفال ، وإنطلق الجميع إلى المدينة لينقلوا خبر تلك المعجزة كما ذهبوا إلى أسقف المكان وقصوا عليـه ما حدث فتعجب وإندهش لما حدث وقام بزيارة مكان المعجزة وبرفقته بعـض الكهنة والإكليروس ، وقابل أيضاً الأطفال وإستمع إليهم حيث قصوا عليه القصة بالكامل بكل تفاصيلها ، ورأى بعض دلائل النيران التى أتت من السماء ، فقرر الأسقف إرسال جميع الأطفال إلى الدير وقام بإنشاء ديراً خاصـاً فـى مكـان المعجزة كما أمر أيضاً ببناء كنيسة حيث كانت الأعجوبة نفس البقعة التى حدثت بها معجزة القربان المقدس والنيران .

كما قال لنا أيضاً نفس المعلم العظيم جورج : أنه قد رأى أحد هـؤلاء الأطفال فى نفس الدير الذى أقيم فى المكان الذى شهد تلك الأعجوبـة الإلهيـة والملائكية والذى كتب عنها الأب جورج محب المسيح والتى حدثت فى زماننا هذا .

١٩٤ـ قصة أطفال آخرين مع القديس أثناسيوس

ذكر المؤرخ الكنسى روفينوس [Rufinus] شئ من هذا القبيل قد حدث منذ زمن بعيد شئ يتعلق بأطفال حدث لهم أثناء اللعب هذه الرواية عن القديس أثناسيوس [Athanasios] المعلم العظيم والمدافع المناضل عن الحقيقة وهـو بطريرك مدينة الإسكندرية والذى رعى الكنيسة بفطنة وحكمة إلهية وبمنتهـى الخضوع لمشيئة الرب .

دعونا هنا نتحدث عن طفولة هذا القديس وسوف يعرض لنا روفنيوس المؤرخ الكنسى كيف أعلنت له مرتبة الأسقفية فى طفولته وأن الرب قد أذن له بذلك ، و لمعرفة المزيد عن تاريخ هذا القديس العظيم دعونا نتتبع تاريخه والحياة التى سلكها منذ كان طفلاً صغيراً وطريقة تنشأته بقدر ما وصل إلى آذاننا : كان ذلك فى عهد القديس العظيم ألكسندر [Alexander] والذى خلف القديس أشيلس [Achilles] بابا الإسكندرية كما تنبأ الشهيد العظيم الأسقف بطرس والذى حارب آريوس [Arius] الظالم وأدانه .

فى أحد الأيام كان البطريرك ألكسندر ينظر من نافذته فى إتجاه البحر وإذ به يرى بعض الأطفال يلهون ويلعبون عند الشاطئ كما يفعل كل الأطفال ، ولكنهم فى هذه المرة كانوا يمثلون بعض الطقوس الكنسية فكان أحدهم يلعب دورالأسقف وباقى الأطفال يمثلون دور الكهنة من حوله لفت هذا المشهد إنتباه البطريرك وأدرك أنهم يمثلون بعض أسرار الكنيسة فإنزعج البطريرك وغضب بشدة وقام على الفور بإستدعاء أحد الكهنة وأراه ما يدور عند الشاطئ وطلب منه أن يُحضر هؤلاء الأطفال و يأتى بهم على الفور عندما أتى الأطفال إلى البابا وسألهم عن طبيعة لعبتهم هذه وماذا كانوا يفعلون ؟ أراد أن يعرف هويتهم الدينية ، ولصغر سنهم فى البداية خافوا وأنكروا كل شئ ولكنهم بعد ذلك قاموا بسرد تفاصيل اللعبة وكيف كانوا يعمدون بعض المتنصرين حيث كان أثناسيوس هو الأسقف والذى عين بمعرفة باقى الأطفال فقام البابا ألكسندر بسؤالهم عن الأشخاص الذين تعمدوا وكيف ؟ بعدها تأكد البابا أن معموديتهم كانت صحيحة تماماً كما تؤدى طبقاً لتعاليم الكنيسة والطقوس الدينية .

إستدعى البابا الكاهن وأخبره بأن هؤلاء الأطفال الذين سبق وأن عمدهم الطفل أثناسيوس معمودية صحيحة مقدسة ليسوا بحاجة إلى معمودية أخرى .

ثم قام البابا بصرف الأطفال لبيوتهم أثناسيوس ومن معه من كهنة صغار ، والذين نشأوا وتربوا على مخافة الرب وخشيته وبخاصة الطفل أثناسيوس والذى كان أقرب للقداسة ولطريق الرب وحيث أنه كان أكثرهم تمتعاً بنعم إلهية وثمار الروح القدس والتى نمى بها وتطور حتى وصل لرتبة البابا فيما بعد لتميزه بين الأطفال فى الروح .

بعدها قام البطريرك بإستدعاء والدى أثناسيوس وباقى الأطفال الذين كانوا يؤدون دور الكهنة والشمامسة وطلب منهم إيداع هؤلاء الأطفال فى الدير حتى يتغذون وينمون روحياً بداخله .

لم يمضى إلا وقت قصير وتعلم أثناسيوس جيداً الكتابة وقواعد اللغة وكأمانة مقدسة قام والديه بإعادته إلى الكاهن كما حدث مع النبى صموئيل وكان كلما قام ألكسندر بزيارة باقى الأطفال الكهنة كان أثناسيوس يسير وراءه ويتبعه حاملاً حلة الكهنوت والتى كانت تسمى عند اليهود إيفود [ephod] ولجسارة أثناسيوس فى الدفاع عن الكنيسة ضد المهرطقين وكما قيل{ سأعلن كم هو عانى من أجل إسمى} والتى يعتقد أنها قد كتبت خصيصاً له ، وقد تآمر عليه العالم أجمع وكل حكام الأرض الذين أروه كيف تكون المعاناة من أجل إسم الرب ، فكانت كل الأرض والممالك وكل الجيوش قد حشدت ضده ولكنه وقف صامداً لا يتقهقر ويقول : " **إن نزل علىَّ جيش لا يخاف قلبى . إن قامت علىَّ حرب ففى ذلك أنا مطمئن**" (مز ٢٧: ٣) .

كل ما سبق من أعمال لهذا الرجل الجسورلا يمكنها أن تمر دون أن تُسجَّل له ولتاريخه الحافل ، ومع ذلك فإن له العديد والعديد من المواقف التى يجب علىَّ ذكرها مما وضعنى فى معضلة لا أجد لها حلاً ولا أستطيع تحديد ما يجب علىَّ ذكره وما يمكن عدم ذكره ، ولذلك فقد ذكرت الشئ القليل جداً والذى وجدت أنه ربما يكون ذات صلة بموضوع حديثنا أما باقى المواقف فسترحل لتدون فى سجل آخر شامل عن هذا القديس العظيم ، ومع ذلك فإن هذا السجل الشامل القائم على بعض النقل والتأويل قد يكون أقل من حقيقة هذا الرجل العظيم .

١٩٥ـ جواب البابا أثناسيوس على مدى صحة المعمودية دون إيمان

سأل أحدهم البابا أثناسيوس [Athanasios] بابا الإسكندرية عن شخصاً ما كان قد تعمد بينما إيمانه مغايراً للإيمان الحقيقى ، والتعاليم المسيحية وماهو مصير هذا الشخص والذى قد ينتقل من هذا العالم بزعم باطل وإيمان غير حقيقى ، فأجاب البابا أثناسيوس عليه قائلاً : لقد سمعتم ممن يكبرونكم سناً

عن الشهيد القديس بطرس وهو يواجه نفس الأمر عندما تفشى وباء الطاعون وهرع الناس يتزاحمون ليتعمدوا ، وكان لا يوجد سبباً آخر غير خوفهم من الموت، وظهر له ملاك الرب وقال له : إلى متى ستستمر هكذا ترسل آنية بختم حقيقى ولكنهم فارغين من الداخل ولا يوجد شئ بداخلهم ؟ ويمكن من تلك القصة أن نقول : أن هؤلاء قد تعمدوا معمودية صحيحة لإيمانهم بأنه ما قد فعلوه هو الصالح لهم ، ولكنهم تعمدوا خوفاً من الموت وليس لهم أساس إيمانى.

١٩٦- قصة الراهب البسيط الذى إعتاد أن يرى الملائكة حول المذبح أثناء القداس

قال أحد الآباء أنه كان يوجد أحد الرهبان نقى القلب وعفيف الروح إعتاد أن يرى الملائكة حول المذبح أثناء صلاته للقداس وكان بعضاً منهم يقف عن يمينه والبعض الآخرعن يساره ، ولكنه كان قد تلقى تعاليم القداس الإلهى على أيدى بعض المهرطقين لأنه لم يكن متعلماً ولم يدرس الأمور اللاهوتية الصحيحة مع ذلك كان عندما يصلى صلاة القداس الإلهى كان يتكلم ويصلى ببساطة وبراءة ولم يكن يدرى أنه هناك خطأ ما ، ولكن عناية الله لم تتركه أبداً حيث أتى إليه يوماً ما أحد الإخوة الدارسين للاهوت ، وصلى هذا الراهب البسيط صلاة القداس أمامه ، فقال له هذا الأخ وكان هذا الأخ شماساً : أيها الأب الصالح إن ما تقوله أثناء القداس لا يتماشى مع الإيمان الصحيح إنها لهرطقة وحيث أن الراهب كان يلاحظ وجود الملائكة من حوله أثناء الصلاة فلم يعير أدنى إهتمام لقول هذا الأخ ولا لما يقوله كما لو كان هذا الأخ لا يتحدث ، فأعاد الشماس الكلام وقال له : أنت مخطئ أيها الأب الصالح ولن تسمح الكنيسة لك بأن تقول هذه الأشياء لأنها هرطقات ، فشعر الراهب بأن هذا الشماس يتهمه ويوجه اللوم إليه ، فإنتظر حتى صلاة القداس التالى وقام بسؤال الملائكة من حوله عندما يوجه هذا الشماس اللوم إلىَّ ماذا أفعل حيال ذلك ؟ فأجابت الملائكة عليه وقالت : إستمع له فهو يقول لك القول السديد والمشورة الصحيحة ، فقال لهم الراهب إذن لماذا لم تخبرونى أنتم بهذا ؟ أجابت الملائكة قائلة له : لقد سن الرب قانوناً إلهياً وهو ألا يُصلِح و يقوم الإنسان إلا إنساناً مثله ، ومنذ ذلك الحين قبل هذا الراهب الإيمان الصحيح من يد ذلك الشماس ، وشكر الرب على ذلك وشكر هذا الشماس الذى أصلحه وأنار له طريقه .

١٩٧- كيف أصبح شاب صانع إبناً بالتبنى لأحد النبلاء

حكى لنا أحد الآباء عن شاب صغير موهوب ذهب ليتعلم إحدى الحرف اليدوية عند صائغ للذهب ، وهناك أتقن تلك الحرفة وأصبح من أمهر العاملين بهذه الصنعة ، وفى أحد الأيام أتى أحد نبلاء المدينة لهذا الصائغ حتى يصنع صليب من الذهب ومرصع بالأحجار الكريمة حتى يقدمه عطية للكنيسة وبما أن هذا الشاب كان ماهراً فى حرفته فقد عهد إليه صاحب العمل هذه المهمة حتى يصنع هذا الصليب ففكر الشاب وقال لنفسه : حيث أن هذا النبيل سوف يقدم هذه الثروة ليسوع المسيح فلماذا لا أضيف إليها أجرى حتى تزيد قيمة هذه العطية ويحسبه لى السيد المسيح وذلك كما فعلت الأرملة ؟ فبدأ الشاب عمله وقام بإستعارة بعض المال حتى ينفقه على صناعة هذا الصليب ، ولكن عندما أتى هذا النبيل وقام بوزن الصليب قبل تطعيمه بالأحجار الكريمة ووجده أكثر من وزن الذهب الذى سبق وأعطاه للصائغ حتى يصنع الصليب بدأ فى توجيه الإتهامات للشاب مدعياً أنه قد تلاعب بالذهب ، ولكن الشاب أجاب قائلاً : الله الذى يعلم بخفايا القلوب وهو يعلم تماماً أننى لم أفعل شيئاً من هذا القبيل إلا أننى قد رأيت الأموال التى ستقدمها أنت للمسيح فإعتقدت أنه بإضافة أجرى لهذه الأموال سيجعلنى أشاركك هذه العطية لربما يقبل الرب عشورى كما فعل مع الأرملة " **فجاءت أرملة فقيرة وألقت فلسين قيمتهما ربع** " (مر١٢ :٤٢) ، " **ورأى أيضاً أرملة مسكينة ألقت هناك فلسين** " (لو٢١: ٢) ، فإندهش هذا النبيل مما يسمعه من الشاب الصغير وقال له : أتعتقد ذلك يا بنى ؟ فأجاب الشاب عليه : نعم أعتقد ذلك .

فأجابه النبيل : حيث أنك تعتقد ذلك وقد كرست كل عملك من أجل المسيح لكى تشاركنى عطيتى فمنذ الآن أنت إبنى ووريثى ، وأخذ الشاب معه وجعله وريثاً لأمواله وثرواته .

١٩٨- محبة أحد النبلاء والذى جعل الرب يسوع وصى علي إبنه بعد وفاته

كان أحد الآباء الرهبان قد ذهب إلى القسطنطينية لأداء بعض الأعمال حيث قال لنا : عندما كنت جالساً فى الكنيسة أتى إلىَّ أحد أغنياء المدينة

وأكثرهم شهرة وكان شخصاً محباً للمسيح وعندما رآنى أتى وجلس بجوارى وبدأ يسألنى فى بعض الأمور الروحية وفى كيفية خلاص الروح ، فقمت بالتحدث معه عن أن الحياة الأبدية فى السماء هى حياة لمن عاش حياة روحية على الأرض ، وبعدها قال لى هذا الرجل : لقد قلت الصواب يا أبنى مبارك هو الإنسان الذى يضع رجاؤه فى الرب والذى يقدم نفسه ذبيحة للرب ، فأنا إبن لأحد الأثرياء وكان والدى عطوفاً مع الفقراء كما كان يوزع الكثير من أمواله على المحتاجين من شعب الله ، ولكنه فى أحد الأيام طلبنى ووضع كل أمواله وثرواته أمامى وقال لى : يا بنى أيهم تفضل أن أترك لك الأموال أم أعطيها للمسيح ليكون وصياً عليك وهنا فهمت وصية أبى فقلت له : أنا أفضل أن تعطيهم للمسيح ليكون وصياً علىَّ حيث أن كل ما هو موجود وفى متناول اليد اليوم قد لا يكون كذلك غداً وأما المسيح فهو أبدى وموجود كل حين ، وبمجرد أن سمع ذلك إطمئن والدى ولم يضيع وقتاً فترك لى القليل من الأموال وتوفى ، وتركنى فقيراً أحيا حياة البسطاء ولكن ظل رجائى فى الرب والذى تركنى أبى تحت وصايته وكان فى ذلك الوقت هناك رجلاً آخر ينعم فى الثراء ، وكان من حكام المدينة وكانت زوجته إمرأة محبة للمسيح وتخشى الله كما كان لهما إبنة وحيدة ، فقالت الزوجة لزوجها : لقد منحنا الرب إبنة وحيدة وثروة طائلة ، فما هو الشئ الذى قد تحتاجه هذه الإبنة ؟ فإذا رغبنا فى أن نزوجها لأحد من نفس طبقتنا قد تكون طريقته فى الحياة غير ملائمة لها ويسبب لها الكثير من المتاعب فدعنا نبحث عن شخص من طبقة إجتماعية أقل ولكنه يخشى الرب ، فيحبها ويرعاها كما هو بالكتاب المقدس .

قال لها الزوج : إنها خير نصحية ، فإذهبى للكنيسة وصلى صلاة خالصة من القلب للرب وإنتظرى هناك وأول رجل يأتى إلى الكنيسة يكون قد أُرسل من قِبَل الرب لإبنتنا ، ففعلت الزوجة ما قاله زوجها وذهبت للكنيسة وقضت وقتاً طويلاً فى الصلاة وبعدما إنتهت من صلاتها همت بالجلوس وكنت أنا فى نفس اللحظة أدخل إلى الكنيسة ، فقامت بإرسال خادمها لى تطلب التحدث معى فبدأت تسألنى من أين أنا ؟ فقلت لها إننى من نفس المدينة ووالدى هو (وأخبرتها بإسم والدى) فقالت المرأة أهو ذلك الشخص المعروف بتعاطفه وسخاءه مع الفقراء ؟ ثم سألتنى هل لك زوجة ؟

فأجبتها : لا ، ثم أخبرتها بما قاله أبى لى وما قلته له .

فمجدت الرب وقالت : أنظر يا بنى إن الوصى الصالح والذى إخترته أنت قد أرسل لك زوجة وثروة طائلة لتتمتعا بها أنتما الإثنين فى ظل مخافة الرب ، وأنا أصلى لربما أحذو حذو أبى فى نهاية أيامى .

١٩٩- حياة خادم الرب وإبن رجل العالم

قال أحد الآباء أنه كان هناك رجل يعيش فى العالم وكان لهذا الرجل إبن يتقى الله ونقى القلب ومعتدل فى كل أموره لم يتجرع الخمر منذ طفولته وكان يسعى نحو الإنسحاب من هذا العالم ويتخذ من حياة الرهبان حياة له ، ولكن رغبة أبيه كانت على عكس ذلك حيث كان يريد أن يصبح إبنه خلفاً له فى أعماله التجارية ولكن هذا الإبن التقى كان معارض لهذه الرغبة كما كان لهذا الشاب إخوة آخرين ولكنهم يصغروه سناً ، ونظراً لعدم تلاقى كل من رغبة الأب وإتجاه قلب الإبن ، فكان الأب كلما رأى إبنه هنا أو هناك يوجه له التوبيخ والإهانة وهو يجزعلى أسنانه ويقول : لماذا تختلف عن باقى إخوتك ولماذا ترفض الإنخراط معى فى شئون تجارتى ؟ ولكن الإبن كان يتحمل كل هذا التوبيخ صامتاً ، وكان الجميع من حوله يحبونه لتقواه وإعتداله ، وعندما مرض الأب وكان على مشارف الموت إجتمع بعض أفراد من العائلة مع بعض الأصدقاء والشاب التقى أبيباس [Abibas] قائلين : ربما يحرم هذا الأب إبنه أبيباس خادم الرب من إرثه لإعتقادهم أن هذا الأب لا يحب إبنه وذلك بسبب طريقة تعامله معه وتوبيخه له فى كل حين ، لذلك فقد عزموا على التدخل والتحدث مع الأب والذى كان فى ذلك الحين مريضاً جداً .

ذهب هذا الجمع للأب حيث قالوا له وهو فى فراش الموت : لقد جئنا نطلب منك معروفاً .

فأجاب الرجل قائلاً : ما هذا الذى تطلبونه ؟ قالوا له : أنه بخصوص إبنك السيد أبيباس ونحن نطلب منك ألا تزدريه وتحتقره وتحرمه إرثك .

قال الأب : أجئتم لتطلبوا منى أن أصنع معروفاً فيه ؟ أجابوا هؤلاء الأهل والأصدقاء بالفعل لقد جئنا من أجل هذا .

فقال لهم الرجل : أحضروه إلى هنا فإعتقد الجميع أنه سيقوم بتوبيخه وسبه مثلما إعتاد ، وعندما حضر الشاب طلب الأب منه الإقتراب ، وعندما إقترب الإبن سقط الأب راكعاً أمامه وهو يبكى ويقول له : إغفر لى يا بنى وصلى للرب حتى لا ينقلب ظلمى لك ويكون ضدى ، فقد كنت تسعى من أجل الوصول للمسيح بينما أنا غارق فى التجارة والإهتمامات العالمية .

ثم قام الأب بالنداء على باقى أبناءه وقال لهم : هذا هو سيدكم وأبوكم ، وما يقوله تقبلونه وما لا يقوله لا تفعلونه ، فإندهش الجميع مما يحدث وبعدها مات الأب ، فقام أبيباس بتقسيم تركة والده على إخوته كما أخذ هو الآخر نصيبه وأعطاه بالكامل للفقراء ولم يحتفظ لنفسه بشئ قط وذهب وبنى قلاية صغيرة ليقيم فيها وينسحب من هذا العالم ، ولكن عندما إنتهى من بناء هذه القلاية سقط مريضاً ، وكانت نهايته قد إقتربت فقال للراهب الذى يقيم معه : إذهب وأقض هذا اليوم المقدس مع عائلتك وكان هذا هو يوم عيد الرسل المقدس.

فأجاب الأخ المقيم معه قائلاً : كيف لى أن أذهب وأتركك هكذا ؟

فأجاب أبيباس : إذهب وعندما يأتى ميعاد رحيلى سأقف عند النافذة وأطرق عليها .

أطاع الأخ كلام أبيباس وذهب ، وعندما سمع إشارة هذا الرجل المريض أتى وبمجرد أن وطأت قدميه داخل القلاية كان أبيباس قد أسلم الروح وإنتقل للسماء فتعجب الجميع ومجدوا الرب وهم يقولون : كانت نهايته تليق بشخص قد أحب المسيح من كل كيانه .

٢٠٠- قصة تاجر المجوهرات وقراره الحكيم وهو فى قلب البحر

أخبرنا أحد الآباء القديسين عن أحد تجار المجوهرات والمعروف بأنه يمتلك أفضل الجواهر والأحجار النفيسة ، وعندما كان فى سفره ومعه بعض خدامه قاصداً أحد المدن لمزاولة بعض الأعمال هناك تدخلت عناية الرب حيث أحب أحد أفراد طاقم السفينة وعطف عليه وكان هذا الغلام يخدم هذا التاجر

ويرافقه ، فكان ينام بالقرب منه ويأكل من نفس طعامه ، وفى أحد الأيام سمع هذا الغلام باقى البحارة وهم يتهامسون ويدبرون لأمر ما وهو أن يلقوا بهذا التاجر إلى البحر ويسطون على مجوهراته النفيسة والنادرة فقلق هذا الغلام على هذا السيد العطوف ، وذهب إليه كما يفعل كل يوم ليخدمه وهو صامت لا يعرف ما يفعل حيال هذا المأزق ، وعندما رآه السيد قال له : ماذا بك اليوم أيها الغلام ؟ لكن لم يتلفظ الغلام بكلمة واحدة وبقى صامتاً .

فقال له التاجر مرة ثانية : تعالى إلى هنا الآن وأخبرنى ما الأمر ؟

سقط الغلام منهاراً وهى يبكى وبدأ يتحدث وهو يتنهد من أعماق قلبه ويقول : أن البحارة الذين على ظهر هذه السفينة يخططون لقتلك .

فقال التاجر: هل هذا حقاً ؟

قال الغلام : نعم يا سيدى .

فقال التاجر : لماذا قرروا فيما بينهم فعل هذا ؟ وبعدها نادى التاجرعلى خدامه وقال لهم : مهما أقول لكم تفعلونه دون سؤال وعلى الفور ، فأحضر قطعة القماش المصنوعة من الكتان وقال لخدمه : أحضروا صناديق الجواهر فأحضر الخدم الصناديق وبينما يلتفون حوله بدأ التاجر يتكلم ويقول : هل هذه هى الحياة ؟ أمن أجل هذه الأحجار أخاطر بحياتى وأتركها للقدر ولرحمة البحر وما هى إلا لحظات وأموت ولا أحمل شيئاً معى من هذا العالم ؟

ثم قال لخدامه : أفرغوا هذه الصناديق فى البحر ففعل الخدم كما أمرهم السيد وقذفوا بثرواته فى البحر فإندهش البحارة مما فعله التاجر وبذلك أحبط التاجر بقراره الحكيم مؤامرتهم الشريرة .

٢٠١- كيف إستطاعت إمرأة تقية تخشى الرب أن تكبح حرب الشهوة والنجاسة لدى أحد الرهبان

قال الأب : فى أحد الأيام لدغت حية أحد الرهبان ونقل على الفور إلى المدينة حتى يتلقى العلاج وكانت هناك إمرأة تقية مكرسة للرب وتخافه ، وكانت

تقوم على علاجه وعندما بدأ يتماثل للشفاء بدأ دور إبليس فى زرع بعض الأفكار النجسة فى قلب هذا الراهب نحو هذه المرأة التقية ، وبدأت محاولات الراهب ورغبته فى لمس يد تلك المرأة ولكن المرأة عارضته قائلة : لا أيها الأب هناك الرب يسوع المسيح يجب أن تخافه فكر فى لحظات الحزن والندم وأنت تلتمس التوبة والمغفرة وأنت جالس فى قلايتك ..إسمع صوت تنهداتك القادمة من أعماقك ودموعك السائلة التى لا تنقطع ..إستمع إليها الراهب وأنصت إلى تذكرتها ، فهدأت المعركة التى شنها عليه إبليس وشعر أنه يريد أن يهرب من أمام وجهها خجلاً ولم يقدر على النظر إليها ثانية ، ومع ذلك وبرحمة السيد المسيح وعطفه عليه قالت له المرأة : لا تجعل الخجل والعار ينالا منك ، فأنت لا تزال فى حاجة إلى المزيد من الرعاية الطبية ، وتأكد أن رعاية الرب لك لن تسمح لهذه الأفكار النجسة أن تأتى مرة ثانية إلى قلبك النقى وروحك الطاهرة ، فهذه الأفكار ما هى إلا أحد أسهم الشيطان الحسود والحاقد على الإنسان ، ومن ثم بدأ الإثنان فى الأخذ والعطاء فيما بينهم دون إدانة حتى تم شفاء هذا الراهب وذهب فى طريقه وأعطته المرأة بعض الأشياء التى قد يحتاج إليها فى رحلته .

٢٠٢- إمرأة أخرى إستطاعت بحكمتها وفطنتها حماية نفسها من راهب حورب بالشهوة تجاهها

حكى لنا أحد الأشخاص عن راهب ما يعيش فى أحد الأديرة إعتاد ترك الدير من وقت لآخر لأداء الأعمال كما كان هناك رجل من العالم يعيش فى أحد القرى إعتاد هو الآخر إستضافة هذا الراهب تعبيراً منه عن إيمانه وإخلاصه للكنيسة، ولكن هذا الرجل العلمانى لكونه تاجر كان كثيراً ما يخرج من القرية لأداء بعض المهام ثم يعود إليها مرة أخرى كما كان لهذا الرجل القروى إبنة توفى زوجها منذ فترة قصيرة بعد حياة زوجية إستمرت سنة أو سنتين ، وعندما جاء هذا الراهب إلى منزلها بدأ يضطرب بأفكار شيطانية تتعلق بهذه الأرملة الشابة ، ولكن بسبب وعى هذه المرأة وفطنتها فقد لاحظت هذا فكانت تتجنب التواجد فى حضوره ، وفى أحد الأيام ذهب والد الأرملة الشابة لأداء بعض الأعمال فى مدينة مجاورة لقريته تاركاً الإبنة بمفردها فى المنزل ، وجاء الراهب كما تعود ولكنه وجدها بمفردها فى المنزل فسألها : أين والدك ؟

فأجابت : ذهب للمدينة ، فبدأ الشيطان فى حربه وأغوى الراهب حتى أشعله بالرغبة فيها وكاد يقترب منها ويلمسها فلاحظت المرأة ذلك فقالت له بفطنة وحكمة لا تضطرب هكذا أيها الأب ولا تتسرع لأن أبى لن يعود هذه الليلة كما لا يوجد غيرنا فى هذا المنزل لكننى وحسب علمى أن الرهبان لا يفعلون الشئ دون صلاة مسبقة إذن صلى أولاً للرب وإذا وضع فى قلبك عمل هذا الشئ سنفعله سوياً ، فكان ما تقوله المرأة كلام غير مقبول وغير معقول لهذا السبب لم تهدأ حربه بل وإشتعل رغبة أكثر .

فقالت له ثانية : ألم تعرف إمرأة من قبل ؟

فقال لها الراهب : لا ، ولهذا السبب أريد أن أعرف ماهية المرأة ؟

قالت له : لهذا السبب فأنت محارب هكذا ، فأنت لا تعرف الرائحة الكريهة التى للمرأة لكن لكى تُهدأ من عشقه للمرأة أضافت قائلة : إننى حائض ولا يقدر أحد على الإقتراب منى ، فرائحتى الكريهة قد أفسدت جسدى فعندما سمع الراهب هذا الكلام وكلمات أخرى مشابهة إسترد نفسه مرة ثانية وبكى أمامها وندم على ما قد فكر فيه ، وعندما شعرت المرأة وأدركت أنه هو ذلك الراهب الصالح وقد إسترد نفسه قالت : أنظرلو كنت رضخت لك وأرضيتك لأصبحت خاطئى وزانى للأبد ولا كنت قادراً على النظر فى وجه أبى أو حتى تذهب إلى ديرك وتجلس تسمع إلى ترانيم المرنمين أو تسابيح المسبحين ؟ عد إلى رُشدك أتوسل إليك ولا تكون هكذا على إستعداد لفقد كل عملك ومعاناتك وتحرم نفسك من أمورجيدة وأبدية ، وكل هذا من أجل متعة قصيرة الأجل .

سمع الراهب كلام المرأة ، وحكى ما حدث للشخص الذى قالها لنا وبعد ذلك إنصرف الراهب يمجد الرب ويشكره الذى إستخدم فطنة المرأة وحكمتها ليحميه من السقوط فى هوة لا صعود منها .

٢٠٣- الحيلة التي إستطاعت بها إمرأة أن تتعلم التواضع

قال لنا أحد الآباء أن إمرأة فى مركز مرموق ومن الطبقة الحاكمة فى المدينة أتت لتصلى فى الأماكن المقدسة ، ففضلت أن تقيم بمفردها فى خلوة

ولكنها سألت الأسقف أن يرشح لها إحدى الراهبات الخادمات لتثقفها فى دينها وتعلمها مخافة الرب ، فإختار الأسقف إحدى الراهبات وأكثرهن تواضعاً وأرسلها لهذه المرأة العظيمة ، مر بعض الوقت وقابل الأسقف هذه المرأة وسألها : كيف حال الراهبة التى عندك ؟

فردت المرأة : هى بخير لكننى لم أستمد منها الكثير من المنفعة الروحية فهى شديدة التواضع وتتركنى أفعل ما أشاء ، فأنا أحتاج شخصاً يعارضنى ولا يتركنى أفعل ما أشاء ، فقام الأسقف بأخذ الراهبة التى عند هذه السيدة وأرسل بدلاً منها راهبة أخرى قاسية إعتادت أن تنادى هذه السيدة : أيتها الحمقاء الغنية، وتصب اللعنات عليها ، مر وقت وقابل الأسقف هذه المرأة وسألها عن الراهبة التى تقيم معها .

أجابت المرأة : هذه الراهبة هى أفضل شئ لروحى ، وأصبحت هذه المرأة بعد ذلك مثال يحتذى به فى التواضع .

٢٠٤- فتاة الإسكندرية التى نُقلت من جرن المعمودية والملائكة يحملونها

قال الأب ثيؤناس [Theonas] والأب ثيؤدور [Theodore] أنه فى عهد البطريرك بولس [Paul] بطريرك الإسكندرية كانت هناك فتاة تعيش فى الإسكندرية وفجأة فقدت والديها وكان لأسرة هذه الفتاة ثروة طائلة ، ونظراً لما تعرضت له الفتاة من فقد أسرتها وكل الأشخاص الذين حولها فإنها لم تتعمد فى تلك الفترة ، وفى أحد الأيام ذهبت للتنزه فى حدائق أسرتها والتى تركوها لها ، وكانت تلك الحدائق فى وسط المدينة حيث المنازل والقصور الفخمة ، وبينما هى بالحديقة وإذ بها ترى شاباً يعد بعض الأشياء حتى يشنق نفسه ، فهرعت إليه الفتاة وحاولت منعه من ذلك وقالت له : أيها الشاب الصالح ماذا تفعل ؟

أجابها الشاب : إبتعدى يإمرأة وأتركينى بمفردى فأنا فى كرب عظيم ومحنة لا مفر منها .

فقالت له الفتاة : أخبرنى الحقيقة ربما يمكننى مساعدتك .

قال لها : إنى غارق فى الديون والدائنون يطاردوننى لكى أرد لهم أموالهم ، وقد إخترت الموت فضلاً عن الإستمرار فى هذه الحياة القاسية .

قالت له : أرجوك ألا تفعل ذلك وسأعطيك كل ما أملك لتقدمه لهؤلاء الدائنين ولكن كل ما أرجوه ألا تقتل نفسك .

أخذ الشاب ما قدمته له الفتاة وإنطلق إلى دائنيه وسدد ما عليه ، وبعد ما فقدت الفتاة كل أملاكها بدأت تظهر متاعب وصعوبات الحياة ، وحيث أنه لا يوجد من يرعاها فقد حُرِمَت من أسرتها وبدأت الإحتياجات الملحة تظهر وشعرت بحاجتها للمال حتى يمكنها العيش فإضطرت إلى الإتجار بجسدها وكان هناك بعض الأشخاص ممن يعرفون أصلها ونسبها جيداً والمركز المرموق لأسرتها فى المجتمع ، فقد قالوا : من يعرف أحكام الرب ولماذا سمح بهلاك نفس هذه الفتاة أو لأى سبب ؟

لم يمضِ وقت طويل ومرضت هذه الفتاة مرضاً شديداً ، وعادت لرشدها وكادت تُميت نفسها ندماً ، فقالت لجيرانها : من أجل محبة الرب أشفقوا على حالى وأطلبوا من البابا أن يُعمدنى لأكون مسيحية ، ولكن الجميع من حولها ضحكوا مما تقوله وقالوا : كما لو كان البابا سيقبل هذه العاهرة فحزنت الفتاة وهبطت عزيمتها وبينما هى فى هذه الحالة ظهر لها ملاك الرب ووقف بجوارها فى شكل رجل ففرحت به .

وقال لها : ما الأمر ؟

فأجابته : أرغب فى أن أكون مسيحية ولا أجد من يقف بجانبى .

قال لها الملاك : أتريدين حقاً هذا ؟

قالت : أريد أن أتعزى أرجوك .

قال لها : تعزى فسوف أحضر بعض الأشخاص ليأخذونك إلى الكنيسة ، فأتى بإثنين من الملائكة وحملوها جميعاً وذهبوا بها للكنيسة ، وبعدها تحولوا إلى أشخاص من صفوة المجتمع ، وقاموا بإستدعاء كاهن الكنيسة والمسئول عن المعمودية.

فسألهم الكاهن : هل أنتم شهودها أيها السادة ؟

فأجابوا : نعم ، ففعل الكاهن ما طُلِبَ منه وقام بتعميد الفتاة بإسم الآب والإبن والروح القدس وألبسوها ملابس المعمودية ، وعادت إلى منزلها وهى ترتدى ملابس بيضاء اللون (تونية) وبمجرد وصولها إختفى هؤلاء الأشخاص وعندما رأوها جيرانها فى ملابسها البيضاء قاموا بسؤالها : هل تعمدتى ؟ فقالت لهم : نعم جاء بعض الأشخاص وحملونى إلى الكنيسة وطلبوا من الكاهن هناك أن يقوم بتعميدى .

فسألها جيرانها عن هؤلاء الأشخاص ولكن الفتاة لم تجب على سؤالهم .

ذهب هؤلاء الجيران إلى البابا وأخبروه بما حدث ، فإستدعى البابا الكهنة المسئولين عن المعمودية وقال لهم : هل عمدتم هذه السيدة ؟

فإعترفوا الكهنة بأنهم عمدوها وأضافوا بأن شهودها هم : وذكروا أسماء الأشخاص المرموقين الذين حضروا معموديتها ، فأرسل البابا فى طلب هؤلاء الأشخاص المرموقين والذين ذُكِرَت أسمائهم ليتأكد ما إذا كانوا بالفعل شهودها أم لا ، لكنهم أجابوا : أننا لا نذكر ماذا حدث ولا نعرف أى شخص آخر قد فعل هذا؟ فبدأ البابا يستشعر بأن يد الرب قد تدخلت بشكل أو بآخر .

فإستدعى الفتاة نفسها وقال لها : أخبرينى يا إبنتى ما هو الخير الذى فعلتيه فى حياتك ؟ فقالت الفتاة : إننى عاهرة وفقيرة أيضاً فما الخير الذى يمكننى صنعه؟

سألها البابا : ألا تتذكرى شئ طيب ولو واحد قمتى بعمله طيلة حياتك ؟

قالت الفتاة : لا فيما عدا أننى رأيت شخص كان مُثقل بالديون ويطارده الدائنون فأعطيته كل أملاكى حتى أحرره من ديونه .

قالت الفتاة هذه العبارة ورقدت فى سلام فى أحضان القديسين وقد تحررت من خطاياها التى صنعتها بإرادة وبغير إرادة .

بعدها شكر البابا الرب ومجده وقال : " **بارٌ أنت يا ربُّ وأحكامك مستقيمة** " (مز ١١٩: ١٣٧).

٢٠٥- جواب الراهب لأحد الإخوة الذى يعانى من الإحباط واليأس

جاء أحد الإخوة يسأل أحد الرهبان الصالحين : ماذا أفعل يا أبى ؟ فالشكوك تحاربنى وهى دائماً تتعبنى لقد أصبحت راهباً بالباطل ولن تخلص روحك فأجابه الراهب الصالح : حتى إذا لم ندخل أرض الميعاد ، فأفضل لنا أن تتساقط عظامنا فى البرية خيراً من الرجوع لمصر.

٢٠٦- الموعظة لأحد الرهبان القديسين بشأن آية نرددها فى صلواتنا

قال لنا أحد القديسين : نحن نقول فى صلواتنا **لا تدخلنا فى تجربة** ، فهذا ليس معناه ألا يختبرنا الرب ويجربنا فهذا غيرممكن ولكننا نصلى من أجل التغلب على هذه التجربة والإنتصار فيها وهو الأمر الذى يُفرح قلب الرب وهذا الإنتصار هو **تدخلنا فى تجربة** ، فالقديسين الشهداء قد جربهم الرب بالعذابات والألم ولكنهم تغلبوا على هذا الألم لذلك فهم لم يدخلوا التجربة مثلهم مثل الشخص الذى يحارب وحشاً ما ويفشل هذا الوحش فى إفتراسه فإن هذا الشخص لم يدخل فى التجربة ولكن عندما يفترسه هذا الوحش يكون قد دخل فى تجربة لذلك فإننا نرى التجارب ملازمة لكل هوى وعاطفة شرطاً ألا يتغلب علينا هذا الهوى أو هذه العاطفة .

٢٠٧- الأسقف الذى إنتصر على أسقف آخر كان يختلف معه بالتواضع

قال لنا أحد الآباء أنه كان هناك إثنان من الأساقفة متجاورين فى السكن ولكنهما كانا على خلاف مع بعضهما البعض أحدهما وهو أسقف ثرى والآخر بسيط ، فأراد الثرى أن يضايق الأسقف الآخر .

وصل إلى سمع الأسقف البسيط ذلك وما سيصنعه الأسقف الثرى حتى يؤذيه ، فقال الأسقف البسيط للكهنة ممن حوله : سوف ننتصر بنعمة المسيح .

فقال له الكهنة : يا سيدنا من الذى يستطيع أن ينتصر على هذا الثرى ؟

فقال لهم ثانية : إنتظروا وسترون .

تحيَّن الأسقف البسيط الوقت المناسب وعندما كان الأسقف الثرى يحتفل بعيد إستشهاد بعض القديسين جمع الأسقف البسيط الكهنة وقال لهم : إتبعونى وسوف ننتصر وأخذ الكهنة يتحدثون فيما بينهم ويقولون: ما الذى يمكنه عمله ؟

أتى الأسقف البسيط إلى الآخر الثرى وتقدم نحوه وركع الأسقف الزائر ومعه جميع الكهنة أمام الآخر وقال : إغفر لنا يا سيدى نحن خدامك المتواضعون ، فكان ما فعله هذا الأسقف بمثابة كسر لكبرياء الأسقف الثرى ، فغيَّر الرب قلبه وعندئذ ركع هو الآخر أمام الأسقف البسيط وقال له : بل أنت سيدى وأبى ، ومنذ ذلك الحين ويربط الإثنان رباط من المحبة قوى جداً .

فقال الأسقف البسيط للكهنة : ألم أخبركم بأننا سننتصر بنعمة المسيح ؟ فإذا إنتاب أحدكم أى مشاعر مريضة فليفعل كما فعلت وسينتصر.

قال الراهب الذى حكى القصة بأنّ الأسقف البسيط كان أكثر مجداً من الإمبراطور نفسه ، فالإمبراطور يمجده الناس فى حضوره أما الأسقف البسيط فتمجده الناس وتباركه فى حضوره وغيابه .

٢٠٨- قصة الراهب المملوء نعمة وما فعله مع أحد اللصوص

قال لنا أحد رؤساء الأديرة الآتى : كان هناك راهب صالح يعيش فى الديروكان رائع فى كل أموره الروحية كما كان يقيم بالقرب منه أحد الإخوة ، وفى أحد الأيام خرج الراهب تاركاً قلايته فأتى هذا الأخ وسرق كتب هذا الراهب وأدواته وآنيته وعندما أتى الراهب وجد كل أشياءه قد سُرقت فذهب هذا الرجل الصالح ليُخبر هذا الأخ بما حدث له فوجد كل حاجياته وأشياءه موضوعة أمامه فى مكان ظاهر وواضح ، فلم يُريد الراهب أن يسبب حرجاً وعاراً لهذا الأخ أو حتى يشعره بشئ من الإدانة لذلك تظاهر بأنه يشعر بآلام فى معدته وإنصرف مانحاً له بعض الوقت حتى يخفى ما سرقه رجع بعد ذلك الراهب إلى هذا الأخ وبدأ يحدثه فى أمورٍ أخرى ولم يتهمه بسرقة أى شئ .

مرت عدة أيام ووجدت أشياء الراهب وقبض على هذا السارق وقذف به فى السجن ، لم يعلم الراهب بما حدث ولكن عندما وصل إلى سمع الراهب ما حدث لهذا الأخ فإندهش ولم يعرف لماذا هو بالسجن ؟

يقول رئيس الدير : أتى هذا الراهب إلىَّ كالمعتاد ، وقال لى : إذا تفضلت يا أبى أعطينى بعض البيض وبعض الأرغفة من الخبز ، فقلت له : يبدو أن لديك اليوم ضيوف فأجاب الراهب قائلاً : نعم ولكنه فى حقيقة الأمر كان هذا الراهب سيأخذ هذا المؤن للأخ السجين ، وذهب بهذه الأشياء للسجن وعندما رآه الأخ السجين سقط عند قدميه باكياً وهو يقول : بسببك أنت يا أبى زُج بى فى السجن، فأنا من سرق منك أشياءك وأدواتك لكن إنتظر يا أبى فكتبك توجد فى هذا المكان وأدواتك فى ذاك المكان .

لكن الراهب قال له : تأكد يا بنى أن هذا ليس سبب تواجدى هنا ولا حتى لدى أدنى فكرة أنه بسببى أنا وُجِدت أنت هنا لكن بمجرد سماعى أنك هنا حزنت وجئت لأعزيك وأشدد من أزرك حتى أنظر معى بعض البيض وخبز أبيض ، وسأفعل أى شئ لأساعدك على الخروج من هنا .

ذهب الراهب الصالح وطلب تدخل بعض الشخصيات البارزة فى المدينة ممن كانوا يكنون له معزة خاصة وإحترام لما يتمتع به من خلق كريم وبالفعل تم إطلاق سراح هذا الأخ .

٢٠٩- قصة الأخوان اللذان يتمتعان بثمرة طول الأناة فى التعامل مع اللصوص

أخبرنا أحد الآباء الآتى : قام بزيارتنا أحد الرهبان الصالحين وبينما كنا نقرأ أقوال الآباء القديسين والمدونة بكتاب يسمى الفردوس (Paradise) ، كان هذا الراهب مغرم بقراءة أقوال الآباء القديسين والتبحر فى معانى كلماتهم وكان كمن يستنشق عطرهم وسيرتهم ويتغذى من ثمار روحهم وأثناء قراءتنا أتى ذكر أحد الآباء والذى أتى إليه بعض اللصوص وقالوا له : نحن هنا لنأخذ كل شئ فى هذه القلاية فأجاب عليهم الأب القديس وقال : خذوا ما تريدونه يا أبنائى فإستولى اللصوص على كل شئ بالقلاية وإنصرفوا ، ولكن كانت هناك حقيبة لم يلحظوها ، تقول القصة أن هذا القديس أخذ هذه الحقيبة وإنطلق خلف اللصوص منادياً : يا أبنائى خذوا هذه فقد أغفلتوا هذه الحقيبة فوقف اللصوص مندهشين من وداعة وطول أناة هذا الرجل فقاموا برد كل ما أخذوه منه وأعلنوا توبتهم جميعاً وهم يقولون لبعضهم البعض : بالحقيقة إن هذا الرجل هو رجل الله ،

وعندما إنتهينا من قراءة هذه القصة فقال لى هذا الراهب الصالح : أتعرف يا أبى أن هذا القول كان له تأثير عظيم على روحى .

قلت له : إلى أى مدى يا أبى ؟

لقد قرأت هذه القصة عندما كنت عند إقليم نهر الأردن فإمتلأت بالتقدير والإعجاب لهذا الأب القديس فقلت : أيها الرب الإله الصالح إجعلنى أحذو حذو هذا الأب القديس وإجعلنى مستحق أن أعيش مثل هذه الحياة ، فإمتلأ قلبى شوقاً لهذه الحياة ، ولم يمر إلا يومين وطرق بابى بعض اللصوص ، وبينما يطرقون الباب كنت على علم أنهم لصوص فقلت فى نفسى : أشكرك يا رب فقد أتت الفرصة لتظهر ثمار روحك فىَّ فذهبت وفتحت الباب ورحبت بهم بفرح وقلت لهم : لا تقلقوا فإعلموا أمام الرب أننى لا أخفى شيئاً قط .

فسألونى : هل معك ذهب ؟

قلت : نعم معى ثلاث قطع ذهبية فذهبت وفتحت الصندوق أمامهم فأخذوا الذهب وإنصرفوا فى سلام ، ولكننى سألته بإبتسامة : هل رجعوا إليك مرة ثانية كما حدث فى قصة القديس ؟ لكنه رد قائلاً ودون تردد : لا قدر الله لا لم يرجعوا ولا أريدهم أن يرجعوا .

٢١٠- لماذا توجد معجزات وأعاجيب يصنعها الرب فى كنيسته المقدسة ؟

تحدث أحد الآباء عن الأعاجيب الإلهية والتى يصنعها الرب فى الكنيسة حتى الآن وذلك بسبب المهرطقين الملحدين والذين يزدادوا كل يوم فمعظم هذه الأعاجيب بسبب طائفة ساويريوس أسيفالوس المهرطقة (Severus Acephalos) وباقى الطوائف المفسدة والمنبثقة عنهم ، فأعاجيب الرب هذه تحدث لتؤكد ضعف أرواحهم ، فكلما إستمروا على مواقفهم كلما حدثت المعجزات والأعاجيب كل يوم فى الكنيسة الجامعة ، وهو ما يحدث الآن وأمام هؤلاء المهرطقين يستخدم الرب الآباء القديسين والشهداء العظماء فى معجزاته.

٢١١- معجزة جرن المعمودية فى مدينة سويانا

فى قرية سورودا [Sorouda] على مقربة من مدينة سيونا [Coeana] كان هناك جرن يفيض ماء فى عيد الغطاس حيث يملأ نفسه تماماً ويستغرق ثلاثة ساعات حتى يُنهى مهمته وبعد المعمودية يبدأ فى تفريغ نفسه ثانية وتستغرق هذه العملية ثلاث ساعات أخرى .

٢١٢- معجزة أخرى للمعمودية فى قرية سيدرباط

فى قرية سيدرباط [Cedrebat] على مقربة من مدينة أوينواندا [Oenoanda] كان يوجد جرن يتكون من قطعة وحيدة من الحجر حيث كان عند كل عيد فصح يملأ نفسه بنفسه ويحتفظ بالمياه حتى عيد الخمسين وفجأة بعد عيد الخمسين يختفى الماء .

هاتان الأعجوبتان تقعان عند ضاحية مدينة ليشيا [Lycia] فمن لا يمكنه تصديق هذا فلا مشقة ولا تعب من القيام برحلة لهذه الضاحية ليتأكد بنفسه من هذه الأعجوبة .

٢١٣- بعض النصائح حول ألا تكون قاسى القلب أو أن تبقى على هذه القسوة

فى أحد الأيام وعندما كنت فى المدينة المقدسة جاءنى رجل يحب المسيح حباً لا يضاهيه حب قال : يوجد خلاف قد شب بينى وبين أخى ، وأخى يرفض مصالحتى وطلب منى أن أذهب لأخيه وأتحدث معه لأعرف الأمر .

تقبلت هذه المهمة بفرح وناديت على الأخ وتحدثت عن بعض الأشياء والأمور التى تنشئ نوع من الحب والسلام وكان يبدو أنه قد فهم قصدى وربما يتوافق معى فى وجهة النظر ولكن أخيراً قال : لا يمكننى التصالح مع أخى فقد أقسمت بالصليب ألا أفعل ذلك ، فقلت له مبتسماً : إن قسمك كما لو كان (يا يسوع أقسم بالصليب المقدس ألا أحفظ وصاياك بل سأفعل مشيئة عدوك إبليس) ، فالأمر ليس فقط أن نقوم بأعمال حسنة بل أيضاً أن نبذل الجهد حتى لا نسمح لجرح أرواحنا بالكراهية .

عندما أوحى الروح القدس لباسيل [Pasil] وقال : لو كان هيرودس [Herod] قد تاب ولم يحفظ إيمانه لما إرتكب هذا العمل الشائن وقطع رأس يوحنا المعمدان المبشر بالمسيح ، وأخيراً لقد وضعت أمامك رأى القديس باسيليوس والمأخوذ من الكتاب المقدس وهو عندما أراد المسيح أن يغسل قدم القديس بطرس الرسول بالرغم من أن الرسول بطرس رفض فى بادئ الأمر ولكنه بعد ذلك غير من رأيه يقول الحاضرين هذه المحادثة أن هذا الأخ عندما إستمع لهذا الكلام ذهب وتصالح مع أخيه .

٢١٤ـ أفضل النصائح من راهب وهى ألا يقترب الراهب من أى إمرأة

يقول أحد الرهبان : يا أطفالى يأتى الملح من المياه ويختفى ويعود إليه ثانية يذوب ويختفى ، وهكذا الراهب قد أتى من المرأة ولكنه إذا رجع إليها فإنه كأنه لم يكن ويموت .

٢١٥ـ الأب سيرجيوس قد غير من المزارع بطول أناته

أخبرنا الأب سيرجيوس [Sergios] رئيس دير الأب قسطنطين [Constantine] الآتى : عندما كنا فى سفر مع أحد الآباء القديسين ضللنا طريقنا ودون قصد أو حتى دون أن نعرف أين نذهب وجدنا أنفسنا وسط حقول مزروعة وقد دهست أقدامنا بعض النباتات الصغيرة لاحظ المزارع الذى يعمل هناك ذلك فغضب وقام بتوبيخنا ببعض العبارات مثل : هل أنتم رهبان ؟ أتخافون الرب ؟ لو كان بداخلكم شئ من مخافة الرب لما فعلتم ذلك ، وعلى الفور قال لنا الأب القديس : من أجل محبة المسيح ألا تجيبوا بشئ فبدأ هو بمخاطبة هذا المزارع وقال له : لقد أحسنت القول يا بنى لو كنا نخاف الرب لما قمنا بذلك إستأنف المزارع توبيخه بغضب وتعسف ، فقال له ثانية الأب : أنت تقول الحقيقة يابنى ، فإذا كنا رهباناً بحق لما فعلنا ذلك ، ولكن أنا أستسمحك ومن أجل المسيح إغفر لنا فنحن خطاة بعدها وقف المزارع مندهشاً مما يسمعه ثم أتى إلى الأب القديس وإرتمى عند قدميه وهو يقول : لقد أخطأت إغفر لى ، ومن أجل محبة المسيح خذنى معك .

يقول الأب المبارك سيرجيوس : فى الحقيقة قد تعبنا هذا الرجل وعندما وصلنا إلى الدير رُسِمَ راهباً .

٢١٦- الأخ الذى تصالح مع شماساً كان يسئ معاملته

قال لنا أحد الرهبان شيئاً من هذا : عندما كنت أقيم فى دير الأب جيراسيموس [Gerasimos] كان هناك شخصاً قريباً جداً لقلبى كثيراً ما كنا نجلس سوياً ونتحدث عن الأمور الروحية ، وأنا أتذكر الآن قول **للأب بيمن** [Poimen] : على كل شخص أن يحاسب نفسه على كل شئ ، فقال لى : يا أبى لقد إختبرت هذه الأقوال فى شدتها وفى قوتها ، وفى يوم ما كنت على علاقة حميمة مع أحد الشمامسة فى هذا الدير ولكن لسبب ما أتى لسمعه بعض الأشياء التى تخصنى فحزن وبدأ فى إساءة معاملتى ، وعندما رأيت هذه الإساءة سعيت لمعرفة أسباب هذه الإساءة ، ولكن هذا الشماس قال لى : لقد فعلت هذا وذاك ولأننى لا أعرف ما هذه الأشياء التى يتحدث عنها ؟ أخذت أؤكد له وأقول: أننى لا أعرف هذه الأشياء لكنه قال : سامحنى ولكننى غير مقتنع بما تقوله .

رجعت إلى قلايتى وبدأت أبحث فى داخلى عن هذا الشئ الذى فعلته فلم أجد شيئاً ، وحيث أنه كان يحمل القربان المقدس ويوزعه فقد أكدت له بمهابة هذا القربان أننى لا أعرف شيئاً عن هذه الأشياء التى أحزنته ولكنه مازال لا يصدقنى ، ومن هنا بدأت أفكر فى كلمات الآباء القديسين : على كل شخص أن يُحاسب نفسه على كل شئ ، فقد وضعت ثقتى فى هؤلاء الآباء وبدأت فى تغيير طريقتى فى التفكير قليلاً حيث قلت لنفسى : هذا الشماس الطيب يحبنى ويثق فىَّ وقد دفعه حبه لى وثقته فىَّ بأن يجعل منى حارساً على نفسى ويجب أن أتأكد من أننى لم أفعل مثل هذه الخطايا فى المستقبل ولكن يالها من نفس تعسة ، فبينما أقول لن أفعل هذه الخطايا مستقبلاً إلا أن هناك الألوف من الخطايا قد صنعتها ونسيتها ؟ أين الأمور التى صنعتها بالأمس أو منذ يومين ؟ هل تستطيع أن تتذكرها ؟ فهذا غير ممكن فالأمور الماضية لن يكون من السهل تذكرها كما تتذكر ما هو حالى وبذلك فهى تُنسى تماماً ، لذلك فقد أعددت نفسى وفكرى

بتقبل إمكانية وقوعى فى خطية ما ولكننى نسيتها كما نسيت الكثير منها ، ومن هنا شعرت بفضل الرب علىَّ وفضل هذا الشماس لأنه من خلاله جعلنى الرب أن أكون مستحقاً أن أدرك خطيتى وأتوب عنها ، وعندما وضعت هذه الأفكار بداخلى وفى قلبى نهضت وتوجهت لهذا الشماس لأقدم له العذر وأشكره على مساعدته لى على إدراك خطيتى ، وبالفعل توجهت لهذا الشماس وطرقت على الباب وعندما فتح لى إرتمى عند قدمىَّ وهو يقول : إغفر لى لقد خدعنى إبليس ببعض الأفكار التى تسئ إليك ولكن الرب أخبرنى أنك منها براء ، فقد قال ذلك ورفض أن يسمح لى أن أؤكد له إننى لن أفعل ما يسئ له حيث لا حاجة لذلك .

لقد تعلمت كثيراً من هذه الخبرة الروحية مع الرب وكلمات القديسين ، فمجدت الآب والإبن والروح القدس له القوة والمجد إلى الأبد آمين .

ملحق ببعض القصص كتبها ثيؤدور نيسان [Theodore Nissan] وإيبيديو ميونى [Epidio Mioni]

٢١٧- نيسان (١)

BHG 1442b[1]

عند بدايات حكم الإمبراطور تيبيريوس [Tiberius] القيصر القديس جئنا فى ذلك الوقت لجزيرة فى أقصى غرب طيبة [Thebaid] فى أعماق البرية ، وإنتشرت شائعات بأنه قد تم نفى نسطوريوس [Nestorios] إلى الأقاليم الشرقية لتجديفه وسبه للعذراء مريم الوالدة الحقيقة للإله كما قد جدف على كلمة الله وأنه قد تجسد دون خطية وولدته العذراء مريم وله الطبيعة الإنسانية منفصلة عن الطبيعة اللاهوتية ، فقد أرسل الإمبراطور أمراً بإستدعاء للأشخاص الذين يتبعون هذا المهرطق ويشاركونه المعتقد فى المساء وقبل أن يتجه نسطوريوس للنوم دخل المرحاض وأثناء وجوده فيه كان يصيح بصوت دوى حتى وصل ذلك لسمع الواقفين خارج الباب وهو يقول : سأريكم أن مريم

[1] Bibiotheca Hagiographica Graeca

قد أنجبت إنساناً وليس إلهاً ، وبمجرد أن سمعوا ذلك إنسحبوا جميعاً وذهب كلا منهم إلى بيته ، ولكن بالنسبة لهذا المهرطق وبينما كلمات التجديف تخرج من فمه وإذا بملاك الرب المنتقم يأتى على الفور ويضربه ضربة تقتله وهو فى مكانه حتى إنفجرت أحشاؤه خارج جسده جزاء تجديفه وأقواله الشريرة ، وفى الصباح أتى رسول الإمبراطور على عجلة وهو يقول هناك موعد نهائى لهذه المهمة ولا يمكننى الإنتظار، ونظراً لأن نسطوريوس لم يطلب أحداً وطبقاً لتعليماته لهم فكانوا الجميع بالخارج فى إنتظاره ، ولكن بالنسبة لجنود الإمبراطور فإضطروا للدخول بالقوة ، وإتجهوا لحجرة نومه إعتقاداً منهم أنه نائم وقرعوا على الباب ولكن لم يرد عليه أحداً وحيث أن باب الحجرة كان موصداً من الداخل مما إضطرهم لكسره حتى يتمكنوا من الدخول ولكنهم لم يجدوا أحد هناك ، فتوجهوا للمرحاض فوجدوه جالساً مكانه وهو ميت ، وعند سؤال خدمه ما إذا كان هناك توعك فى صحته أدى به لذلك لكن خدامه أجابوا قائلين : فى المساء طلب منا الإنصراف وهو فرح وسعيد ثم أوصد الأبواب كما وجدتموها وذهب للمرحاض وجلس هناك ، وعندما كنا جميعاً على وشك الإنصراف سمعناه يقول : لأريكم جميعاً أن العذراء قد أنجبت إنساناً وليس إلهاً، وبعدها كل من سمع هذا الهراء أدركوا أنه إختار لنفسه موت مرير كما قال النبى أرميا : " **لذلك هكذا قال الرب عن يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا . لا يندبونه قائلين آه يا أخى أو آه يا أخت . لايندبونه قائلين آه يا سيد أو آه يا جلاله. يُدفن دفن حمارٍ مسحوباً ومطروحاً بعيداً عن أبواب أورشليم**" (أر ٢٢ : ١٨ – ١٩) وكانت هذه نهاية هذا المهرطق نسطوريوس العاق وذهب إلى أبواب الظلمة الأبدية وإذ باللعنة تأتى عليه جزاء عمله وتجديفه .

٢١٨- نيسان (٢)

BHG 1442c

عندما إتبع أحد الرهبان طريق التوحد والرهبنة قام بتوزيع كل ما يملكه ولكنه إحتفظ بقطعة أرض فى مكان فريد فى موقعه كما كان هناك رجل علمانى

فى مركز مرموق لطالما طالب بإمتلاك هذه الأرض فكان يعرض على الراهب إما أن يبيعها له أو يستبدلها بقطعة أرض أخرى ، ولكن كلا العرضين لم يلقيا قبول لدى الراهب .

عندما أصبح هذا الرجل العلماني حاكم للإقليم وضع الراهب تحت ضغوط كثيرة وتهديدات حتى يتخلى هذا الراهب عن أرضه كما قام بنقل الماشية التى تخص الراهب لمكان آخر شعر الراهب بأنه عاجز عن صد محاولات هذا الحاكم وأخيراً قرر التوجه لأحد الرهبان النساك المقيمين فى المكان والمعروف بفضائله وقداسته ، فكان الراهب يعتاد زيارة هذا الراهب الناسك وكان يتعزى به ويباركه ثم يعود إلى قلايته مرة ثانية ، ولكن أمام تصميم الحاكم وإصراره على إمتلاك الأرض ذهب هذا الراهب إلى الراهب الناسك وقال له : من أجل المسيح ساعدنى وأكتب له أو إرسل له رسول ، وأخذ الراهب يلح فى طلبه وعندما إنزعج الراهب الناسك من إلحاح الراهب كتب خطاب للحاكم يقول فيه : هذا الراهب قد كتب ذلك ليتنازل عن أملاكه حتى لا يُظلم بسببها ، وبعدما كتب الراهب الناسك هذا الخطاب أخذه الراهب وإنطلق للحاكم وهو لا يعلم مضمون هذا الخطاب فذهب الراهب وسلم الخطاب للحاكم والذى إستقبله إستقبال النبلاء وقام بفتح الخطاب وقرأه .

ثم سأل الراهب : أتعلم ما المكتوب هنا ؟

فأجاب الراهب : هذا من أجل أن تكف عن إنتهاك أرضى .

فتعجب الحاكم من النعمة التى تملأ الراهب الناسك وبعدها إبتعد عن أرض هذا الراهب .

دعونا نتأمل هذا المثال لنرى صلاح الرب وطبيعة نعمه ، فهذا الناسك كتب رسالة لا تتضمن تهديد أو وعيد أو غطرسة بل على العكس رسالته قد خلقت نوع من الشفقة على صاحب الطلب .

نيسان (٣)

Nau 342[1]

قام بعض المفكرين بزيارة راهب وبعدما صلى لهم الراهب وصمت لبرهة وهو يجدل بعض الحبال ولم يعيرهم أى إهتمام ، فإلتمسوا التحدث معه قائلين : قل لنا شيئاً يا أبى ، ولكنه بقى على صمته وسلامه ، فقالوا : هذا هو سبب مجيئنا إلى هنا لكى نسمع منك ما يفيد أرواحنا .

قال الراهب : لقد تكبدتوا الأموال لتتعلموا كيف أن تتكلموا أما أنا فقد تركت العالم لأبقى صامتاً .

إمتلأ الحاضرون دهشة مما يسمعوه وذهبوا وهم يمجدون الرب .

٢١٩ـ نيسان (٤)

BHG 1440 r

أخبرنا أحد الآباء أنه فى مدينة تسالونيكى [Thessalonica] كان يوجد دير للعذارى تعرضت إحداهن لأعمال الشيطان فكان يدفعها لتترك الدير وقد حدث بالفعل دبر لها المكائد حتى تركت الدير وإنغمست فى الخطية ، فكان يهزأ بها إبليس ويضحك ساخراً مما وصلت إليه إستمرت تلك المرأة فى الخطية لفترة قصيرة ولكنها سرعان ما عانت من تأنيب الضمير وتدخل الرب الصالح فى حياتها مرة ثانية حتى أتت لتعلن توبتها وتدخل الدير مرة ثانية ، وهى فى طريقها للدير وعند مدخله سقطت هذه المرأة ميتة ، وإكتشف أحد الأساقفة المباركين موتها ، وقد رأى ملائكة الرب قادمون ليتسلموا روحها وكان ذلك فى وجود بعض الشياطين ، وقد شهد هذا الأسقف القديس حوار دار بين كل من الملائكة والشياطين .

تقول الملائكة : لقد أتت للتوبة ، ولكن الشياطين يقولون : لكنها خدمتنا لفترة طويلة وإستمر هذا الخلاف والجدل لفترة من الوقت بعدها قال الشياطين معوقى

---

[1] Histoire des solitaires

الصلاح : لكنها لم تقترب من دخول الدير كيف لكم أن تقولوا أنها تابت عن خطيتها ؟

ولكن كان رد الملائكة على هذه النقطة : حيث أن الرَب قد رأى إتجاه قلب الفتاة فقد قبل توبتها كما أنها كانت عاشقة للتوبة وقد جاءت بفضل هذا الهدف والذى وضعته هذه المرأة أمام عينيها وهو رب هذه الحياة وسيد كل شئ ، بهذه الكلمات وضعت الملائكة العار على الشياطين فإنسحبوا منهزمين ، وقد أخبر هذا الأسقف القديس بعض الناس عن تلك القصة والتى إنتقلت منهم إلينا ثم قمنا نحن بإخبار غيرنا بها مثلكم أنتم .

أيها الإخوة من هذا الحوار بين الملائكة والعدو علينا أن نتعلم كيف نصون أنفسنا من أى أفكار نجسة ؟ بل وعلينا أن نحارب ونقاوم هذه الأفكار ولا نستسلم لها وخاصة فيما يتعلق بإغواء الخروج من الدير والحياة خارجه خشية أن نقع بجهالة فى براثن العدو .

٢٢٠- نيسان (٥)

BHG 1440 q

قال أحد الآباء : عندما كنت بمدينة الإسكندرية ذهبت لأزور مزارات الشهداء لأصلى هناك فرأيت أرملة محبة للمسيح تلبس ملابس الحداد وبعض الأولاد والبنات الذين تخدمهم ، ورأيتها تتحدث لأحد الشهداء عند المزار بإحتداد وهى تقبض بيدها على أعمدة المزار الحديدية وتقول : أيها السيد لقد هجرنى أيها العالم بى وبحالى أيها المعلم يا محب الإنسانية كانت هذه المرأة تصلى وهى تصرخ وتبكى بكاءاً حاراً ، وعندما إنتهيت من صلاتى بدأت أنتبه لها وقد إهتز قلبى وكل مشاعرى من بكاءها وصراخها ، فإفترضت أنها قد تكون تحت ضغط أو إضطهاد من أحد الأشخاص ولأنها وحيدة وأرملة ، وحيث أننى كنت قريب لأحد المسئولين بالمدينة إنتظرت حتى إنتهت من صلاتها وقمت بالنداء على أحد الأولاد الذين برفقتها وقلت له : نادِ على سيدتك لأتحدث معها ، وعندما إقتربت منى قلت لها ما أفترضه بشأن حزنها الشديد ولكن المرأة

إنفجرت ثانية فى البكاء وقالت : آه يا أبى أنت لا تعرف ما هى مصيبتى؟ فقد هجرنى الرب ولم يعد يفتقدنى ، واليوم وقد مر ثلاث سنوات ولم أمرض قط ولا أحد من أبنائى ولا أى خادم ولا أى شخص فى منزلى ، فأنا أشعر أن الرب قد أدار وجهه بعيداً عنى فلابد أننى خاطئة ، ولهذا فإننى أبكى هذا البكاء لعل الرب يفتقدنى رفقة بحالى وهذا سيكون قريباً جداً ، فتعجبت من سمو روح المرأة فصليت من أجلها وعزيتها وذهبت فى طريقى أمجد الرب .

٢٢١- نيسان (٦)

BHG 1440 s

قال أحد محبى المسيح : عندما قمنا بزيارة دير أحد الرهبان القديسين فى طيبة [Thebaid] وعندما وصلنا عند الدير وإذ بمجموعة من الكلاب الضخمة والذين يستخدمونهم رعاة الغنم ويقفون أعلى سور الدير إنتابنى الرعب وأردت أن أقفز من على ظهر الخيل وأسير على الأقدام ولكن الذين كانوا معى ممن لديهم خبرة مسبقة مع نباح الكلاب قالوا لى : لا تترك حصانك أيها السيد ، فهؤلاء الكلاب يحفظون أمر الأب الراهب ولن ينزلون أسفل السور وعند دخولنا الدير صلى لنا الآباء هناك ، وأحضرونا عند عين ماء بينما ترنم الترانيم هناك وكان الجمل الذى يحضر الماء واقفاً ساكناً مكانه لا يتحرك ، وعندما قمنا بسؤالهم لماذا يبدو هذا الجمل ساكناً ولا يتحرك هنا أوهناك ؟ أجابوا الحاضرين: أن أبانا قد أمره بألا يتحرك فى وقت الترنيم وبعد سماع القرع على الأخشاب (هى العلامة المستخدمة فى الكنائس فى ذلك الوقت ليجتمعوا للصلاة) وحتى إنصراف جميع المصلين والمرنمين لأنه ذات يوم كانت ترنم الترانيم ، ولم يستطع حارس العين أن يسمع قرع الأخشاب بسبب صوت الماكينة المستخدمة لسحب المياه ولم يذهب للكنيسة ، فأتى الأب الكاهن لحارس العين وقال له : لماذا لم تأتى للكنيسة حيث الوقت المخصص للكنيسة ؟ فقال حارس العين : إغفر لى يا أبى فضوضاء الماكينة قد منعنى من سماع إشارة بدأ الصلاة بالكنيسة .

إلتفت الأب للجمل الذى يقوم بسحب المياه وقال له : فليباركك الرب عند سماع قرع أخشاب الكنيسة لا تتحرك حتى ينصرف الجمع ، فحفظ الجمل الوصية وحتى عندما يأتى جمل آخر أو حتى حيوان آخر للمكان ويربط فى ماكينة سحب الماء يحفظ نفس الوصية سمعنا هذا وإنصرفنا نمجد الرب .

٢٢٢- نيسان (٧)

BHG 1448i / 1440kt

كان فى طيبة رجل إسمه بولس [Paul] إعتاد زيارة كنيسة الرب الجامعة المقدسة فى الليل وفى النهار، وعندما رأى ذلك بعض الأشخاص المجتهدين والذين كانوا يرافقونه قالوا للأب بولس : ليس لديك أبوين ولا لديك رغبة فى الزواج لِما لا تسلك حسب طقوس الرهبنة ؟ فقال لهم الرجل : خير قول ما قولتموه فرحل الرجل من المكان ومكث بمفرده داخل قلاية وأمضى وقته فى الحياة التقشفية والعمل الشاق ، ولكن هذا الراهب البسيط كان يتسم بشئ من السذاجة ، وعندما رأى إبليس أى نوع من البشر هذا الراهب أراد أن يستغل هذه السذاجة لصالح أعماله الشريرة ، فتخفى فى شكل ملاك قادم ليتنبأ له بشئ ليخدعه ويضل طريقه ، وعندما علم الشيطان أنه قد تمكن من هذا الراهب البسيط قال له : يسوع المسيح فرح بك وبطريقتك فى الحياة وسوف يأتى إليك غداً ليمنحك عطية ، وعندما يأتى ستخرج من قلايتك وصلى له وعندئذ ستأخذ عطيتك ، وفى اليوم التالى وعندما خرج الراهب من قلايته رأى درجات فوق درجات من الملائكة وعجلة من النار وفى وسط هذه النار شخصاً يمثل شخص المسيح ، وعندما خفض الراهب رأسه أمام هذا الشخص ليصلى له وإذ بصفعة قوية تضرب وجهه حتى تقذف به فى الجهة الأخرى من المكان حتى لا يصلى، وعندما سقط الراهب على الأرض أخذ يصلى وبعدها هذا الجمع المبهر والمزخرف بعجلة النار قد إختفى هنا أدرك الرجل أن هذه مكيدة من إبليس لم يترك الرجل مكانه وأخذ يذرف الدمع ليومين ليلاً ونهاراً وهو يقول للرب : واأسفاه كم أخطأت لقد أخطأت إلى الرب قد حطمت كل حياتى مع الرب ترى ماذا أفعل ؟

كان فى ذلك الوقت يوجد أحد النساك ذات صيت طيب كما سمع الراهب عنه الكثير كان هذا الناسك يعيش وحيداً فى أحد الحقول فى طيبة العليا لبعض الوقت، فقرر الراهب الذهاب إليه وأن يحكى له كل ما حدث له ، وعندما ذهب الراهب إلى مكان هذا الناسك أحفى رأسه فى إذلال نحو الأرض خجلاً ثم سقط أمامه وهو يقول : لقد أخطأت إغفر لى وصلى من أجلى ، فصرخ الناسك فى وجهه وهو يقول : لا تأتى إلى هنا ، فأنت محل سخرية الشياطين لا تقترب أخذ الناسك يوبخ الراهب ويعنفه بعبارات مماثلة وإستمر الراهب ممدداً على الأرض أمامه وهو منهمر فى البكاء أخيراً أشفق الناسك على هذا الراهب كما تأسف لما حدث له ، فأراد الناسك أن يسدى له النصح فقال : يا بنى إذا أردت إكتساب مهارة ما أو صنعة ما أو أى أموراً أخرى فلا تتوقع أنه بذهابك لأحد الحرفيين ستجعله يقدم لك سر صنعته دون عناء منك عليك يا بنى أن تذهب وتقيم فى قلايتك الخاصة ودون حتى أن تعرف أحداً ما أنت بصدد القيام به ، ويجب أن تعلم أنه إذا لم يكن الله قد ساعدك بالفعل بروحه القدوس أمام (المركبة النارية) لكنت قد نُمرت تماماً وفقدت عقلك وصرت هائم بين المدن كمن بداخله أرواحاً نجسة ، فلهذه الأشياء جميعاً عليك أن تشكر ربك الذى أعادك لهذا الدير ، فأخذ هذا الرجل القديس الراهب لأحد الأديرة فى مدينة طيبة وسلمه للكاهن وقال له : أعهد إليه أعمال الطهى لسبع سنوات حتى يمكنه تنفيذ وصايا الرب يسوع المسيح وأيضاً خدمة باقى الإخوة ، وبعدها قال للراهب بولس بعد سبع سنوات سآتى إليك مرة ثانية وأتحدث معك ، وعندما أتم بولس السبع سنوات جاء إليه الراهب الناسك مرة ثانية وقال له بولس : أعطنى قلاية خارج الدير، وحيث لا يوجد فى مدينة طيبة الكثير من القلايات فقد كان هناك عدد محدود منها يعيش بداخلهم بعض الرهبان النساك ، فمن كان منهم قد كبر سناً وهو فى حياة التقشف وأيضاً لكبر سنه فكان يعيش فى القلاية خمسة أيام فقط ويدخل الدير ويعيش يومى السبت والأحد مع باقى الإخوة ، فقال الراهب الناسك لبولس ثانية: إذهب وإقض سبع سنوات أخرى فى قلاية أحد الرهبان النساك وسأعود إليك مرة ثانية ، فعل بولس ما أوصى به الراهب الناسك القديس وبالفعل أتى إليه الراهب الناسك بعد سبع سنوات أخرى ، فقال له بولس : ما الذى توصى به الآن ؟

فقال له الراهب الناسك : أنت لم تعد بحاجة إلىَّ ، فقد سكن الروح القدس داخلك وسيكون هو مرشدك ومعينك ويعلمك كل الأشياء .

كان قول هذا الناسك شرف وفخر للراهب بولس فذهب بعده لدير سكيتى [Scete] فقابله أفراد الدير وطلبوا منه بإلحاح البقاء معهم وأخذوه ليقيم معهم ، وقد تعزى بولس كثيراً بالإقامة مع هؤلاء الإخوة ولكنه بعد فترة تركهم وذهب نحو البرية ، فقمت أنا وثلاث آخرين (من بينهم أبى وهو رجل مسن) قمنا جميعاً بزيارته ، وكانت حياته بالفعل حياة تقشف فلم يكن لديه لا خبز ولا ماء ولا أى شئ قد يحتاجه الجسد ، فكان لا يتذوق شيئاً طوال خمسة أيام بالأسبوع رغم أنه كان ضخم الجثة ، وأخبرنا أنه لم يحضر ماء قط فى قلايته لكن كلما أتى أحد لزيارته وكانت حرارة الجو فى ذروتها ويشعرون بالعطش فكان يقف ويصلى ، فتمطر المياه وتتدفق فى نفس الموضع الذى يصلى فيه فيشرب الناس ويطفئون ظمأهم ويمجدون إلههم .

٢٢٣ـ نيسان (٨)

BHG 1322n

أخبرنا الراهب الناسك الكاهن باسيلى [Basil] الذى أصبح فيما بعد راهباً فى دير نيو لافرا [New Lavra] أخبرنا أنه سمع بعض من محبى السيد المسيح وهم يسردون إحدى عجائب الرب وهى :

كان يوجد فى أرض فلسطين قرية معروفة وكان سكانها من المسيحيين واليهود كانت تشمل الكثير من العائلات العريقة والذين تسلموا عاداتهم وتقاليدهم من آباءهم وأجدادهم السابقين وفى كل يوم وفى الصباح الباكر يجمعون المواشى والحيوانات ويقوم كل عائل أسرة بإرسال إبنه أو خادمه مع ما لديه من حيوانات ليرعى ، وكان الشباب من هذه العائلات يأخذون تلك الحيوانات ومع ما يكفيهم من مؤن وينطلقوا بهم ، فكان الجميع يبقى فى الحقول والمراعى حتى المساء أى بعد غروب الشمس وبعدها يعود كل منهم إلى منزله ومعه مواشيه .

قصة مشابهة لقصة تم ذكرها من قبل : فى أحد الأيام وعندما إنطلق الجميع ليرعى كما إعتدنا ، وفى وقت الغداء تجمع الرعاة ليتناولوا الأطفال طعامهم ، فقال الأطفال المسيحيين لبعضهم البعض : هيا نقوم بالتناول كما يفعل الكهنة فى الكنيسة ، وقاموا بإختيار أحدهم ليلعب دور الأسقف كما عينوا آخر ليكون كاهناً وثالث ليكون شماساً والباقى مساعدين للشمامسة وإختاروا بعض منهم ليكونوا قارئين للكتاب المقدس (إبصالتس) ووضعوا قطعة كبيرة من الصخور الملساء لتكون بمثابة المذبح وأحضروا طعامهم ليكون هو الذبيحة ، وفى ذلك الوقت كان برفقتهم غلام وهو إبن لكبير الحاخامات اليهود ، فأخذ هذا الغلام يطلب بإلحاح أن يشاركهم اللعب وهو يقول : إسمحوا لى أن ألعب معكم فيمكننى التناول كما تفعلون ، ولكن جميع الأطفال رفضوا وقالوا له : لا يمكنك اللعب معنا فأنت يهودى ، فقال لهم : فيمكننى أنا أيضاً أن أكون مسيحياً فأجابوا الأطفال عليه : إذا أصبحت مسيحياً سنقبلك معنا .

وافق الغلام على أن يكون مسيحياً فقام الأسقف الطفل بتعميده بعدما أحضروا إليه بعض الماء للمعمودية ، وقام الجميع بأداء كل ما يتم فى الكنيسة خلال القداس وقاموا بوضع الخبز وصلوا وعند إتمام القداس وعند قول : قدوس أتت نار من السماء وإلتهمت كل شئ موضوع على المذبح فإرتعدوا الأطفال وسقطوا جميعاً على الأرض كالأموات .

أتى المساء رجعت جميع الحيوانات والمواشي كلٍ إلى صاحبه أما الأطفال فلم يعود أى منهم لمنزله وإستمروا هكذا ، وفى الصباح الباكر من اليوم التالى ذهب كل أهالى الحى ليبحثوا عن الأطفال فوجدهم ملقين على الأرض كالأموات ، فحمل كل شخص طفله ورجعوا لمنازلهم ولكن الأطفال لم يستردوا وعيهم إلا بعد ثلاثة أيام ، وبدأ الآباء فى سؤال الأبناء عما حدث لهم فإعترف الأطفال بما فعلوه بالضبط .

أما بالنسبة للولد اليهودى فقد أرسل أحد الأشخاص خبز التقدمة لأبيه الحاخام ودعا إبنه ليتناول معه ولكن الإبن رفض أن يأكله وهو يقول : لقد أصبحت مسيحى ولن آكل من هذا أبداً جن جنون الحاخام مما يسمعه من إبنه

وقرر أن يُذيق إبنه مرارة الموت ولكن الرب وهو الرقيب على ما يحدث يقول: " فإن فاحص الكلى والقلوب الله البار" (مز٧ :٩) فقد علم الرب بما يدور فى قلب هذا الرجل القاسى من أفكار شريرة ، فأراد الحاخام أن يستغل شكوى قاضى المكان والذى يسمونه الأهالى الأمير ضد حارس أحد الحمامات العامة والذى طالما إستاء منه الناس وإشتكى منه قاضى المكان فيتهمونه بالإستخفاف بالأوامر والتعليمات وعدم حفاظه على درجة حرارة مياه الحمام حيث أن الأمير قد قال له فى أحد المرات : منذ متى وأنت تخدعنا هكذا ؟ ففى كل مرة آتى إلى هنا أجد المياه باردة ، فإنى أقسم بالله العظيم إذا لم تتبع التعليمات وإذا وجدت المياه باردة سآمر بقطع رأسك ، فتعهد هذا الحارس بتنفيذ أوامر الأمير خشية قتله وكان هذا الحاخام فى ذلك الوقت على علم تام بما يحدث ، وأدرك أنه يجب عليه أن يستغل هذه الفرصة الشيطانية ، فأرسل فى طلب حارس ذلك الحمام (كان هذا الحارس مدين للحاخام بعشر قطع ذهبية) وقال له الحاخام : أنت مدين لى بعشر قطع ذهبية ، فأجابه : نعم ، فقال له الحاخام : إذا أديت المهمة التى سأعهدها لك لأعفيك من هذا الدين بإذن كتابى .

فقال الحارس : سأفعل ما تطلبه منى مهما كان الأمر حتى تعفينى نقل هذا الدين وتحررنى منه .

قال الحاخام الكاذب : عرفت أنك تسلمت أمراً من الأمير بأن تشعل موقد الحمام، فأنا أريدك أن تخبرنى متى ستشعل موقد الحمام وأنت على وشك غلقه ، فإننى لدى طفل قد أثار غضبى لذا فالشخص الذى سأرسله لك ليسأل : هل أعددت الحمام ؟ أقبض عليه وأقذف به فى الموقد ، فأنا أريد أن أغير من أفكار إبنى الشريرة .

سمع الحارس هذا الكلام ووافق على فعل أى شئ على أمل أن يتخلص من ديونه ، وذهب الحارس لمكان عمله وخوفاً من غضب الأمير وتهديداته قام بإشعال نار الموقد حتى أصبح أكثر حرارة مما سبق وعندما شعر بأنه الوقت المناسب لغلق الموقد فأرسل رسالة للحاخام والذى على الفور أرسل إبنه ليسأل: هل أعددت الحمام ؟ فقال الحارس : نعم يا سيدى أكثر مما ينبغى ، وإذا

لم تصدق أنظر بسرعة ، وقبض على الطفل وقذف به فى الموقد وأغلق عليه الباب ورحل .

أتى الأمير للحمام فوجد المياه باردة أكثر من الأيام السابقة ، فنادى على الحارس وقال له : ألم أخبرك بأن تشعل الموقد فى هذا المكان جيداً ؟ لماذا لم تطيع الأوامر؟ بل أن الحمام أكثر برودة مما سبق ؟

أقسم الحارس : لقد ضاعفت مقدار الحطب ثلاث مرات أكثر من المعتاد حتى لا أحزنك ولكن لا أعرف كيف تسير الأمور هكذا ؟ فإن لم تصدق شهادتى هذه إئت بنفسك لترى الموقد وسوف تعرف كمية الحطب التى وضعتها داخل الموقد، فذهب الأمير معه ليتأكد من هذا القسم وهو يشتعل غضباً ، وعندما أزال الحارس غطاء الموقد وجد الطفل جالس هناك لم يصبه أى أذى كما لو كان يستمتع بالإقامة فى هذا المكان ، فسأل الأمير الحارس : كيف لهذا الطفل أن يأتى ويدخل هذا المكان ؟ كيف تبرر وجود هذا الطفل هنا ؟

قام الحارس بسرد كل القصة للقاضى وقال ربما أن الطفل قد قذف به ظلماً فى هذا الموقد لذلك قد خمدت النيران ، ولكن هذا القاضى خلص فى نهاية الأمر إلى أن كل ما يقوله هذا الحارس لا يمت للحقيقة بصلة وقال له : إئت ببعض الخشب وأشعل الموقد تماماً فى حضورى ، وفى أثناء تحضير الموقد بوضع المزيد من الأخشاب والفحم وإشعاله سأل الأمير الغلام لماذا قذف بك داخل الموقد ؟ ولكن عندما علم من الطفل أنه قد أصبح مسيحياً ولم يرغب فى تناول الطعام اليهودى غضب الأمير مما يسمعه من الطفل وأخذ يصب اللعنات على المسيحية ، وحمل الطفل وقذف به داخل الموقد وهو يقول : لقد سلمت فى المرة الأولى بالسحر والشعوذة ولكنك هذه المرة لن تفلت من يدى ولكن كما يقول داود النبى فى المزمور : " **الرب قريب لكل الذين يدعونه . الذين يدعونه بالحق** " (مز ١٤٥ : ١٨) ووضع الطفل داخل لهيب الموقد كما حدث من قبل ولكن الطفل بقى آمن لم يصب بأى أذى بل وعلى العكس أصبح الحمام أكثر برودة مما سبق كما لو كان بقى أسبوعاً كاملاً دون إشتعال النيران بداخله ، فذهل الأمير عند فتح الموقد ورؤية الطفل يجلس مستريحاً بداخله ولا يوجد ثمة

رائحة لأى حريق داخل الموقد ، فإرتبك الجميع من غرابة تلك الأعجوبة ، فإنطلق الأمير ركضاً لينقل ما حدث لشخص آخر يطلق عليه المستشار وعند سماعه لما حدث أتى على الفور للقرية وأمر بأن يشعل الموقد ويلقى بالولد داخله أمام عينيه وقام بوضع ختم على الأبواب كما وضع عدد من الحراس وبعدها دخل الحمام وفتح فوهة الموقد ووجد الطفل جالس بالداخل فى حالة جيدة والمكان إزداد برودة كما إنه لم يلحظ أى رائحة للحريق بعدها أخذ الطفل وسأله : إبن من يكون ؟ وعندما علم أنه إبن حاخام كاذب ومنافق كما علم ما حدث للطفل عندما كان يلعب مع الأطفال فى المراعى ، وأن كل ما حدث سببه هو إلتزام الطفل بكونه مسيحى ولم يسمح لنفسه بأن يلوث نفسه بأكل طعاماً ملوثاً من والديه ومن أجل هذا عاقبه والده هذا العقاب المميت إستمع المستشار إلى كل هذه التفاصيل وقد علم أيضاً أنه قذف به ثلاث مرات داخل هذا الموقد فلم يؤذى بل كان بالنسبة للولد كبابل مدينة الترف فى العصور الماضية بعد سماع كل هذا أتى المستشار بوالد الطفل وقال له : ما عذرك حيال عملك القبيح والشرير والذى قمت به ؟

هل كنت تعتقد أنه يمكنك الإختفاء بعيداً عن أعين الله والناس معاً ؟

ولكن الله عالم بالأعمال الشريرة والمقاصد السيئة لذا فهو لم يتمم ما فعلت بل وعلى العكس بل أدان روحك المتوحشة لو كنت نجحت بقساوة قلبك أن تفعل ذلك مع فلذة كبدك وأذقته الموت المرير لكنت رأيت بشاعة ما قمت به، وأردت إستخدامنا لنكون أدوات تنفيذ جريمتك إذن فستذوق الموت نتيجة فعلتك هذه فقد فعلت شئ يفوق ما يفعله الشيطان .

أرسل المستشار فى طلب أن يعدم هذا الحاخام خارج القرية وفى مكان مقفر ليكون طعام للحيوانات المفترسة .

كما أيضاً قام بإستدعاء الأطفال الذين كانوا يلعبون مع هذا الطفل اليهودى الأصل وعلم منهم بالضبط ما حدث وبعدها وضعهم جميعاً فى أحد الأديرة عاهداً لكل منهم ليكون بالفعل الدور الذى سبق وأداه فى اللعبة ، فمن كان يلعب دور الأسقف أصبح أسقف ومن كان يلعب دور الكاهن أصبح كاهن

وبالمثل مع الشمامسة ومساعديهم والإبصالتس كما أمر بتقديم مساعدة ودعم لكل منهم حسب المرتبة التى عليها ، فالرب خالق الأشياء جميعاً قد أراد بالسماح بمثل هذه التجربة أن تحدث لتدعيم المسيحيين ومؤازرتهم وتخبر جميع الشعوب الذين يعادوننا ويختلقون الكراهية والتى مصدرها إبليس والذى بث كراهية لإلهنا يسوع المسيح والذى نؤمن به إيماناً حقيقياً ، وبذلك تتحقق نبوءة الرب لمن قد يحتاج ليفهم ويدرك " **أنا قد أتيت بإسم أبى ولستم تقبلوننى . إن أتى آخر بإسم نفسه فذلك تقبلونه** " (يو ٥: ٤٣) وكذلك "**فقلت لكم إنكم تموتون فى خطاياكم. لأنكم إن لم تؤمنوا إنى أنا هو تموتون فى خطاياكم**" (يو ٨ : ٢٤).

٢٢٤- نيسان (٩)

BHG 1450ze

كان بعض الإخوة والشمامسة فى طريقهم لحضور القداس والتناول فى أحد الأديرة فقام كل واحد منهم بإرتداء بدرشيله ولكن أحد الشمامسة لم يجد ما يخصه وبعد بحث طويل قرروا أن يخبروا الكاهن المسئول عن المكان والذى قال لهم : إبحثوا ثانية وبعد المزيد من البحث وعجزهم فى التوصل لمكانه ولغرابة الموضوع قال الأب : يبدو أننا نعيش مع لصوص ويشهد الإله الحى بأنه لن يذهب للتناول ولن يسمح لأحد بالتناول أو حتى بالطعام ما لم يجدوا هذا السارق وذهب الأب الكاهن مع الشمامسة للبحث عن هذا البدرشيل داخل قلايات الإخوة وكان فى ذلك الوقت الإخوة جميعاً موجودين فى الكنيسة ، وكان سارق هذا البدرشيل جار لأحد الإخوة ذوى السمعة الطيبة وتقى فى روحه فقال السارق لهذا الرجل : إنى فى مأزق ! كم من العذاب سأذوقه!

قال الراهب التقى : لماذا ؟

قال السارق : أنا من سرق البدرشيل وهو فى قلايتى داخل جرة نبيذ لأحضر نبيذ من غزة .

قال الراهب التقى : لا تقلق نفسك يا أخى إذهب وأحضر هذه الجرة لقلايتى ، فذهب السارق وأحضر إناء النبيذ لقلاية الراهب التقى وعندما أتى الكاهن ومعه

الشمامسة لقلاية الراهب التقى ، فوضع أحد الشمامسة يده داخل الجرة ثم أخرجها وهو يمسك بالبدرشيل المسروق ، فصرخ الشماس وهو يقول : لقد تحول الرجل التقى نقى القلب إلى سارق ، فذهبوا جميعاً للكنيسة حيث يجلس هذا الراهب وقبضوا عليه وأوسعوه ضرباً ثم سحبوه وطردوه خارج الدير، فأخذ يتوسل إليهم ويقول : إسمحوا لى بالتوبة ولن أفعل ذلك ثانية ، ولكنهم قالوا له وهم يقذفوه خارج الدير : لا يمكن أن يكون بيننا لص ، فذهب الجميع ليحضروا القداس ، وعندما أتى الكاهن ليسحب الستر فلم يتحرك تعجب الجميع وحزنوا لإنه لا يوجد عائق يمنع الستر من الحركة وعندها تنبه الأب إلى السبب وقال لنفسه : ربما يكون السبب هذا الراهب الذى طردناه للتو فيجب علىَّ الذهاب وإحضاره إلى هنا لنعرف السبب ، وبالفعل عندما أتى هذا الراهب قاموا بسحب الستر فسُحِب بسهولة ويسر ، فأدرك أنه قد فدى جار له ، ويمكن القول هنا أنه يجب بلوغ هذه القامة الروحية حتى لو كنا بالفعل لا نتكلم بالسوء على الغير أو ندينهم ، وذلك حتى لا نبعد بعيداً عن الفرح الذى ينتظر القديسين .

٢٢٥- نيسان (١٠)

BHG 1442cb

قابلت أب كاهن غريب كان من بين الآباء حيث قال لنا حكاية رمزية أو مثل على النحو التالى : قام بعض الأشخاص من بلدتى بحفر حفرة ليوقعوا بالأسود ولكن ما حدث أن وقعت فى هذه الحفرة أنثى ثعلب وكان من الصعب على هذه الثعلبة أن تخرج من هذا الفخ المنصوب ثم أتى من نصب هذا الفخ ليلقى نظرة على الفريسة ، فقررت الثعلبة بأن تخدع هذا السيد وأن تتظاهر بأنها ميتة ، فنزل السيد إلى الحفرة التى صنعها وأمسك بذيل الثعلبة وألقاها بعيداً ، فإنطلقت الثعلبة هاربة .

مرت عدة أيام ورأت الثعلبة أن ثعلبة أخرى قد وقعت فى نفس الفخ وتحاول الخروج فكانت تتحرك يميناً ويساراً وإلى أعلى ولكنها تفشل فى كل محاولة ، فأتت إليها الثعلبة الأولى وقالت لها : لقد فعلت نفس ما فعلته من جهد

ومشقة لأخرج من هذا الفخ ، ولكن لولا أننى أمت نفسى لما إستطعت الخروج من هنا لذا أيها الإخوة علينا أن نمت أنفسنا حتى نخرج من فخ العالم .

٢٢٦- نيسان (١٢)

BHG 1450p

يوجد أربعة طرق مختلفة للخدمة الإجتماعية بسوريا العظيمة ، وكان يوجد رجل تقى من محبى المسيح هو المسئول عن تلك الخدمات كما كانت طريقته فى تقديم العطايا ومساعدة المحتاجين هو تقديم الشئ الذى يحتاجه الفرد بالفعل ، وكان يقوم بشراء الأشياء التى قد يحتاجها الفقراء ، ومن بين هذه الأمور كانت لديه عادة وهى أن يرتدى عدداً من الملابس الكتانية المصرية الصنع ليعطيها لمن فى حاجة إليهم محتذياً بشخص المسيح وإعلانه " **كنت عرياناً فكسوتمونى . مريضاً فزرتمونى . محبوساً فأتيتم إلىَّ** " (مت ٢٥: ٣٦) فأتى أحد المحتاجين إليه وهو يوزع هذه الملابس وأخذ واحدة منهم وكرر هذا الشخص هذا الأمر مرتين وثلاثة ، وعلم محب المسيح هذا وخادمه أن ذلك الرجل قد أتى ثلاث مرات وأخذ ثلاث ملابس فقرر أن يتحدث معه ، وفى المرة الرابعة وبينما خادم المسيح يوزع العطايا أتى هذا الرجل فإنفرد به الخادم وقال له : أنظر لقد أخذت عطيتك ثلاث مرات وفى المرة الرابعة لم تسمع شئ منى ولكن لن تأتى ثانية فيما بعد فهناك الكثير من الفقراء مثلك ويحتاجون لهذه العطايا فإنسحب هذا الرجل الفقير فى خجل وهو يشعر بالعار، وفى الليلة التالية رأى خادم الرب نفسه يقف فى مكان من أقدس الأماكن ويدعى شيروبيم (Cherubim) ويوجد فى هذا المكان المقدس صورة أيقونة رائعة الجمال تحمل صورة المخلص يسوع المسيح ، وأثناء تواجده فى هذا المكان وبينما هو فى حالة من التأمل وإذ بالمسيح قادم إليه من قلب هذه الأيقونة وهو يوبخه ويلومه على فعلته مع الرجل الفقير فصمت المسيح وأزاح عنه ملابس الكهنوت وأراه كم من الملابس التى يرتديها وقال : أنظر واحد .. إثنين .. ثلاث وأربعة ألا تشعر بالخجل ، فعندما تقدم هذه الأشياء للفقراء تكون أعطيتنى أنا ، فنظر الخادم لنفسه وسقط عند قدمى يسوع وهو يقول : سيدى إغفر لى غلاظة قلبى، فقد أقمت حساباتى تبعاً لحسابات البشر

بعدها إستيقظ الخادم من نومه فشكر إلهه الذى أظهر له هذه الرؤية ومنذ تلك الرؤية وهو يعطى كل من يطلب كل شئ يطلبه ببساطة وفرح ، وقد مجد الجميع الرب عند سماعهم بتلك الرؤية.

٢٢٧- نيسان (١٣)

BHG 1450u

أخبرنا الأب القديس ثيؤدور [Theodore of Adana] أنه عندما كان يعيش فى مكان بقرب المدينة المقدسة أتى إليه شخص من إحدى أقاليم آسيا ودخل دير بنثوكلا [Penthoucla] بالقرب من نهر الأردن ويرغب فى رفض العالم وسلك طريق الرهبنة ، فقبله رئيس الدير وبعد فترة من التدريب على تقاليد الدير المقدسة قام هذا الشخص بإعطاء الأب كل ما يملكه من ذهب وهو يقول : حيث أننى قد تدربت على قواعد هذا المكان وبسماح من الرب أطلب منك أن تقص شعرى وتمنحنى الملابس المقدسة للرهبنة حتى يمكننى البقاء هنا معك وأرجو منك أن تقبل هذه المساهمة كان رئيس الدير رجل تقى يتمتع بنعمة الرب فلم يسرع بإستلام الذهب من الشاب بل قال له : يا بنى نحن فى هذه اللحظة لسنا بحاجة لهذا الذهب ، فنحن كما تعرف لا ننفق الكثير على أنفسنا ولاعلى متعتنا الشخصية ، وكما يحدث فنحن ندبر أمورنا بأقل التكاليف إضافة إلى حياتنا فى البرية ، ولكن عليك أن تحفظ وصايا المسيح ، فإذهب وأعط هذه النقود للفقراء إخوتك فى المسيح تماشياً مع الوصايا الحقيقية وسوف تجد كنزك فى السماء" **لاتكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون ، بل إكنزوا لكم كنوزاً فى السماء حيث لايفسد سوس ولاصدأ وحيث لاينقب سارقون ولايسرقون** " (مت ٦ : ١٩ – ٢٠) ولكن الشاب أصر وألح عليه وهو يقول : يا أبى لقد رفضت العالم وسوف أمنح هذا الذهب للمكان الذى رفضت العالم فيه ، فقال الأب : يا بنى سآخذهم وسوف أهبهم للفقراء فنحن قد تعلمنا أن الراهب لايكنز لنفسه كنوزاً على الأرض ، ولكن هذا الشاب إستمر فى إلحاحه وهو يقول : خذهم يا أبى ، وإستخدمهم كما يحلو لك سواء كان ذلك من أجل رفع الفقر عن بعض الفقراء أو لأى أغراض أخرى .

وعندما عجز الأب على تغيير رأى هذا الشاب الراهب قَبِل الذهب وبعد فترة وجيزة قص شعره ورسم راهباً وتعلم قواعد الرهبنة .

تدخلت عناية الرب ولم تسمح للأب بإنفاق الأموال لكنه إنتظر ليرى مدى تقدم هذا الراهب ولم يكن أحد يعلم على الإطلاق أن هذا الكاهن يحتفظ بالذهب ولم ينفقه فى بادئ الأمر وفى ذروة الحماس كان الشاب يفى بكل ما يُطلب منه ويراعى القواعد والتقاليد كما يؤدى كل المهام والواجبات التى تعهد إليه بحيوية ودون تردد وبعد مرور بعض من الوقت بدأ الشاب فى التراجع فقد نصب العدو له فخاً فلم يعد يظهر نفس الحماس وأخذ يهمس لنفسه ويتمتم ويقول: لقد أعطيت الكثير من الذهب لهذا الدير ، فأنا لا آكل حتى الخبز والذى هو بالمجان هنا وسمع ذلك بعض الإخوة وتأذت مشاعرهم كثيراً وبخاصة الفقراء منهم وعندما علم رئيس الدير بهذا الأمر إستدعى هذا الراهب وقال له : ألم تفرض علىَّ هذه الأموال وطلبت منى بإلحاح أن آخذهم؟ ألم تعطينى هذه الأموال لأوزعها على الفقراء ؟ أو ربما هناك شئ من سوء الفهم قد وقع بيننا لذلك فأنت متنمر وتؤذى مشاعرالإخوة ؟ فلا تسمح بذلك يا أخى لأنه مكتوب " **ومن أعثر أحد الصغار المؤمنين بى فخير له لو طوق عنقه بحجر رحى وطرح فى البحر**" (مر ٩: ٤٢) .

قال الأب هذا للراهب مع التذكير والتحذير له ، ولكن الراهب لم يكف عن إجترار هذه الكلمات والأفكار التى زرعها إبليس بداخله ، وعندما شعر الأب بأن هذا الشاب لن يحيد عن الطريق الذى يسير فيه .

قال له فى أحد الأيام : تعالى يا أخى هيا نذهب إلى نهر الأردن ، فذهب رئيس الدير ومعه الراهب وكانا يسيران على ضفاف النهر وبدأ فى التحدث مع الشاب بخصوص هذا الذهب ثم أحضره له وهو مختوماً كما أعطاه الشاب لرئيس الدير، فقال الأب للراهب : أترى هذا ؟

قال الراهب : نعم يا سيدى والخاتم عليها إنها هى يا أبى .

فقال الأب للشاب : خذ الذهب يا بنى ، فإذا أردت أن تعطيهم للفقراء كما أوصيتك فأفعل ذلك ، وإذا أردت الإحتفاظ به فإحتفظ بها وستدان عليها ،

فأنا لن أخرق قواعد الدير ولن أؤذى باقى الإخوة أو أُغضب الرب من أجل قطع من الذهب ، فقد أقبلت إلينا لتخدم كما يفعل باقى الإخوة وكما فعلت عندما كنت فى مثل عمرك ولازلت أفعل حتى يومنا هذا أعمل ما قد يفوق قدرتى .

سمع الشاب هذا الكلام ، فإرتمى عند قدمى الأب وهو يقول : إغفر لى يا أبى ، لقد أحضرت هذا الذهب لأقدمه للرب فلن أقبله ثانية .

لكن الأب قال له : يا بنى الرب ليس بحاجة لذهبك فكل شئ خلقه ملكه هو فقط يريد الخلاص خلاص الروح ، كما أنه غير مسموح لى بأن أحتفظ بهذا الذهب مرة ثانية صمت الراهب لبرهة ثم قال للأب : لن أنهض من تحت قدميك ما لم تعطينى كلمة بأنك لن تغضب منى ولن تجبرنى على أخذ هذا الذهب ، فشعر الأب بإصرار هذا الراهب على طلبه فقال له : إنهض يا بنى وصدقنى فأنا لن أفرض عليك هذا الذهب كما لن أحتفظ به ثانية ، فنهض الراهب من على الأرض ، فأراد الأب حل هذه العقدة فقال للراهب : هذه هى القطع الذهبية يا بنى فقال الراهب : لقد وعدتنى يا أبى أنك لن تقل لى شيئاً عنهم ..إبتسم الأب وقال : لا يا بنى لن أتحدث بشأنهم ، وقام بإلقاء هذه القطع الذهبية واحدة تلو الأخرى فى النهر أمام عينى الراهب وقال له : لقد تعلمنا من شخص المسيح أن إمتلاك مثل هذه الأشياء أمراً باطلاً تعالى معى للدير وإعمل بجد مع باقى الإخوة ولا تخجل من أى عمل يعهد إليك ، ويجب أن تضع فى حسبانك أن ذلك العمل وهذه الخدمة من أجل المسيح " **لأن إبن الإنسان لم يأتى ليُخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين** " (مر ١٠: ٤٥) أدرك الراهب نوايا الأب الطيبة كما نال أعظم شرف وهو مخافة الرب كما تعلم أروع الخصال مثل التواضع والطاعة لكل شخص وبعدها أصبح بنعمة المسيح وكما هو مكتوب فى أعمال الرسل إناء مختار " **فقال له الرب قم إذهب لأن هذا لى إناء مختار ليحمل إسمى أمام أمم وملوك وبنى إسرائيل** " (أع ٩: ١٥) .

٢٢٨- ميونى (١)

قال أحد الآباء الآتى : كان هناك ديراً بالقرب من مدينة نيسبيس [Nisbis] كان رئيس الدير هذا رجلاً رائعاً كما كان كل أفراد الدير يعملون

فى بذر الحبوب وجنى الشعير والذى كان يكفيهم ويكفى الأديرة الأخرى المجاورة لهم ، وفى ذلك الوقت أتى أحد المسئولون فى مهمة دبلوماسية من فارس [Persia] وقابل الراهب المسئول عن الدير وتهذب بتعاليمه ثم منح الدير ثلاثون قطعة من الذهب إبتهج الإخوة فى الدير بهذه العطية ، ولكنهم لم يعيروا إهتمام لمن ستكون هذه العطية بدأوا فى زراعة الشعير كما إعتادوا ولكن فى العام الأول لم تطرح الأرض شيئاً ، فإنتظروا للعام الثانى فلم تطرح العام الثانى ولا الثالث ، فذهب هؤلاء الإخوة للأب المسئول عن الدير وقالوا له : ماذا نفعل الآن ؟ فقد بارت الأرض ولم تعد تطرح أى شعير كما كانت من قبل، فقال الراهب العظيم : خذوا الثلاثين قطعة ذهبية فهى سبب عدم طرح الأرض لأى ثمار ، إذهبوا وقوموا ببيع هذا الذهب وأعطوه للفقراء (مت ١٣: ٤٤، مت ١٩: ٢١، مر ١٠: ٢١، وغيرهم) فعل الإخوة ما طلب منهم الكاهن وبعدها فاض المحصول الأرض حتى زاد عما سبق ، فمجدوا الرب جميعاً .

٢٢٩ـ ميونى (٢)

BHG 1322b

حكى لنا أحد الآباء عن رجل محب للمسيح إسمه مارتيريوس {Martyrios} وكان هذا الذى حكى لنا تلك القصة كاهن ناسك عظيم مملوء نعمة : ذهبنا لزيارة المُعلم مارتيريوس وعندما طرقنا بابه ودخلنا إليه ورحبت بنا زوجة العظيم عندما علمت من نحن وذهبت للكرمة لتستدعى زوجها جاء الزوج وعانقنا ورحب بنا ترحيباً عظيماً وقام بغسل أرجلنا ثم صعد بنا للحجرة العلوية وأعد مائدة الطعام ، فكان الرجل مملوء بحب المسيح وعندما إنتهينا من الطعام أتت الزوجة بإبنها ووضعته بالقرب من باب الحجرة العلوية حيث نجلس للحصول على قسط من الراحة ، ولكن الطفل لم يحصل على بركة ما بل تأثر بكيد العدو إبليس فسقط الطفل من أمام باب الحجرة العلوية على الأرض ومات على الفور ، فقد كان والده ينحنى نحو باب الحجرة ليقدم لنا الأشياء التى تأتى بها زوجته ، فنظر الوالد إلى أسفل فوجد إبنه بلا حراك ، لكنه لم يحزن ولا حتى زوجته ، فطلب من زوجته أن تأتى وعندما رأت الطفل ميتاً أخذته

ووضعته فى سريره ، فتناول والد الطفل الطعام معنا وشرب معنا وهو مبتسم وعندما إنتهينا ورغبنا فى الإنصراف ، ودعتنا هذه الأسرة وصلى أن يحمينا الرب أثناء السفر ، وعندما صلينا معاً صلاة شكر طلب الوالدين من الكاهن أن يذهب ويصلى للطفل حيث أن رائحة جسده بدأت تفوح فى المنزل ، فذهب الكاهن ورسم الصليب على الطفل وإنطلقنا جميعاً .

مرت عدة أيام ورجعنا لزيارة نفس الأسرة فوجدنا الوالدين مغمورين بالفرح العظيم ونظرنا للأم فوجدناها تحمل الطفل فمجدنا الرب جميعاً الذى وهب الطفل الحياة مرة ثانية وحمل الوالد إبنه وقال : لقد فارق هذا الطفل الحياة ولكن بصلواتكم أعاده لنا الرب وروى علينا القصة بالكامل بكل تفاصيلها فذهبنا نحمل الطفل وشكرنا الزوج والزوجة ، وقد قيل عن هذا الطفل عندما أصبح رجلاً أنه كان رجل الله .

٢٣٠- ميونى (٣)

BHG 1448z

قال أحد الآباء أنه قد رأى شيئاً غريباً أثناء تواجده بالقسطنطينية [Constantipole] أنه كان هناك رجلاً تقياً يحب المسيح إسمه كريستوفر [Christopher] وكان يخدم فى القصر المعروف بإسم نظام الحماة [Regiment of the Protectors] فكان كريستوفر يؤدى واجبه النظامى طوال النهار ولا يذوق الطعام قط حتى غروب الشمس وفى المساء يتخذ أحد الأركان ليتناول بعض الخبز الجاف وبعض الخضروات المسلوقة والقليل من الماء ليشربه ، فقد كان سعيداً وراضياً بحياته هذه ، وكان يرفض أن يذوق أنواع الطعام الشهية ذات النكهة الذكية ، وبالنسبة لملابسه فقد كان يرتدى رداء من الشعر من الداخل ولكن من الخارج فكان يرتدى زياً فاخراً لكى يخفى ذلك عن الناس ، وعند الإنتهاء من عمله وبعد أن ينصرف مرؤوسيه يذهب لأحد من الذين يعملون فى صياغة الفضة حيث كان من أحد أقاربه ويطلب منه إعداد ثلاث أكياس الأول يملأه بالجنيهات الذهبية والثانى بقطع فئة نصف الجنيه والثالث بقطع فئة ثلث جنيه ذهبية ويذهب بمفرده إلى الأروقة والسجون ويبقى

الليل بأكمله يعطى من يسأله ، وفى إحدى الليالى وهو منخرط فى عمله الليلى بتوزيع العطايا مر على إحدى القلايات فدخل وأخرج بعض أموال وطلب بإلحاح من الراهب الذى بالقلاية أن ينهض ويقبل هذه العطية ولكنه لم يرد عليه، فرفع كريستوفر صوته لعله يسمعه ولكن لم يكن هناك أى جواب ، فقام بلمسه فعرف أنه ميت ، فذهب كريستوفر إلى أحد المحال القريبة وطلب من البائع أن يعطيه شعلة وإناء كبير به ماء حتى يغسل الراهب المتنيح ، وأعطى هذا البائع ثلث جنيه ذهبية ، وذهب كريستوفر إلى بائع الأكفان ليحصل على ما قد يحتاجه ليكفن هذا الراهب ثم قام بدفع قيمة هذا الكفن ، وبالمثل حصل على حذاء للقدم وشموع وملابس الدفن كما كان التقليد فى هذا الوقت وأضاء كريستوفر الشموع ووضع قطعة من الذهب على صدره ، ثم قال للراهب الميت : قم وأعطى لى تحية من أجل محبة المسيح ، فقام الرجل المكفن وعانق كريستوفر ثم رقد ثانية ، وعندما رأى صاحب المحال هذا أخذ يرتعش وكاد أن يموت رعباً ثم هرب بعيداً ، وبعدها أذاع هذا الرجل تلك القصة المعجزية فى كل أنحاء المدينة .

٢٣١- ميونى (٤)

BHG 1448z

كما توجد رواية أخرى تتعلق بكريستوفر يقال : عندما خرج كريستوفر فى أحد الأيام للصلاة فى أديرة الصلاة وإتجه إلى بوابة شوك القصر [Chalke gate] حيث كان بالداخل مكان مقدس للغاية يسمى فليترو المخلص [Phletro of the Saviour] ذى بوابات برونزية ، فدخل كريستوفر ليصلى ففتحت البوابات من تلقاء نفسها ، فصلى وخرج كما لو كان طيفاً ، ولكن عندما إستيقظ الموجودون بالمكان ووجدوا الأبواب مفتوحة تعجبوا ولكنهم خشوا فقد أى من المقدسات كما شعروا أنهم كحراس فى خطر فقد راقبوا المكان بجد ويقظة ليكشفوا الأمر ، فوجدوا أن التفسير الوحيد لما حدث هو ذلك الشخص السابق ذكره (كريستوفر) فذهب هؤلاء الحراس للبطريرك وأخبروه بما حدث، وفى حالة من الإندهاش لم يستطع البابا تصديق ما يقال إلا عندما ذهب فى

سرية وأخذ يراقب الرواق بنفسه ، وقد رأى بعينيه كريستوفر يدخل كالطيف ، وهنا إقتنع البابا ومجد الرب ، ولم يدع أحد لا يؤمن بتلك المعجزة والتى قد تفوق العقل والمنطق ، وهنا نتذكر داود النبى والذى قال : " **يعمل رضى خائفيه ويسمع تضرعهم فيخلصهم** " (مز ١٤٤: ١٩) .

٢٣٢- ميونى (٥)

BHG 1442m

قال لنا شخص ما يحب المسيح حباً جماً أنه فى أحد الأيام أتت إمرأة إلى أحد كنائس القسطنطينية وكانت تصلى بصوت دوى حيث تنهمر الدموع من عينيها وتقول : أيها الرب لقد آذيتنى وإستمرت فى قولها هذا لعدة مرات ، وفى أحد المرات تصادف تواجد شخصية عامة رجل ذو نفوذ بالكنيسة وكان يصلى هناك فى نفس الوقت وفى نفس المكان ، فملأه الفضول وأراد أن يعرف لماذا تصلى هذه المرأة هكذا ؟ وعندما توقفت عن بكاءها أتى إليها هذا الرجل وقال لها : أستحلفك بمحبة المسيح أن تخبرينى لماذا تقولين هذه الأشياء عندما تصلى؟ ورجائى فى الرب فإذا قلت لى ما هو الأمر ؟ وسأحاول مساعدتك بكل ما أملك من قوة ونفوذ ، وكان الرجل يعتقد أن هذه المرأة فى حاجة شديدة وفقر مدقع أو تحت ظلم أو قمع ما ، وعندما شعرت المرأة أن كلامه هذا ينطوى على الجدية ، فتحدثت معه منفردة وقالت : يا سيدى أنا إمرأة وكنت متزوجة ولكن زوجى توفى منذ فترة وتركنى أرملة ، وأنا الآن أرى أن جسدى يهاجمنى ويدفعنى للزنا من أحد الرجال ، وهذا سبب مناداتى للرب حتى يخمد هذه الرغبة ويطفأها ، فأنا لا أريد أن أختبر الزواج من زوج ثان ، قالت المرأة هذا الكلام لهذا الرجل وإنصرفت إلى منزلها ، تعجب الرجل مما يسمعه ولكنه أراد أن يعرف المزيد فأرسل أحد خدامه ليتتبع هذه المرأة ليعرف أين تسكن ؟ وبالفعل تتبعها الخادم وعرف بيتها ووضع علامة عليه حتى يسترشد بها ، وبعد فترة أرسل هذا السيد الخادم ليعرف أخبارها ، ولكن الخادم وجدها وهى تعانى المرض الشديد والحمى وترقد فى سريرها تئن ، فرجع الخادم وأخبر السيد بما يحدث وعندما علم السيد تعجب من عفة هذه المرأة ومجد الرب .

٢٣٣- ميونى (٦)

BHG 1442mb

كان هناك ناسك عظيم نرى ثمار الروح القدس فى خصاله كان يتضرع للرب قائلاً : أيها الرب أريد أن أعرف ما هى أحكامك ؟ وداوم على الصلاة هكذا ومارس التقشف بأقصى درجاته متضرعاً لله ليجيب على تساؤلاته ، لكن الرب أفهمه أن هذه الأمور ليست ممكنة للإنسان ولكن الراهب الناسك لم يتوقف عن إلحاحه ولجاجته بالمزيد من الصلاة والتقشف فى الحياة ، فأراد الرب أن يختبر هذا الناسك الصالح فسمح بفكرة ما أن تأتى لذهنه وهى زيارة راهب ناسك آخر يبعد عدة أميال عنه ، فإرتدى هذا الناسك ردائه وإستعد للرحيل وحينئذ أرسل الرب ملاكاً فى زى راهب والذى قابل هذا الناسك فى أثناء رحلته وقال له : أيها الأب الصالح إلى أين ستذهب ؟

فأجاب الراهب الناسك قائلاً : لزيارة الراهب الناسك وأشار لمكان الراهب الناسك ، فقال له الملاك المتنكر : وأنا ذاهب أيضاً لهذا الراهب الناسك لأراه دعنا نسافر سوياً ، وفى أول أيام سفرهم مرا على أحد الأشخاص من محبى المسيح ، فأحسن إستقبالهم كضيوف لديه وقدم لهما الطعام فى صحن من الفضة ، وعند إنتهائهم من تناول الطعام أخفى الملاك هذا الصحن فإنزعج الراهب الناسك مما فعله ولكنهما أكملا سوياً الرحلة ، وفى اليوم التالى تقابلا مع رجل آخر يحب المسيح ورهبانه ، فقام هو الآخر بإستقبالهم فى منزله كضيوف كما قام بغسل أرجلهم وعانقهم ، وفى اليوم التالى أحضر هذا الرجل إليهم إبنه الوحيد ليأخذ بركتهما ، ولكن الملاك قبض على عنقه فخنقه جن جنون الراهب مما يفعله هذا الراهب ولكنه لم يتلفظ بكلمة واحدة ، وأتى اليوم الثالث من الرحلة وهما فى طريقيهما للراهب الناسك وقد قطعا مسافة طويلة دون أن يقابلا أحداً ولا أحد يعرض إستضافتهما ، ولكنهما أخيراً وجدا مسكن فى قلب الصحراء جلسا تحت ظل سوره وأخذا فى تناول بعض الخبز الجاف الذى أحضره الراهب معه ، وأثناء تناولهم هذا الطعام رأى الملاك أن هذا السور على وشك الإنهيار ، فقفز الملاك حتى لا ينهار عليه السور، وبدأ فى تجميع

الأحجار ليعيد بناءه ، ولكن الراهب كان قد فاض به الضيق فصرخ فى وجهه وقال : هل أنت شيطان ؟ أخبرنى من أنت ؟ فالأشياء التى تفعلها ليست من طبيعة الإنسان أن يقوم بها ، فقال الملاك : ماذا فعلت ؟

قال الراهب الناسك : أمس عندما إستضافنا أحباء المسيح ، فأنت لم تخفى الصحن الفضى للأول فقط بل أيضاً خنقت إبن الثانى ، وحتى هنا لا يوجد مكان للراحة ومع ذلك تبذل الجهد الجهيد كما لو كنت عامل هنا ، فقال له الملاك : أنصت إلىَّ الرجل الأول الذى إستضافنا نحن الإثنين كان يحب المسيح وقد جمع كل ممتلكاته بطريقة لا تغضب الرب ولكن هذا الصحن الفضى قد ورثه من رجل غير عادل ، فأخفيت هذا الصحن حتى لا يفسد عمل هذا الرجل الصالح فى مقابل ذلك ، والآن فقد أصبح تاريخه مع الرب نقى أما بالنسبة للرجل الآخر والذى إستضافنا نحن الإثنين فقد كان رجلاً رائعاً وكان لديه طفل حى ولكنه كان سيصبح أداة يستخدمها الشيطان حين يكبر وقد يفسد عمل والده ، فخنقته حتى أضمن الخلاص للأب وأيضاً ليكون تاريخه مع الرب طاهر ونظيف ، فقال الراهب للملاك : وماذا عن عملك هنا ؟

أجاب الملاك وقال : مالك هذا المكان بمثابة البلاء أو الوباء الذى متى يتفشى يؤذى الكثير من الناس ، فهو مدفون تحت هذا السور حتى لا يحدث ذلك، فعندما بنى الجد الأكبر لصاحب هذا المكان المنزل وضع الكثير من الأموال بين الحجارة التى إستخدمها فى البناء ، فأنت رأيتنى أرمم هذه البناية حتى لا أسمح لهذه الأموال بأن تؤذى العديد من الناس وبذلك منعت هذا الوباء من الإنتشار ، والآن أذهب لقلايتك وكما يقول الروح القدس : " **عدلك مثل جبال الله وأحكامك لجة عظيمة** " (مز ٣٦: ٦) .

وإذ بالملاك يقول هذا القول للراهب ويختفى على الفور، فرجع الراهب الناسك لرشده وذهب إلى قلايته يمجد الرب يسوع المسيح .

٢٣٤- ميونى (٧)

BHG 1442f

عندما نختار بإرادة تامة أن نهجر وصايا الله نتحول إلى الخطية ، فخير ما يحدث لنا هو أن نرى هذه الخطايا أمام أعيننا ونرى كم أصبحنا عبيد ورعايا لإبليس ، فقد أصبحنا غرباء فى الأماكن المقدسة كعقاب عادل من قبل الرب للخطاة ، وعندما سقطت أورشليم وكل المدن المحيطة بها فى يد الفرس فى الخامس من مايو سنة ٦١٤ م حدث شئ مهم يجب أن يدون كتابة ماحدث فى مدينة أورشليم ، ولقد سمعنا بهذا الحدث ليس فقط من شخص واحد بل من العديد من الأشخاص ، فعزمنا على أن ندونه لنتهذب به ولنحذو حذو هؤلاء الذين عشقوا البتولية والطهارة .

عندما حاصر العدو المدينة وقام بذبح الألوف بل عشرات الألوف من الشعب وإنتهى الأمر بدخول كنيسة قيامة السيد المسيح إلهنا والأماكن المقدسة الأخرى ، وكانت هذه الأماكن هى الملاذ الوحيد للعديد من الناس وخصوصاً المذبح المقدس لكنيسة القيامة ، ولكن عندما إقتحم الفرس المكان ووجدوا هؤلاء قاموا بذبحهم جميعاً دون رحمة أو شفقة ولكنهم إستثنوا كل من كان حسن الطلعة من الأطفال والعذارى ، وبعد إنتهاء المذبحة وشعور الجنود بالإنتصار والحرية بدأوا فى إحتساء الخمر إحتفالاً بالنصر كما كانوا يخططون لإرتكاب الخطية مع الأسرى من العذارى ، ودفعهن للهلاك فكانت هناك إحدى خراف المسيح وهى عذراء شديدة الإرتباط بشخص المسيح ، فكانت تنظر إلى خدام الرب وهم يتلقون العذاب ويتألمون كما تألم داود وقال : " **رأيت الغادرين ومقت لأنهم لم يحفظوا كلمتك**" (مز ١١٩: ١٥٨) فقررت أن تترك نفسها تذبل جوعاً، فبقيت لمدة خمسة عشر يوماً لم تذق الطعام قط أو حتى الشراب ، فقد كانت لديها من الإرادة القوية ما يكفيها للقيام بذلك ، وأهلكت ما بقى لها من قوة فى البكاء الذى لا ينقطع والنحيب ، فكانت تلك العذراء أكثر العذارى جمالاً، ولذلك فقد إختارها من قام بأسر العذارى لتكون له وقام بممارسة كل أنواع الضغوط عليها لتفعل كما فعلت غيرها من العذارى ، ولكنها كانت تمقت

مجرد الإشارة إلى هذا الهلاك الروحى ، فهو حقيقى بالفعل ما قاله الرب : " **لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون**" (مت ٢٢: ١٤) ، وعلى الرغم من أن جميعهن عذارى إلا أنهن لسن جميعهن من بقين على العهد مع الرب ، وحيث أنهن كن يتناولن طعامهن وشرابهن وقتما يردن ويساندون موقفهن وما وصلن إليه ، فقد سعين لإقناعها لتفعل ما فعلن من قبل ولكنها كانت تعلن إصرارها على موقفها بالبكاء والأنين ، ولكن عندما علم بذلك الشخص الذى يريدها جن جنونه ولكنه صبر عليها وكان الذى يشفع لها هو جمالها الأخاذ ، وفى إحدى الليالى ذهب هذا الشخص وتناول الخمر مع بعض الفارسيين وبعض العذارى (غير المستحقات لهذا الإسم) فدفعه الشيطان إلى حب شهوانى تجاه تلك الفتاة ، فطلب منها أن تأتى وتجلس للعشاء معه ، ولكنها رفضت بشدة فأمر الرجل خدامه بأن يأتوا بها عنوة ، فأتت الفتاة وبالرغم من تواجدها بجواره على مائدة الطعام إلا أنها رفضت تناول أى شئ ، وأسرف الرجل فى شرب الخمر حتى إشتعلت رغبته فيها ، فترك الرجل جميع الموجودين وطلب منها أن تصاحبه لفراشه ولكنها رفضت فبدأ فى التعامل معها بشكل يتسم بالقسوة والإهانة ولكنها رفضت رفضاً قاطعاً عندئذ قرر الرجل أن يأخذها معه فى ساعة متأخرة من الليل لأحد الأبراج وأوقفها هناك أعلى قمة البرج ، وسألها ما إذا كانت ستوافقه على رغبته أو لا ؟ فرفضت العذراء هذا الطلب بإزدراء شديد وبغض حتى لصوت الرجل ، وهنا تحول هذا الرجل إلى وحش قاسى ، فسحب سيفه وبدأ فى تعذيبها بعنف يعجز الإنسان عن وصفه وهو يحثها على فعل الخطية معه ، ولكن هذه العذراء القديسة بقيت تقية ومخلصة لعهدها مع الرب ، وبعدما طعنها هذا الرجل العديد من الطعنات وكان يسألها نفس السؤال ويتلقى نفس الإجابة وهى تنزف من جميع أجزاء جسمها ، فأمر الرجل خدامه بقذفها من أعلى البرج، فإن ما حدث فى هذه الساعة هو أنها حاربت بإستبسال حتى أسلمت الروح وصعدت روحها الطاهرة إلى السماء لتنال إكليل المجد من الرب يسوع المسيح.

٢٣٥ـ ميونى (٨)

كان هناك رجل وإمرأة من العالم لديهما إبنة بداخلها روح شريرة وكانت هذه الفتاة تعانى كثيراً من هذا الروح فذهب والديها هنا وهناك وزارا العديد من الأديرة ومختلف الرهبان والنساك ولكن الإبنة لم تشفى بعد ، وأخيراً نصحهم أحد الرهبان وقال لهما : إذا أردتما أن تشفى إبنتكما فإذهبا إلى البرية ، فهناك الكثير من القديسين وصدقونى إذا صلى هؤلاء القديسين للفتاة ستشفى على الفور إستمع الرجل وزوجته لكلام الراهب وإنطلقا نحو البرية يبحثا عمن يشفى إبنتهما ، وهما فى الطريق رأوا رجلاً شاباً يأتى من ناحية الصحراء ، فرح الجميع وقالوا : أنظروا فقد أرسل الرب أحدهم لنا فلن نضطر للذهاب إلى البرية ، وعندما إقترب الرجل منهم إرتمى الوالدين ومعهما الطفلة تحت قدمى هذا الرجل وهم يتوسلون إليه بقولهم : هذه الطفلة الصغيرة قد أُذيتْ بروح شريرة ، فمن أجل محبة المسيح صلى من أجلها ، فقال الرجل : يا سادة أنا لست من هؤلاء القديسين الذين تبحثون عنهم أنا إنسان خاطى ، فإزداد الوالدين فى إلحاحهم وتوسلاتهما إليه قائلين : من أجل المسيح لا تتحدث هكذا ، وأظهر القليل من الشفقة على هذه الطفلة وصلى لها ، وكان هؤلاء الناس يعتقدون أن كلام هذا الرجل نابع من تواضعه لذلك كلما زادوا من توسلهم إليه وزاد الرجل من إصراره على أنه ليس ذلك القديس الذى يبحثون عنه ، ولكنه أمام ضغطهم ولجاجتهم رق قلبه ، وأخرج كتاب من أسفل إبطه وقال وهو يؤكد : لقد سرقت هذا وأتيت إلى هنا وعندما قال هذه الكلمات خرج الشيطان هارباً من عدم قدرته على تحمل توبة هذا الرجل ، كما زاد إيمان الوالدين بقداسة هذا الراهب وشفاعته .

٢٣٦ـ ميونى (٩)

قال الأب إرينيؤس [Irenaeus] للإخوة فى الدير: هيا بنا نحارب بكد وجد وطول أناة فنحن جنود ملك السموات كما أن هناك جنود لملوك الأرض : هم يرتدون خوذة على رؤوسهم ، ونحن لدينا الإكليل ؛ هم يضعون على صدورهم دروع من المعدن ، ونحن نضع أسهم روحية مصقولة بالإيمان ؛ هم

لديهم أسهمهم ، ونحن لدينا صليبنا ؛ هم يحتمون بالدروع الواقية ، ونحن عزاؤنا الرجاء فى الرب ؛ هم يضعون التروس لصد العدو ، ونحن لدينا الرب لصد الشرور عنا ؛ هم تراق دمائهم هباء فى الحرب ، ونحن ننال شرف الشهادة فى تراجعهم فى المعركة الكثير لا يصلى على الإطلاق وإن صلوا فصلواتهم متقطعة بل ما هى إلا أفكار تدور فى رؤوسهم لهم صلواتهم لكن يصلون بشفاههم فقط ولكن قلوبهم متجهة للعالم .

أما نحن ففى ويلاتنا نصلى بكل كياننا ولا نرنم بشفاهنا بل بقلوبنا نصوب أعين قلوبنا نحو الرب نتكلم معه بأرواحنا لذلك هيا بنا أيها الآباء نتمثل بجنود الملوك الأرضيين ولكن بطريقتنا نحارب بحماس وإستبسال بل هيا نتمثل بالثلاثة فتية (دا ١٣) ونطفأ لهيب العواطف بطهارتنا هيا نخمد نيران الإغواءات بالصلوات هيا نجلب العار واللعنات على الشيطان هيا نقدم أجسادنا ذبيحة حية للرب هيا نقدم للرب عقول وضمائر خالصة ، كالذبيحة الخالصة .

٢٣٧- ميونى (١٠)

سأل أحد الإخوة أحد الرهبان وقال : ماهو العمل الروحى الذى يجب علىَّ عمله إذا رأيت شخص ما يخطئ هل أبغضه ؟ أو إذا سمعت أن هناك شخص ما لا يهتم بالرب أو بالروحانيات هل أدينه وأفقد روحى ؟

أجاب الراهب قائلاً : عندما تسمع ذلك إبعد نفسك على الفور من هذه الأفكار بل وإبدأ فى تذكر يوم الدينونة وأنظر بقلبك وذهنك إلى كرسى الرب القاضى العادل أنهار النيران ، وهؤلاء الناس الذين أدينوا أمام محكمة الرب تذكر المياه الحارقة التى تصب على الخطاة ، وأعمال السيوف فى الرقاب العذاب الذى لا نهاية له ، والليلة المظلمة الظلام الخانق ، والسهام المصوبة والقيود التى لا تتكسر وصرير الأسنان والعويل والنحيب الذى لا ينتهى فكر فى هذه الأمور وفى الدينونة التى لا مفر منها ، فالقاضى لا يهتم بالذين يوجهون التهم أو الشهود أو الحجج أو الشهادات لكن يهتم فقط بالذى تم بالفعل ، فيجب أن نضعه صوب أعيننا وأعين كل من يقع فى الخطية ، فالكل سواسية أمامه من قام بعمل شئ سيحاسب عليه فلا توجد أفضلية لا لأب ولا أم ولا إبنة ولا إبن

ولا قريب ولا جار ولا صديق ولا معارف ولا ذوى الجاه ولا لأصحاب السلطة، فكل هذه الأمور لا تؤخذ فى الحسبان ، ومن سيدان سيدفع ثمن أفعاله فلا يمكن لأحد أن يدين عملاً فعله آخر، بل عليه فقط أن ينظر لأعماله هو ، إعلم ذلك يا بنى فلا تدين أحداً ولا تنزعج إذا توقفت عن التفكير فى الآخر .

٢٣٨- ميونى (١١)

BHG 2102d

أخبرنا الأب بطرس [Peter] أحد تلاميذ الأب أشعياء [Isaiah] الآتى: عندما كنت فى دير الأب مكاريوس ومعى الأب أشعياء أتى إلينا بعض الناس من مكان يبعد عن الإسكندرية حوالى ثمانية عشر ميلاً ، وكانت بصحبتهم عذراء طاهرة ولكن كان هناك روح نجس يسكن بداخلها ، فتوسلوا هؤلاء الناس للأب حتى يشفى هذه العذراء ، وعندما نظر الراهب إليها وهى تتألم بشدة قام برشم الصليب على جميع أجزاء جسدها ، وبدأ فى توبيخ هذا الشيطان الذى بها، ولكن الشيطان أجابه قائلاً : لا يمكننى الخروج منها فقد دخلتها عنوة وضد إرادتى فزميلك وصديقك دانيال هو الذى تشفع بالرب وأرسلنى إلى جسد هذه الفتاة .

فقال الراهب : ما هى الأشياء التى تجعلها تقوم بها ؟

قال الشيطان : لقد أصبحت أداة أستخدمها ، وقد علمتها أن تذهب إلى الحمامات العامة وأن تتزين دون خجل أو حياء لكل رجل تقع عيناها عليه وتجمل من نفسها حتى إستطعت بها أن أسقط الكثير من الفتيان بالنظر إليها ويقعوا فى شباكها ، وكنت أدفعهم بقوة لممارسة الخطية معها ولم يتم ذلك إلا بعد موافقتهم على قبول أفكارى الدنسة ، وكنت أصور لهم هذه الأفكار كل مساء وأضعها أمام أعينهم حتى يتم السقوط فى خطية الزنا بالكمال ، وفى ذلك الوقت هناك رجل وقور طاعن فى السن رآها وهى تغتسل فى أحد الحمامات العامة وعند رجوعها لمنزلها صلى دانيال للرب حتى تخلص روحها وترجع لصوابها وأيضاً من أجل الراهبات الأخريات اللاتى يعشن حياة التقوى وحتى لا يتأثرن بها لذلك

فقد سكنت بداخلها ، فعندما سمع الراهب ذلك قال : من يُسلم حياته للرب فهو يخلص ، فأرسلهم للأب دانيال حتى يصلى لها .

٢٣٩- ميونى (١٢)

BHG 1076k

كان فى القسطنطينية رجلاً يهودياً يعمل فى حرفة نفخ الزجاج كان لديه زوجة وإبن صغير ، فأرسل إبنه للمدرسة ليتعلم كتابة الخطابات كانت هذه المدرسة بالقرب من أحد الكنائس وهى كنيسة القديسة صوفيا [Saint Sophia] كان هناك إحتفال كبير كما كانت الموائد مليئة بالطعام ، فأرسل أحد مسئولى الكنيسة إلى المدارس المجاورة ليحضر التلاميذ ليتناولوا من القربان المقدس والإشتراك فى هذه الإحتفالية العظيمة ، فذهب الأطفال المسيحيين للكنيسة فتبعهم الطفل اليهودى وتناولوا جميعاً من القربان المقدس وقام المسئولون فى المدرسة بصرف التلاميذ ، وكان فى ذلك الوقت الأب اليهودى قد ترك عمله وذهب للبيت ، وعندما تأخر الولد عن الحضور سأل الأب زوجته عن إبنهما ، فأدركت الأم أنه بالفعل تأخر فبدأت تسأل الجيران حتى وصل الطفل فسألته والدته : لماذا تأخرت يا بنى ؟

قال الولد : ذهبت للكنيسة العظيمة وأكلت وشربت هناك من القربان المقدس ؛ فجن جنون الأب عند سماعه ذلك ، ولكنه إلتزم الصمت حتى فرغ من تناوله للطعام ، وبعدها أخذ الطفل وذهب به لمحله وبدأ يسأله ماذا فعلت بالضبط ؟ فقال له إبنه : لقد تناولت القربان المقدس هناك فقبض الأب على إبنه بغضب وقذف به داخل الموقد الذى يستخدمه فى حرفته وأغلق بابه ، وبعدها ترك المحال وإنصرف رجع الزوج للمنزل فلاحظت الزوجة بعض الغيوم وحيث أن الوقت كان ظهيرة ، فوضع الرب فى قلب الأم بعض القلق على إبنها وشعرت أن هذا الزوج الغاضب قد فعل شيئاً ما بالولد ، فأسرعت الأم للمحال وكسرت بابه ثم سمعت صوت إبنها داخل الموقد ففتحت باب الموقد وأخرجت إبنها وعانقته وقالت له : من الذى وضعك هنا ؟ قال الطفل : أبى .

فقالت الأم : لكن كيف لم تحترق بداخل هذا الموقد يا بنى ؟

فقال الطفل : أتت إلىَّ العذراء العظيمة برداءها القرمزى وأعطتنى ماء وقالت لى لا تخف .

شوش هذا الأمر ذهن المرأة ، فحملت طفلها وتوجهت نحو بطريرك الكنيسة العظيم ميناس [Menas] ، وقالت له ما حدث بالفعل لإبنها ، وسألته هل يمكن لها ولإبنها أن يصبحا مسيحيين ؟ إندهش البابا مما يسمعه وأخذ المرأة وطفلها للإمبراطور القديس جوستنيان [Justinian] الذى يحب الرب حباً عظيماً ، والذى قام بأمر الرجل اليهودى بالإبتعاد عنهما ، وحثه على المسيحية ولكن بسبب رفضه وتعنته أمر الإمبراطور بوضعه فى الموقد وقال له : كما فعلت مع إبنك سيحدث لك .

ودخلت الأم الدير وأصبحت راهبة عظيمة وأصبح الطفل شماس فى الكنيسة ، ومجد الجميع الرب يسوع المسيح الذى يفتقد الجنس البشرى ويصنع العجائب لخلاصهم .

له المجد من الآن وإلى الأبد وفى كل الأزمان ... أمين .

٧|٥٥| ٤٩

www.fr-ishaia.com
E-mail: fr-ishaiabibawy@hotmail.com